

كتابي

الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية

١٢ قرشا

حلمي مراد

لوحة حسناء من اندونيسيا
للفنان الاندونيسي "بازوكي عبدالله"

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

الكتاب الواحد والتسعون (السنة الثامنة)

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة

مجموعة كتابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها واحد وتسعون كتابا، يضاف اليها كتاب جديد فى اول كل شهر.

مطبوعات كتابى

(الترجمة الكاملة الامينة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها اربعة وخمسون كتابا (ومجلدان خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو ») ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب جميعا من الادارة .

الاشتراكات

• تطلب الاعداد السابقة من كل من المجموعتين من :
ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة

• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى ج.ع.م والسودان والمملكة السعودية والاردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الاخرى والبلاد الاجنبية على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر . علما بأن سعرها فى مصر

ولمن شاء أن ترسل له الاعداد بالبريد الجوى المسجل ، أن يدفع فرق الرسوم .

• ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عادى . وللمشتركين فى البلاد الاخرى أن يرسلوا القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة ، أو تحويلات مصرفية ، أو كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما ، فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل .

محتويات الكتاب

القصة التى حكم ببراءتها ..

بعد مصادرة استمرت ٣٣ عاما !

«لو كانت لى ابنة فى سن الزواج ، لما تركتها تعقد خطبتها ـ ما استطعت ـ حتى تقرأ هذا الكتاب .. ان قصة « ليدى تشاترلى » ينبغى أن توضع فوق أرفف كل مدرسة للبنات المراهقات .. ويجب أن تجبر الفتيات على قراءتها ، والا حرمن من الحصول على ترخيص بالزواج ! »

« برنارد شو »

عزيزى القارىء ..

قد يدهشك أن تقرأ هذا الرأى ، للكاتب الايرلندى الذى كان « **لورنس** » يمقته ويهاجمه فى كل مناسبة .. ومع ذلك لم يمنعه هذا العداء الشخصى من أن ينصف الرواية التى رآها جديرة بالانصاف !

بل قد يدهشك ان يصدر هذا الرأى من « **برنارد شو** » ، وهو الذى بلغ من تزمته فى شأن ما يمس الاخلاق انه أحرق نسخة كان قد اهداه اياها الكاتب « **فرانك هاريس** » من كتابه المشهور « حياتى ، وغرامياتى » ، خشية أن تقع فى يد خادمة بيته !

واذا أردت مزيدا من المفارقات التى تظهر مدى تغير احكام المجتمع والرأى العام على الاعمال الأدبية والفنية بين جيل وجيل ، وبلد وبلد .. فاليك طائفة من الامثلة التى قد تبدو لك اليوم بعيدة عن التصديق ، وان كانت جميعا « حقائق » تاريخية ثابتة :

فرواية **شكسبير** الخالدة « هاملت » ، كانت في عصر « كرومويل » تصدم مشاعر طائفة « البيوريتان » المتزمتة المعروفة !

وكان **تولستوى** فى فترة من حياته يصرح بأنه لو ملك السلطان ، لأحرق أو صادر أكثر مسرحيات شكسبير !

وتولستوى نفسه ، كانت بعض كتبه — وفى مقدمتها تحفته الخالدة « انا كارنينا » — موضع الاضطهاد والمطاردة فى وقت من الاوقات !

و « **فلوبير** » ، ألم يقدم الى المحاكمة فى فرنسا بسبب قصته التى يمجدها العالم اليوم : « مدام بوفارى » ؟

.. بل **وبلزاك** ! .. ألم يقف السناتور الامريكى « ربد سموت » فى مجلس شيوخ بلده (الكونجرس) فى مارس عام ١٩٣٠ ليندد بإباحية « بلزاك » ويطالب بفرض الرقابة على مؤلفاته ؟

ومسرحيات أديب الاغريق الفذ « **اريستوفان** » — (مؤلف : الضفادع ، والطيور ، والحشرات ، والسحب ، والسلام ، والفرسان ، وليسستراتا .. الخ) — الا تصدم مشاعر بعض ذوى الأفق المحدود ، حتى يومنا هذا ؟

وقصة (جين اير) — التى تدرس اليوم للمراهقين والمراهقات فى المدارس — ألم يقل فيها « د. ه. لورنس » نفسه فى مقاله المشهور الذى جعل عنوانه « الادب المكشوف وأدب الفحش والبذاءة » .. ما يلى بالحرف الواحد : « وان كنت أعترف بأن « **شارلوت برونتى** » لم تتعمد اثارة المشاعر الجنسية فى القارىء ، فانى أجد قصتها (جين اير) تنحو منحى الأدب المكشوف ، أكثر مما ينحو « **بوكاشيو** » فى أقاصيصه .. فقد كانت شارلوت برونتى فى حالة انهارت فيها أقوى الغرائز ، فبات الجنس عندها شيئا بذيئا ، محتقرا .. ولا تغدو العاطفة الجنسية عند بطل القصة

« مستر روشستر » عاطفة « محترمة » الا بعد ان يحترق الرجل ، ويصاب بالعمى ، والتشويه ، ويصبح عاجزا ، بلا حول ولا طول.. عندئذ فقط ، بعد كل هذه المهانة والمذلة ، تصبح عاطفته الجنسية شيئا معترفا به ! »

و **« ابسن »** ـ خالق المسرح الحديث غير منازع ـ لم يسلم بدوره من تهمة الفحش والابتذال ، فتعرض انتاجه الخالد لحملات غير قليلة من هذا النوع ..

و **« زولا »** ، زعيم مدرسة الأدب « الطبيعى » ـ التى سبقت مدرسة الادب « النفسى » الحديث ـ ألم تعتبره انجلترا رمزا للادب المكشوف ، وتحكم على ناشر كتبه بالسجن والغرامة ؟

وملحمة **«جيمس جويس»** المعاصرة المشهورة «أوليسيس» ـ أو «عولس» ، نسبة الى بطل « أوديسة » هوميروس ـ .. ألم يلاحقها الاضطهاد اعواما ، بل ويصفها « د . ه . لورنس » نفسه بأنها « كتاب غير نظيف » ، من فرط ماتتمرغ بطلته « موللى بلوم » وسنانة فى فراشها ، وهى تجهد وعيها بحثا عن أطول عبارات الابتذال التى عرفتها اللغة الانجليزية .. الى أن ادركتها رحمة القضاء الانجليزى على يد القاضى « وولسى » فى عام ١٩٣٣ ، فأفرج عنها وبرأ ساحتها ، استنادا الى أنها « عمل فنى ، يعكس الحياة .. ولما كانت الحياة تتصف بالخسة أحيانا ، فمن الطبيعى ان يكون العمل الفنى الذى يمثلها ، على صورتها . »

هل كان للسياسة دخل فى اضطهاد لورنس ؟

.. **ويطول** بنا المقام لو مضينا فى تعداد أمثلة هذه المفارقات ، التى كان آخرها افراج القضاء الانجليزى منذ أسابيع عن النص الأصلى « غير المهذب » لقصة (عشيق الليدى تشاترلى) ، بعد أن شهد لصالحها أكبر رجال الأدب والدين ،

وبعد ان ظلت ممنوعة من التداول بنصها الاصلى نحو ثلث قرن .. وبذلك دخلت هذه القصة ومؤلفها ـ من الباب الضيق ـ الى رواق الخلود والخالدين !

ولست أريد هنا ان أحدثك عن قصة هذه « المحاكمة » الاخيرة للقصة ـ التى انتهت بتبرئتها والافراج عنها ـ فهذه قصة أفاضت الصحف والبرقيات فى سرد تفصيلاتها يوما بعد يوم ، واحسبها ماتزال ماثلة فى ذاكرتك من طول الاعادة والترديد ..

.. وانما أود اليوم أن أزيح لك الستار عن الفصول الاولى ـ التى دخلت التاريخ ـ من هذا الصراع الطويل المرير الذى نشب بين الاديب التعس « د. هـ. لورنس » وبين أعداء أدبه ومضطهديه من الرقباء .. **وهو الصراع الذى عجل بموته** فى الوقت الذى كان فيه أحوج ما يكون الى راحة النفس والبال كى يقاوم عدوه الداخلى ـ السل ـ الذى أنشب أظافره فى رئتيه .. وقد أشار لورنس الى مأساته هذه فى حديث له مع « ايرل برويستر » فى لقائهما بجنوب فرنسا قبيل وفاة الاديب بأسابيع ، حين نقر على صدره بأصابعه وهو يقول : **« ان الكراهية التى أثارتها كتبى ضدى ترتد الى ، وتنشب مخالبها هنا ! »**

.. وسترى ان اضطهاد الرقباء للورنس لم يكن لوجه الأدب والاخلاق وحدهما ، وانما شابته شائبة من النزعات السياسية الاستعمارية ، **فقد كان لتنديده ـ فى احدى رواياته التى حوربت ـ بالروح الاستعمارية البريطانية فى حرب (البوير)** ، التى اشتعلت فى جنوب افريقيا بين أهل القارة وبين مستعمريهم الانجليز فى مطلع هذا القرن .. **دور ايجابى مستتر** اعترف به المعلق الانجليزى « هارى مور » فى كتاب حديث له ، كما سيجىء !

على ان ذلك لاينفى ان مفتاح اية دراسة لأدب **«لورنس»** ،

هو الاعتـراف بادىء ذى بـدء بأنه كان على الدوام رائدا « جريئا » لموضوع « الجنس » ، داعية الى معـالجته فى الأدب والقصـة بصراحة علمية ونفسية لم تـكن مألوفة فى عصره ، قبل شيوع نظريات « فرويد » ..

ذكريات صباه ، تلقى ضوءا على شخصيته

وقد ظهرت بوادر هذه الجرأة والصراحة عند لورنس قبل ان يكتب بواكير انتـاجه الأدبى ، **اذ تروى رفيقـة صـباه ويفاعته « جيسى تشيمبرز »** ـ وهى التى رسم على صورتها شخصية « ميريام » فى قصته المعروفة (أبناء وعشاق) ـ انهما عندما كانا يقرآن معا مسرحيـات « ابسن » بصـوت مسموع ، كانت تخجل من ان تنطق بعبـارة « يتخـذ له خليلات » الواردة فى المسرحية ، فكان لورنس يعنفها ويلومها من أجل هذا « الفرار من الواقع » !

كما روت « أشسا بروبستر » ـ صديقته فى مرحلة تالية من حياته ـ فى مذكراتها عنه ، ان احد معلميه فى المدرسـة وبخه ذات مرة لاستعمـاله لفظ « الحصـان الطلوقة » فى موضوع دراسى كتبه فى الفصل . وحين روى لورنس هذه الحكاية لمستر بروبستر وزوجته ـ والدى صديقته ـ بعد حدوثها بسنوات ، نكس رأسه كأنما خجلا من أجل الجمهور « الذى لا يستطيع مواجهة الحياة ! »

وقد كان لورنس فى شبابه خاضـعا لسلطان أمه ، التى كانت معلمة تنتمى الى طائفة (البيوريتان) المتزمتين ، ولم يكن تزمتها مقصورا على رفضها تعلم اللهجة العامية لاقليم (ميدلاندز) التى يتحدث بها زوجها وأصدقاء أطفالها ـ وقد كان زوجها من بيئة عمال مناجم الفحم ! ـ وانما جاوز ذلك الى منعها أولادها من التحدث بتلك اللهجة السوقية فى البيت!

وكان من الطبيعى ان تتطلب مثل هـذه الأم فى القصص

التى يؤلفها ابنها ان تكون ذات نزعة « طهرية » .. وفى هذا الصدد تروى « جيسى تشيمبرز » فى مذكراتها ان لورنس حين جعل بطل روايتـه الاولى **« الطاووس الابيض »** يغرر بالبطلة ويعتدى عليهـا ، واطلعت أمه على المسـودة الاولى للقصة ، شكت الى « جيسى » معربة عن ألمها لتصرف ابنها ، بقولها : **« تصورى ان « ابنى » انا يكتب مثل هذه الرواية ! »** .. ثم مرضت الأم واشتد عليها المرض فلم تقرأ « البروفة » الاخيرة للقصة ، وماتت قبيل صـدور الكتاب فى يناير عام ١٩١١ بنحو شهر واحد !

ومما يذكر فى صدد نشر هذا الكتاب ، ان لورنس حين فرغ منه ، دفع به الى الناشر المعروف « وليم هاينمان » الذى كان قـد « اجتـرأ » قبـل ذلك على نشر كتب « تولستوى » و « ابسن » ــ وكانا يعتبران يومئـذ من المؤلفين الذين تصدم كتبهما مشاعر الجمهور الانجليزى ! ــ فلما أوشكت مرحلة طبع (الطاووس الابيض) أن تتم ، أعاد الناشر الى لورنس صفحة ٢٣٠ من المخطوط ، طالبا اليه أن يحذف منها فقرة « قد تصادف اعتراضا من البعض » ، ويكتب بدلا منها عددا مماثلا من « الكلمات التى لا تحتمل اعتراضا من أحد » !

وكانت تلك اولى المصادمات بين نزعة لورنس المتحـررة وبين تقاليد مجتمعه المتزمتة . وقد استجاب فى تلك المرة لرغبة الناشرين ، لكنه ازداد تشددا معهم فى المستقبل ، وقل استعداده للمساومة ، كما سنرى !

على ان مؤلفات لورنس الاولى ــ سواء فى ذلك قصصه أو دواوينه الشعرية ــ استقبلت بوجه عام بالمديح والثناء من جانب كبريات الصحف البريطانية والامريكية .. أما النقاد فكان موقفهم مغايرا ، اذ توالت تعليقاتهم التى وردت فيها هذه العبارات والنعوت للورنس : « صريح أكثر من المناسب »

.. « ينحــو منحى زولا » .. « منحل » .. « ينزع الى الادب الجنسى » .. الخ .

الناشرون يتحكمون فى انتاجه !

وكانت نتيجة هذه الحملات ان خشى الناشرون من نشر انتاج لورنس كما هو ، بدون تعديل ، فكانوا اذا رفض اجراء التعديلات التى يطلبونها ، يعمدون هم أحيانا الى تعديل أو حذف العبارات التى لا تروق لهم . بل لقد تجــاوز الأمر هذا النطاق حين قدم لورنس روايتــه المعروفة **(أبنـــاء وعشاق)** الى ناشره « وليم هاينمان » ، فقد رفضها بأكملها .. بحجة انها « كتاب غير نظيف » !

لكن ناشرا آخر ، هو « دكورث » ، نشر (ابناء وعشاق) فى عام ١٩١٣ . وامتدحها أكثر النقاد ، ولو ان بعضهم انضم الى النــاقد المجهول لصحيفة (نيشن) اللنــدنية ، الذى أعرب عن نفوره من بطل القصة !

وكانت قصة لورنس التــالية ــ **(قوس قزح)** ــ أتعس من هذه حظا ، فقد رفضــها الناشر « دكورث » لأنهــا لم تعجب محــررا فى داره يدعى « ادوارد جارنيت » ! وكان جارنيت صديقا للورنس ، وقد اقترح عليه ان يعيد كتابتها بطريقة معينة ، لكن لورنس أبى ذلك .. وأخيرا قبلت دار ثالثة للنشر ، أكبر من تلك ــ هى دار « ميثيوين » ــ ان تنشر الرواية الحائرة !

وكانت (قوس قزح) ، كما وصــفها النــاقد المنصف ريتشارد ألدينجتون : « ثمرة صبر طويل ، وكتابة ــ واعادة كتابة ــ مركزتين .. وما من كاتب يبغى مجرد كتابة قصة « مكشوفة » يقبل بذل كل هذا الوقت والمجهود ! »

على ان القصة لم تكد تصدر ــ فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩١٥ ــ حتى انطلق النقاد يتصايحون : « انها أسوأ من قصص زولا ! »

.. « انها بذيئة » .. « فاجرة » .. « القذارة فيها تطغى على الفن » .. الخ

وانتهت هذه الحملة بأمر صدر فى ٣ نوفمبر الى المفتش « ألبرت دريبر » من (سكتلنديارد) **بمصادرة الكتاب** لدى الناشرين ، فصادر نحو الف نسخة وجدها لديهم ! .. لكن هؤلاء رحموا أعصاب لورنس فلم يخطروه بالملابسات والمتاعب التى تعرضوا لها . وفى ١٣ نوفمبر عرض النزاع على محكمة (باو ستريت) ، وكان دفاع الناشرين انهم أعادوا المخطوط الى المؤلف مرتين لمراجعته وتعديله ، فقام بالمهمة ، ثم « رفض أن يفعل شيئا آخر ! »

وبعد ان أعرب الناشرون عن أسفهم وقدموا الاعتذار الكافى ، أصدر القاضى حكمه باعدام النسخ المضبوطة فى غضون سبعة أيام ، والزامهم بالمصاريف وقدرها عشرة جنيهات . وهكذا ألفى لورنس نفسه **« كاتبا فقيرا سوف يظل الناشرون زمنا طويلا يتجنبون التعامل معه وينفرون منه ! »** .. فضلا عن المتاعب التى لحقته بسبب زواجه من « امرأة دخيلة ، من الاعداء » ، اذ كانت زوجته من أصل ألمانى ، فى وقت كانت فيه انجلترا مشتبكة فى حرب مع ألمانيا !

على ان مصادرة ذلك الكتاب كان وراءها سبب مستتر ، أهم بكثير من تهمة « الادب المكشوف » ، فقد ردد الاديب « ماى سينكلر » فى مجالسه ــ وكان أحد القلائل الذين دافعوا عن كتاب (قوس قزح) فى ذلك الحين ــ ان سبب المصادرة كان « سياسيا » ! .. كما يقرر الباحث « هارى مور » نقلا عن « ريتشارد ألدينجتون » ان **الدافع الحقيقى لمصادرة القصة هو انها تنطوى على نقد لاذع لوجهة النظر الاستعمارية فى حرب (البوير) ، الأمر الذى أدى الى اعاقة حركة تجنيد المواطنين للقتال فى تلك البلاد، فتراخت بصورة ملحوظة !**

.. وقد تسربت تلك الهمسات والاقاويل المكتومة الى الرأى العام العالمى ، حين نشرت احدى صحف نيويورك فى عام ١٩٢٠ مقالا بقلم « جلبرت كانان » صرح فيه بأن « هستيريا الحرب » هى المسئولة عن مصادرة (قوس قزح) !

على ان الضجة التى أثارها الكتاب لم تنته بمصادرته ، فقد وعدت « جمعية المؤلفين » بأن تتبنى قضية (قوس قزح) وتكافح لكسبها .. فى الوقت الذى اقترح فيه بعض أصدقاء لورنس عليه أن يرفع الأمر للقضاء العالى . لكنه كان مجردا من السطوة والنفوذ ، فلم يأخذ بالنصيحة .. على ان صديقا له — هو « فيليب موريل » ، عضو البرلمان البريطانى ، وعضو حزب الاحرار — **تقدم الى مجلس العموم فى جلسة ١٨ نوفمبر بسؤال فى صدد مصادرة الكتاب .** ختمه بالتساؤل عما اذا كانت قد اتيحت للمؤلف فرصة ممارسة حقه الشرعى فى دفع التهمة عن نفسه ؟ !

وبعد مناقشات « بيزنطية » استمرت طوال تلك الجلسة وامتدت الى جلسة أول ديسمبر ، اقفل باب المناقشة فى الموضوع ، دون الوصول الى نتيجة ايجابية !.. وبعد يومين ، صرح لورنس لليدى موريل — زوجة صديقه عضو البرلمان — بأن محاميا كبيرا نصحه برفع دعوى جنحة مباشرة ضد اثنين من النقاد الذين هاجموه ، لكنه عقب على هذه النصيحة بقوله : « ان روحى المعنوية لن تصمد للصراع ، فلقد ضقت ذرعا بهم ، ولن ابذل المزيد من نفسى ، حتى من أجل الانتصار عليهم ! »

سنوات الفقر .. والمذلة

وكان يأمل ان يفر من هذه المحنة الى أمريكا ، لكن المطاف انتهى به الى الاقامة فى اقليم (كورنوال) ، حيث عاش سنتين فى فقر مدقع ، ومذلة ، فضلا عن استهدافه للتجسس

عليه ، ولكافة صنوف الآلام التى تكاثرت عليه .. وفى تلك الاثناء صدرت فى أمريكا طبعة مهذبة من (قوس قزح) ، عام ١٩١٦ .. ولكن فيما عدا ذلك لم يقدم ناشر على اصدار اية قصة للورنس حتى عام ١٩٢٠ ، وان أصدر أحدهم له كتابا « بريئا » فى الرحلات ، وديوانا من الشعر ، بعد ان حذف منه ما رأى حذفه ! .. وفيما عدا مجلة « انجليش ريفيو » ، فقد تجاهلته أكثر المجلات وأعرضت عنه !

وزادت من حدة الحملة عليه معارضته لفكرة الحرب ، واعتباره اياها مجهودا عقيما وتضحية لا جدوى منها ، فى الوقت الذى كانت فيه انجلترا مشتبكة فى الحرب العالمية الطاحنة .. ولم يشفع له ان ابن‌عم زوجته المدعو « مانفريد فون ريشتوفن » كان أعظم أبطال المعارك الجوية فى تلك الايام ، فى الجانب الألمانى بالطبع .. بل لعل ذلك ضاعف موجة الكراهية له ، وأثار شكوك المسئولين فى وطنيته !

وأخيرا ، فى أكتوبر ١٩١٧ ، أمرت السلطات بنقل لورنس وزوجته من منطقة الساحل ، وألزمتهم بأن يتقدموا الى ادارة الشرطة فى لندن بانتظام كل فترة معينة .. **كما تزايدت حركة التجسس عليه ومضايقته** .. الى ان وجد مخرجا من هذا العذاب بالانتقال الى مسقط رأسه فى اقليم (ميدلاندز) ، حيث قضى المدة الباقية حتى انتهاء الحرب ، فقيرا ، محروما من كل فرصة لنشر انتاجه الادبى .

.. فلما استطاع مغادرة انجلترا ، بعد توقيع الهدنة العالمية بنحو عام ، فعل ذلك غير آسف ، وكان ذلك آخر عهده بالاقامة المستقرة فى وطنه .. ولو انه ادخر المزيد من المساجلات وجولات الصراع مع الرقباء الانجليز للأعوام التالية !

على ان جولته التالية كانت مع السلطات الامريكية لا الانجليزية .. فقد ابتاع منه ناشر جديد يدعى « توماس

سلتزر » قصته الجديدة ((**نساء عاشقات**)) ، كى ينشرها فى طبعة محدودة للمشتركين فيها فحسب ، فى نوفمبر ١٩٢٠ ، بعد ان ظلت القصة حائرة تبحث عن ناشر طيلة اربع سنوات !.. ثم أصدر الناشر طبعة عادية منها فى عام ١٩٢٢ ..

القارئة التى جلبت عليه الكوارث !

لكن المتاعب بدأت ذات مساء حين عاد « جون فورد » قاضى المحكمة العليا بنيويورك الى داره فوجد ابنته تقرأ (نساء عاشقات) . واذ ذاك ثارت ثائرته فحرض جماعة « الكتب النظيفة » وجماعة « مكافحة الرذيلة » على محاربة الكتاب . لكن حملتهم فشلت ، فربح الناشر المعركة ، بل وطالب بتعويض قدره عشرة آلاف جنيه استرلينى ! .. وكان عدد من اطباء نيويورك قد ادلوا بشهادتهم لصالح الكتاب ، فأصدر القاضى حكمه الذى ورد فيه « ان لورنس يحاول جادا اكتشاف القوة الدافعة للحياة . »

وبمضى الايام وتباعد ذكرى الحرب واجراءاتها الاستثنائية، خفت القيود وازداد التسامح والحرية ، فكلفت جامعة اكسفورد «لورنس» — فى مارس عام ١٩٢١ — بأن يؤلف لها كتابا دراسيا عن ((**اتجاهات التاريخ الاوربى**)) ، وان حرصت على اغفال اسم لورنس كمؤلف للكتاب، وابداله باسم مستعار !

ثم رحب الناشر الانجليزى «سيكر» بنشر قصة لورنس الخامسة ((**الفتاة المفقودة**)) ، بعد حذف بضع فقرات منها ، فكان ان فازت بجائزة جامعة (ادنبرة) لأحسن قصة فى العام ! .. واذ ذاك تشجع الناشر فأصدر (نساء عاشقات) فى لندن ، فى مايو ١٩٢١ .

.. وعندئذ قامت قيامة الصحف الانجليزية ! .. وكانت أعلى الصيحات تلك التى اطلقتها صحيفة (جون بول) الواسعة الانتشار ، اذ صدرت وفى رأس صفحتها الاولى

هذا العنوان : ((**كتاب يجب أن تصادره السلطات .. دراسة بغيضة للانحلال الجنسى ، تقود الشباب الى هاوية ليس لها قرار !**))

ولكن لم تمض أسابيع ، حتى تورط صاحب الصحيفة فى شر أعماله ، اذ قدم للمحاكمة بتهمة القذف والتغرير بالرأى العام ، ولم يفلح فى تحريضه على مصادرة الكتاب .. ورغم ان صحفا أخرى ، أكثر وقارا ، واصلت الحملة ضد (نساء عاشقات) ، فان أحدا لم يصادر القصة .. ولو أن متاعب أخرى لم تلبث أن تشعبت عنها ، حين هدد احد البارزين فى المجتمع الانجليزى يومئذ برفع دعوى ضد الناشر ، بسبب احتواء القصة على شخصية فيها تعريض ((كاريكاتورى)) بشخصه ، فاضطر ((لورنس)) الى تغيير ملامح تلك الشخصية فى الطبعة التالية للقصة !

وفى تلك الاثناء كان القضاء قد بدأ يخفف قبضته على الكتب التى يرفع أمرها اليه بغية مصادرتها .. وهكذا ربحت المعركة كتب مختلفة ، بعضها تافه رخيص مثل ((جورجين)) و ((بئر الوحدة)) ــ والأخير قصة وصفت فيها مؤلفتها ((رادكليف هول)) عشق امرأة لامرأة ! ــ ثم توجت هذه النزعة الى حماية حرية الرأى باطلاق سراح قصة ((جيمس جويس)) المشهورة (أوليسيس) فى عام ١٩٣٣ كما أسلفنا .

لكن لورنس ظل رغم الضجة التى كانت تثيرها كتبه ، أديبا من أدباء الخاصة أو الاقلية . لا يتمتع بشعبية بين القراء ولا يظفر بمديح يذكر من جانب النقاد والمعلقين .. وكان ايراده من انتاجه الادبى قد ارتفع الى نحو ألف جنيه انجليزى فى العام ، وهو مبلغ كان لا بأس به فى تلك الايام ، سيما بالنسبة لرجل معتدل ومقتصد فى نفقاته . **ولكن لورنس كان مثقلا بأعباء تنقلاته المستمرة ورحلاته فى انحاء**



واجهة البيت الذى ولد فيه «لورنس» (فى شارع فيكتوريا بمدينة ايستوود ، باقليم نوتنجهامشاير) يوم ١١ سبتمبر ١٨٨٥ ، حيث كان أبوه يعمل فى منجم للفحم الحجرى . وحين بلغ العاشرة انتقلت الاسرة الى منطقة (الشرخ) التى أشار اليها فى قصته (أبناء وعشاق) ، وقد وصفتها شقيقته «ادا» بقولها : « كان بيتنا فى نهاية صف من بيوت يملكها أصحاب المنجم .. وكانت تحيط به ، من ثلاث جهات ، حديقة عامرة بشجيرات الزبيب البناتى والورد الابيض .. »



حديقة قصر (جارسنجتون) الذى وضعته ((ليدى موريل)) تحت تصرف ((لورنس)) كى يقضى فيه بضعة أسابيع .. وقد كتب اليهـا رسالة شكر ، جاء فيها : ((انه مثل قصر أبطال ((بوكاشيو)) الذى رويت فيه قصص (ديكاميرون) .. ذلك المرج العجيب الملىء بالاشجار ، تتوسطه الدار القديمة ذات الواجهة العريقة الجميلة . انها من القدم بحيث تبدو بمثابة عالم صغير مستقل بذاته تماما ، يستطيع المرء فيه أن يفر من الاشياء الدنيوية التافهة ، كى يهتم بالامور الهامة ..))

القارة ، بحثا عن الصحة وسكينة النفس .. وخلال تلك الرحلات أتيحت له الفرص لملاحظة السلوك البشرى فى شتى مظاهره الجوهرية ، فلم يعجبه الكثيرمما رأى وسمع ، ولو أن قدرا كبيرا من انتقاداته للحياة فى عصره انما كان ثمرة تجاربه ومشاهداته الباكرة ، فى المراحل الاولى من حياته . كان قد رأى فى طفولته كيف تجنى على بعض الافراد روح التجنيد الجماعى التى تلازم التصنيع .. وبحكم نشأته بين بقايا غابة (شروود) ، رأى دخان مناجم الفحم الحجرى يلطخ جمال الطبيعة التى كانت من قبل فاتنة .. كما لمس كيف تغزو آلية الحياة عواطف البشر ، وتقتلها ، ولا سيما عاطفة الحب ..

على أن لورنس لم يقنع بالملاحظة السلبية ، وانما بحث عن العلاج لمشكلات المدنية ، فدرس الفلسفات الاجتماعية المتنافسة ـ كالفاشية والشيوعية ـ وانتهى بعد نقدها نقدا عميقا ، الى نبذها

.. على ان لورنس لم يلبث ان سئم محاولات قيادة الرأى العام فى المجال السياسى ، ووضع النظريات لاقامة دولة مثالية فاضلة (يوتوبيا) .. واكتشف فى النهاية حاجةالبشرية الى التعاون والمحبة ، أو على حد تعبيره فى عنوان بحث كتبه فى تلك الآونة : **((اننا فى حاجة الى بعضنا البعض)) . نعم ، كان الحب هو جواب الحيرة والتساؤل اللذين عانى منهماطويلا** .. « الحب العاطفى المنطلق ، لا الحب الذى تسيطر عليه الارادة ويلجمه العقل ـ والذى هو ثمرة حضارة كسيحة ـ وانما حب يحرق الخجل وجميع العوائق الاخرى التى تعترضه .. »

وكانت مقالات لورنس و « فلسفته » تجىء دائما فى مرحلة لاحقة للتعبير عن آرائه بالقصص والاشعار « .. ذلك ان الروايات والقصائد تنساب فى أول الأمر من قلم الكاتب غير

ملحوظة . . ثم يبدأ بعدها احساسه بالحاجة الى اتخاذ مسلك عقلى معين نحو نفسه ونحو الأشياء عموما ، ومن ثم يحاول أن يستخلص بضعة نتائج محددة من خبرته وتجاربه ككاتب وكانسان . »

وهكذا انسابت قصته (عشيق الليدى تشاترلى) من قلمه ، غير ملحوظة . . أو على حد تعبيره فى مقال له عنها : « عندما خلقت شخصيتى بطلى القصة – « كليفورد » ، و « كونى » – لم تكن فى ذهنى فكرة محددة عنهما وعن أسباب وجودهما ، وانما انساق بهما قلمى دون تكلف أو صناعة » . . أما الشخصية الثالثة فى القصة – وهى شخصية العشيق – فقد غير فيها لورنس وبدل ، خلال الطبعات الثلاث للقصة ، التى كتبها من أواخر عام ١٩٢٦ حتى أوائل عام ١٩٢٨ . . **بل ان التغيير تناول اسم العشيق ذاته ، فبعد ان أطلق عليه فى الطبعة الأولى اسم « باركين » ، غير الأسم بعد ذلك فجعله « ميلورز » !** . . وبعد أن كان « باركين » فى القصة الاولى أقرب الى الشخصية « الاجتماعية » ، صار الحافز الاجتماعى عند « ميلورز » فى القصة الثالثة ضمنيا أكثر منه صريحا مباشرا ، وبالتالى ازداد عنصر الحب رسوخا فى شخصيته .

ايطاليا ملاذ الأدباء المضطهدين !

وقد أدرك «لورنس» منذ البداية ان هذا الكتاب سيجلب عليه المتاعب من جانب سلطات الرقابة . . بل ان ناشريه أنفسهم رفضوا مجرد التفاوض معه فى أمر نشر الكتاب ، فلم يجد مفرا آخر الأمر من ان يتولى مهمة النشر بنفسه ، بمعاونة « كتبى » ايطالى فى (فلورنسا) يدعى « جيزيبى أوريولى » – (كما وجد « باسترناك » فى الاعوام الاخيرة لدى الناشر الايطالى « فيلترينيللى » العون الوحيد على

نشر قصته الكبرى « دكتور جيفاجو » ، قبل أن تذيع صيتها ضجة فوزه بجائزة نوبل !)

وقد طبع « اوريولى » الكتاب فى مطبعة صغيرة ، وكان عامل جمع الحروف الذى تولى صف حروفها يجهل الانجليزيه ، فوقع فى أخطاء مطبعية كثيرة مضحكة . وكان لورنس قد حذر الناشر من موضوع القصة وصارحه بمضمونها ، لكن هذا هز كتفيه فى غير مبالاة وقال : « أوه ، اننا نفعل هذا الذى ترويه القصة ، كل يوم ! » .. وتقول « فريدا » زوجة « لورنس » – فى صدد ظروف نشر القصة – **ان لورنس كان يتوقع « المحنة » التى تنتظره ، وانه كان « خائفا » .. لكنه ملك الشجاعة التى مكنته من المضى قدما فى طريقه !**

.. وقد عادت عليه المجازفة بالربح فى أول الأمر ، فان « المشتركين » لم يلبثوا أن استنفدوا الألف نسخة التى طبعت من الطبعة الأولى ، وقد بيعت النسخة منها بجنيهين .. ثم توالت الطبعات فحققت كلها رواجا طيبا ، ولو ان « قراصنة » النشر لم يلبثوا ان قطعوا على لورنس طريق الربح ، ولا سيما فى الولايات المتحدة ، فان منع نشر الكتاب فى انجلترا وأمريكا بصفة رسمية بواسطة كبار الناشرين المعتمدين قد فتح أمام القراصنة طريق استغلال المؤلف فى السوق السوداء !

طوفان من المتاعب ..

ولكن ، اذا كان الكتاب قد جاء عونا للورنس من الناحية المادية ، فانه كان السبب فى تدمير صحته . ذلك ان الارهاق العصبى الذى أصابه من جراء الهموم المترتبة على اشكالات نشر الكتاب ، والتحامه بسببه كل حين مع سلطات الرقابة ، قد عجل بموته .. فقد استمرت تلك الاشكالات طوال عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ، فى الوقت الذى كان فيه لورنس مريضا

بداء الصدر ، يتنقل بين جبال الألب السويسرية ، وشاطىء الريفيرا الفرنسية . وكان يتلقى كل يوم خطابات بهذا الشأن من شتى المصادر والطبقات .. من أصحاب المكتبات، والنقاد ، وعامه القراء ، فكان لورنس يخط على هوامشها تعليقات عاجلة ويحولها الى الناشر الايطالى « أوريولى » كى يتولى الرد عليها .. **وانه لمن سخرية القدر أن يشغل كاتب من حصب مؤلفى العصر الخلاقين – وكاتب مريض ! – بكتابة رسائل اداريه حضة** ، على نحو لم ينغمس فيه من أنداده سوى « كافكا » – الذى كان من « الكتبة » باحدى شركات التامين – و « اليوت » ، الذى كانت أعباء عمله كناشر ستنفد أكثر وقته !

وخلال عملية توزيع (عشيق الليدى تشاترلى) ، استمر لورنس فى كتابة أشعاره ، ومقالاته، وقصصه .. كما واصل مراسلاته العديدة مع أصدقائه فى انجلترا ، الذين أخفوا نسخا مهربة من الكتاب فى مساكنهم بلندن أو بيوتهم الريفية فى الضواحى .. ومن هناك كانوا يرسلونها بالبريد الى المشتركين الذين أرسلوا فى طلبها من فلورنسا .

أما فى أمريكا فكان حظ الكتاب أتعس ، لا بسبب قراصنة النشر وحدهم ، **وانما بسبب موظفى جمارك نيويورك ، الذين كانوا يصادرون النسخ المرسلة بالبريد ، ثم يبيعونها خلسة فى السوق السوداء بضعف ثمنها !** .. فاضطر لورنس آخر الأمر الى توصية ناشره الايطالى بأن يغلف النسخ قبل ارسالها بغلافات مزيفة لكتب أخرى لا غبار عليها !

.. فى الوقت الذى واصل فيه أعداء لورنس حملاتهم ضده وضد الكتاب فى مختلف الصحف، وفى مقدمتها صحيفة (جون بول) .. كما ضيق أعداؤه من رجال السلطات والمسئولين الخناق على المنافذ التى تتسرب منها كتبه ومطبوعاته الى البلاد ، فأقاموا حصارا محكما اشركوا فيه مفتشى

(سكوتلنديارد) ، وموظفى البريد والجمارك .. وفى يوم ٧ يناير عام ١٩٢٩ ارسل لورنس من جنوب فرنسا ، بالبريد المسجل ، مخطوط ديوانه الشعرى الجديد الى وكيله فى لندن، وكتب على المظروف ما يوحى بانه يحوى أوراقا ومستندات خاصة ببعض الاعمال .. لكن المخطوط وقع لسوء حظه فى أيدى مفتشى البوليس ، فصادره وزير الداخلية ولم يسلمه الى الناشر الا بعد أن أشر بحذف ١٤ قصيدة منه !..وصدر الديوان بالفعل على تلك الصورة الناقصة المشوهة ، لكن صديقا المؤلف لم يلبث ان أصدر طبعة محدودة (من خمسمائة نسخة) من الديوان بأكمله ، فى صورته الاصلية الكاملة ، فكان ربح لورنس منها خمسمائة جنيـه ، اذ كان اجراء وزير الداخلية بحذف بعض القصائد خير دعاية أعانت على ترويج الديوان !

١٢ ألف زائر ، لمعرض لوحاته !

وفى ذلك العام ــ ١٩٢٩ ــ تعرض لورنس لمحنة أخرى مع سلطات الرقابة ، بسبب المعرض الذى أقيم لرسومه ولوحاته فى قاعة (وارين جاليرى) بحى (ماى فير) . وقد سافرت زوجة لورنس « فريدا » الى لنـدن لحضـور المعرض ، أما لورنس نفسـه فانه اتجه الى ايطاليا لزيارة صديقه « ألدوس هكسلى » وزوجته . وقد افتتح المعرض فى ١٤ يونية ، فى الوقت الذى ظهرت فيه طبعـة ملونة من لوحاته فى كتاب . **وخلال الاسـابيع الثـلاثة التى ظل فيهـا المعرض مفتوحا للجماهير ــ قبل أن تغلقه سـلطات البوليس فى ٥ يوليو ــ زاره اثنا عشر ألف شخص**، وفى هذه المرة جاء دور نقاد الفن كى يهاجموا لورنس ، من الناحيتين الفنية والاخلاقية . وفى الخامس من يوليو أقبل رجال الشرطة فنزعوا ١٣ لوحة، كما أخذوا أربع نسخ من الكتاب الذى يضم طبعة ملونة من لوحات

رجال "أرامكو"



تحتاج صناعة الزيت الى كثير من المعلومات . فسجلات الضغط والحرارة التى تؤخذ من المناطق التى تحتوى على الزيت داخل الارض هامة جدا . وتظهر هذه المعلومات الحالات التى بموجبها تعرف نسبة انتاج الزيت فى باطن الارض .

والسيد عبد الرحمن سليمان العجاجى هو المشرف على الموظفين الذين يقومون بهذه القياسات . ومن عمله فحص الالات ومعرفة دقتها بمقاييس ثابتة كما يظهر فى الصورة .

وقد التحق السيد عبد الرحمن فى شركة ارامكو فى عام ١٩٤٨ ، فعمل فى فرقة قياس الحرارة والضغط ، ثم فى مراكز فرز الغاز من الزيت حتى أصبح مشغلا أعلى خارج الورشة . وفى اوائل هذا العام عاد الى العمل فأصبح مشرفا بقياسات الحرارة والضغط.

وقد درس السيد عبد الرحمن سبع سنين فى بلدة ظرما فى نجد. وبعد ان التحق بشركة ارامكو واصل دراسته خلال ساعات العمل وبعدها فى مدارس الشركة ، حيث درس الجبر والهندسة والعلوم الطبيعية بالاضافة الى اللغتين العربية والانجليزية فساعدته هذه الدروس على التقدم المستمر .

وقد سافر السيد عبد الرحمن أخيرا الى الولايات المتحدة الامريكية اذ مهدت له الشركة السبيل ليعمل هناك لمدة سنة يتمرن خلالها على أعمال تسجيل الحرارة والضغط فى حقول متعددة للزيت وسيعود الى ارامكو حاملا معه مزيدا من المعلومات والخبرة فى هذا الباب .

الروائى الشاعر الرسام « د. ه. لورنس » .

وعرضت الدعوى الخاصة بتلك الرسوم فى ٨ أغسطس أمام القضاء . وكان القاضى فى الثانية والثمانين من عمره ، فرفض الاستماع الى شهود الدفاع من خبراء الفن .. فى الوقت الذى طالب فيه الاتهام باحراق اللوحات المصادرة ! .. وأخيرا صدر الحكم بتسليمها الى أصحاب المعرض ، ولكن بشرط الامتناع عن عرضها !

« ألدوس هكسلى » يخف الى نصرته ..

ومن ايطاليا ، حيث كان لورنس يستشفى من دائه ، ارتفع صوت الفنان المضطهد يلعن قومه ـ الذين لم يقدر له أن يلتقى بهم ثانية فى موطنهم ـ ففى ديوانه التالى ، سخر لورنس من نقاد الفن، والرقباء، وجماهير الشعب البريطانى ! .. ثم انضم اليه « ألدوس هكسلى » فى مقال نشره فى نوفمبر ١٩٢٩ بصحيفة (فانيتى فير) الامريكية ، كما دافعت عنه الأديبة « ربيكا وست » فى صحيفة أمريكية أخرى تدعى (بوكمان) ، ووصفت منع عرض اللوحات بأنه « عمل ينطوى على عدم التبصر الى درجة مفزعة ، **فى حق فنان لعله أعظم عبقرى فى عصرنا .. وهو من الحساسية بحيث يكفى هذا الحادث كى يشل انتاجه الأدبى والفنى . »**

على ان لورنس خرج من محنة منع عرض لوحاته ، محطم الاعصاب ، ممرور النفس ، متفاقم العلة .. وكانت تلك هى الفترة التى شكا فيها الى صديقه « ايرل بروستر » بقوله ، وهو يتحسس صدره بأصابعه : « ان الكراهية التى أثارتها كتبى ترتد الى وتنشب مخالبها هنا ! »

ولم تمض أسابيع، حتى قضى عليه داء الرئة ـ فى ٢ مارس ١٩٣٠ ـ فى ضاحية (فينس) ، من ضواحى (نيس) بفرنسا ، قبل أن يكمل عامه الخامس والاربعين .. ورغم قصر

عمره ، وضعف صحته الهشة ، فقد عاش حياته مشتعل النشاط والحمية ، عملاقا فى طاقته الانتاجية الجبارة ، **فترك وراءه نحو خمسين كتابا ، فى شتى فروع الأدب والكتابة : فى القصة الطويلة ، والقصيرة ، والمسرحية ، والشعر ، والمقالة ، وأدب الرحلات** .. وقد اعانه على الابداع فى هذا اللون الاخير من الكتابة انه قضى أكثر حياته متنقلا بين القارات الخمس ، سعيا وراء انتجاع الصحة التى كان محروما منها .. فزار الكثير من بلاد اوربا ، كما **زار استراليا ، والهند ، والولايات المتحدة الامريكية ، والمكسيك** .. الخ

على ان قصة لورنس مع سلطات الرقابة لم تنته بانتهاء حياته .. فبعد وفاته بأقل من أسبوعين ، شن عليه الشيخ الامريكى السناتور « ريد سموت » حملة فى مجلس الكونجرس ، خص فيها بهجومه قصة (عشيق الليدى تشاترلى) بوجه خاص ، فتصدى له السناتور « برونسون كاتنج » بالقول ان من يبغى تصيد المثالب والاخطاء ، لا يصعب عليه ان يجد فى (التوراة) نفسه فقرات تخدش الحياء ! .. وفى احدى الحملات التى أثيرت حول أدب لورنس ، تصدى للدفاع عنه الناقد الكبير المعاصر **« ت . س . اليوت »** ـ الفائز بجائزة نوبل ، والذى كان مذهبه فى النقد محل معركة بين نقادنا العرب فى القاهرة منذ أسابيع ـ فقال عنه : **« ان تأثير لورنس على عصره يفوق تأثير اى أديب من معاصريه ! »**

« لورنس العرب » يؤيد « لورنس » الأديب ..

وثمة دفاع آخر عن لورنس ، خطه قلم سميه « ت . ا . لورنس » ـ المعروف باسم **« لورنس العرب »** ، ومؤلف الكتاب المشهور (أعمدة الحكمة السبعة) ـ وقد كتبه فى رسالة له غداة وفاة لورنس الأديب مباشرة ، (أو على وجه التحديد يوم ٣ مارس ١٩٣٠) ، وجاء فيه : « ان مغزى قصة

(عشيق الليدى تشاترلى) هو ان اعتبار « الجنس » امرا مخجلا محتقرا ، انما يفقد الرجال ما ينبغى أن يكون موضع فخرهم وقوتهم الحيوية ، واعتزازهم بالحياة .. »

وفى بحث علمى صرف ، موضوعه « علم فلسفة اللغة » نشره البروفيسور « ألين ووكر ريد » فى مجلة (اميريكان سبيتش) — عدد ديسمبر ١٩٣٤ — قال الباحث الكبير : « وهناك محاولة جريئة لتجاهل اعتبار الجنس من المحرمات، قام بها « د . هـ . لورنس » فى قصته الطويلة المعروفة (عشيق الليدى تشاترلى) .. فنحن نرى فى هذه القصة الفارق الصارخ بين استعماله هو للألفاظ الشائكة فى بساطة مخلصة ، وبين استعمال نفس الألفاظ من جانب أولئك الذين يتجرون بالجنس باعتباره سرا قذرا ! .. واذا استطاع الناس فهم مغزى استعمال لورنس لتلك الكلمات ، فان كتبه سوف تقرأ يومئذ كما ينبغى أن تقرأ ، وكما بدأ كثير من الناس فى قراءتها بالفعل . »

ومنذ أعوام قليلة ، أشار صديق لورنس القديم **« ألدوس هكسلى »** فى كتابه (شياطين لودون) الذى نشر عام١٩٥٢ ، الى الفارق بين « الجنس فى جنة عدن ، والجنس فى أعماق المجارى القذرة » .. فقال : « ان فى أمور الجنس عنصرا بريئا ، وعنصرا آخر قذرا وضيعا .. وبينما أبرز مؤلف مثل « جان جينيه » العنصر الأخير ، بقوة مخيفة وتفصيل وافر غزير ، **نرى « د . هـ . لورنس » قد كتب عن العنصر الأول — الجنس الذى يمت الى جنة عدن — كتابة هى آية فى الجمال والروعة ! »**

وقد كتب لورنس نفسه بحثا فى هذا الصدد تحت عنوان « الأدب المكشوف ، والبذاءة » أثناء اقامته فى أقليم (بافاريا) الالمانى ، فى ضيافة الطبيب والكاتب المسرحى «ماكس موهر» — فى الفترة بين أواخر أغسطس ومنتصف سبتمبر ١٩٢٩ —

قال فيه : «ان ما يعتبر بذاءة من كاتب ، قد يسمو الى مرتبة « العبقرية » اذا صوره كاتب آخر ، بطريقة أخرى .. واذا رجعنا الى أصل مصطلح « الأدب المكشوف » فى لغتنا الانجليزية ، نجده مشتقا من لفظ « عاهرة » .. ولكن من هى « العاهرة » فى أيامنا هذه ؟ .. اذا كانت هى المرأة التى تتقاضى المال من رجل فى نظير أن تصحبه الى الفراش ، **فما أكثر الزوجات اللواتى «بعن» أنفسهن بالمال ، فى الماضى ، وما أكثر المومسات اللواتى « منحن » أنفسهن لرجال ، بدافع عاطفى ، دون أدنى مقابل ! »**

وفى بحث آخر عنوانه «بصدد (عشيق الليدى تشاترلى) » — وقد كتب لورنس جزءا منه كمقدمة لطبعة ١٩٢٩ من القصة ، التى صدرت يومئذ فى باريس ، ثم توسع فيه ونشره كنبذة مستقلة فى لندن فى يونية ١٩٣٠ — قال لورنس عن « سير كليفورد » (زوج الليدى تشاترلى فى القصة) :

الشلل العاطفى ، أنكى من الشلل الجسمانى !

« **لقد** سئلت عدة مرات عما اذا كنت تعمدت ان أجعل الزوج فى القصة يصاب بالشلل ، وهل كان قصدى من ذلك رمزيا ؟ .. وقال نقاد وأدباء آخرون انه كان الأفضل أن أترك الزوج سليما قويا ، وأجعل المرأة تهجره مع ذلك .. وردى على ذلك اننى لست أدرى اذا كنت تعمدت تلك الرمزية أم لا .. وان يكن المؤكد أننى لم أتعمدها فى البداية ، حين خلقت شخصية سير كليفورد ، فعندما خلقت «كليفورد» و «كونى» لم تكن عندى أدنى فكرة عن حقيقة شخصيتيهما ، أو سبب وجودهما .. وانما جاءا هكذا عفوا ، كما وصفتهما . وقد أعدت كتابة القصة من بدايتها الى نهايتها ثلاث مرات ، وحين قرأتها بعد المرة الأولى ، أدركت **أن عرج كليفورد كان**

رمزا للشلل .. للشلل العاطفى أو النفسانى ـ الأعمق من شلل الجسم ـ الذى يصيب اليوم أكثر الرجال الذين من طبقته وعلى شاكلته ! .. وأدركت أننى قد أظلم « كونى » وأسىء اليها لو أصبته بالشلل الجسمانى ، فان ذلك يجعلها أكثر ابتذالا لو هجرته .. غير أن القصة سارت فى مجراها هكذا من تلقاء نفسها ، فتركتها كما هى .. وسواء سمينا ذلك « رمزية » أم لا ، فانها كانت السياق الذى لا مفر منه للقصة ..

« وأنا أكتب هذه السطور بعد نحو عامين من انتهائى من القصة ، لا بغرض الايضاح أو التبرير ، وانما لاظهار « المعتقدات » العاطفية التى أملت على مواقف القصة ، والتى قد تكون ضرورية كاطار خلفى لها .. فأنا لم أكتبها لرغبة سخيفة فى اثارة حيرة القارىء العادى وبلبلته ، ولم استخدم فيها بعض الألفاظ «المحرمة» لغير ما سبب وجيه ، وانما كان يحدونى الاعتقاد الجازم **بأننا لن نحرر الحقيقة العارية من الصبغة الزائفة التى تغطيها ، الا اذا وصفناها بأوصافها العارية وألفاظها « البذيئة » !** .. وان أكبر كفر بالحقيقة العارية لهو ذلك «التسامى بها الى مستوى أعلى» .. فاذا تزوجت الليدى تشاترلى من البستانى مثلا ـ وهى لم تفعل ذلك بعد ـ فلن يكون ذلك منها « بغية الكيد والتحدى » لفوارق الطبقات ، وانما ستفعله مضطرة ، « بالرغم من » هذه الفوارق ! »

ثم يمضى لورنس فى الدفاع عن القصة ، فيقول : « بالرغم من كل الحملات التى وجهت الى ، فانى أقدم هذه القصة باعتبارها كتابا مخلصا ، موفور الصحة ، بل ضروريا لنا فى هذه الأيام . فان ألفاظها التى تصدم لأول وهلة ، لا تعود تصدم على الاطلاق بعد فترة وجيزة .. **وما ذلك الا لأن**

هذه الألفاظ انما تصدم « العين » فحسب ، لكنها لا تصدم « العقل » بتاتا . قد يصدم بها القراء المجردون من العقل . لكن هؤلاء لا وزن لهم . أما ذوو العقول فانهم يدركون أن ألفاظ القصة لا تصدمهم ، ولم تصدمهم حتى عند قراءتهم اياها لأول مرة .. بل انهم يحسون ازاءها بشعور من الارتياح . وهذه هى الحقيقة الجوهرية فى الموضوع : فنحن اليوم قد جاوزنا فى ثقافتنا وتطورنا حدود المحرمات التى كانت سائدة فى عصر الحروب الصليبية مثلا ، يوم كانت للألفاظ فى ذاتها قوة وقدرة على الاثارة . **وهذه القدرة على الاثارة كانت لها خطورتها على ذوى العقول المعتمة والطبائع الحادة العنيفة ، من أهل العصور الوسطى** . أما نحن ، فان ثقافتنا لا تدع للألفاظ المجردة سوى رد الفعل العقلى فحسب ، وتحمينا من رد الفعل الجسمانى العنيف المتهور الذى قد يهدد حدود اللياقة الاجتماعية !

« ففى الماضى كان الناس من ضعف العقل أو فجاجته بحيث لا يفرقون بين الفكر والفعل ، بين الكلمة والتصرف . أما نحن ، فقد علمتنا الثقافة والمدنية أن «الفكرة» لاتستتبع حتما « الفعل » ، وانما هما شكلان منفصلان من أشكال الوعى .. حياتان منفصلتان نحياهما . فنحن أثناء تفكيرنا ، لا نقدم على فعل ، وحين نقدم على فعل ، لا نفكر ! .. والهدف الاصلى لهذه القصة هو اننى أريد من الرجال والنساء على السواء أن يكونوا قادرين على التفكير الجنسى الصحيح ، السليم ، المخلص ، النظيف . »

٣ طبعات أصيلة .. وعشرات الطبعات « المزيفة » !

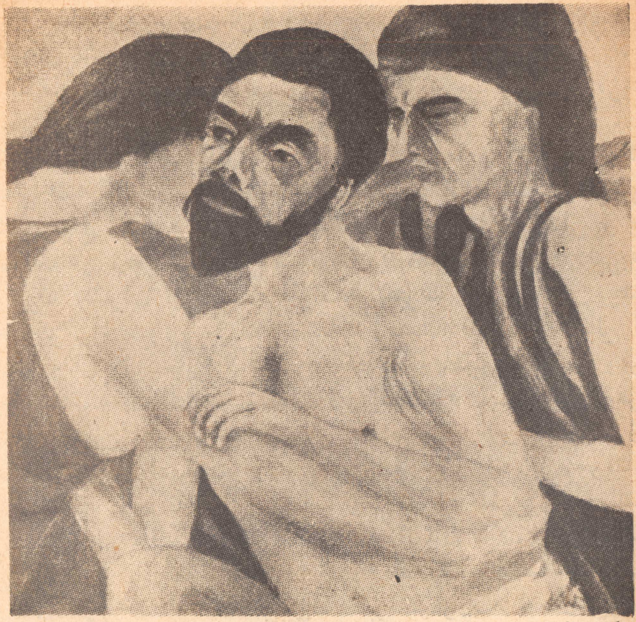
والآن ، تعال نقرأ هذا التلخيص « المهذب » للقصة التى أحدثت كل تلك الضجة فى الدوائر الأدبية العالمية ، وكل ذلك الأذى والمتاعب لصاحبها ! .. والتلخيص التالى مأخوذ من الطبعات الثلاث ــ أو « القوالب » الثلاثة المتباينة ــ

للقصة ، فهو يجمع أهم المواقف والوقائع التى تضمنتها تلك الطبعات ، والتى كان لورنس - فى حيرته بينها ، وعدم استقراره على قالب واحد نهائى منها - يحذف بعضا منها فى طبعة ، ليوردها ويحذف سواها فى طبعة أخرى .. وهكذا ! .. بل انه عدل وبدل فى إسم بطل القصة نفسه كما أسلفنا ، فجعله « باركن » فى طبعة ، و « ميلورز » فى طبعة أخرى !

والواقع أن هذه القوالب الثلاثة هى التى كتبها لورنس نفسه ، وذلك بخلاف القوالب والطبعات العديدة الأخرى التى زيفها عليه « القراصنة » - كما أسماهم - سواء من الانجليز أو الأمريكيين ، وهم الناشرون غير الشرفاء الذين راحوا يعيثون فى القصة تعديلا وتحويرا وافسادا ، **وفق هوى قرائهم وهوى نزعاتهم التجارية وهوى سلطات الرقابة فى بلادهم ، ثم طبعوها دون اذن من مؤلفها - ودون أن يدفعوا له أى مقابل - وباعوها فى « السوق السوداء » بأسعار خيالية ، بلغت فى بعض الأحيان خمسين دولارا للنسخة الواحدة (أى نحو ١٧ جنيها مصريا) !**

وقد عرض بعض الناشرين الانجليز على لورنس فى عام ١٩٢٩ ان يعد لهم طبعة خاصة ، وفق شروط ومواصفات معينة رسموها له ، مقابل مبلغ سخى من المال . وبدأ لورنس بالفعل فى اعداد الطبعة المطلوبة ، ثم لم يستطع الاستمرار فى المحاولة ، وقال « للجلاديه » : **« مستحيل ! .. انه لأهون على أن أجدع أنفى بالمقص .. فقد أحسست بالقصة تكاد تنزف دما ! »**

ومن الطبعات التى وقعت فى يدى لهذه القصة ، طبعة أمريكية عثرت عليها فى أحد أكشاك فناء محطة (فرانكفورت) بألمانيا ، فى ديسمبر ١٩٥٨ ، وقد ذيلت بفصل ممتع بقلم زوجة لورنس الألمانية « فريدا » ، التى تركت زوجها الاول وأطفالها الثلاثة لتتزوج من الأديب الانجليزى الذى كان يومئذ « نكرة ، فقيرا » .. **واليك فقرات من مقالها :**



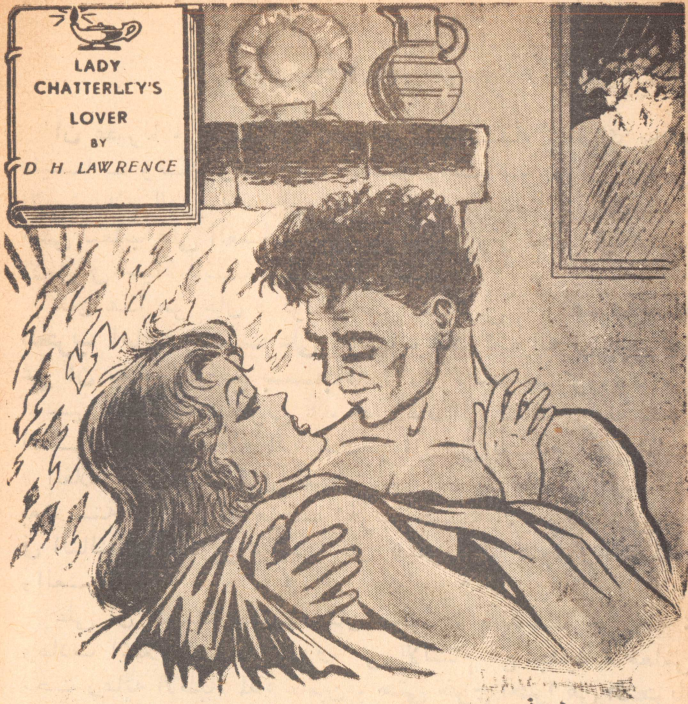
كان «لورنس» رساما ، الى جانب كونه روائيا ، وشاعرا . وهذه احدى لوحاته الست والعشرين التى عرضها عام ١٩٢٩، وسماها «البعث» . وقد كتب عنها الى صديقه «ايرل برويستر» فى ٢٨ مايو ١٩٢٧ يقول «لقد فرغت من لوحتى «البعث» ، وهى تعجبنى . انها تصور المسيح ينهض من القبر ، أغبر الوجه ، تعاونه أمه من الخلف ، وتسنده مريم المجدلية الى صدرها من الامام .» .. وكان لورنس قد بدأ محاولاته الاولى الجادة فى الرسم ، فى خريف ١٩٢٦ ، فى ايطاليا .. حين أعطته «ماريا هكسلى» — زوجة صديقه الروائى المعاصر «الدوس هكسلى» — بعض قماش لرسم اللوحات عثرت عليه فى الفيللا التى استأجراها فى ذلك العام .. فبدأ لورنس يرسمها فى نفس الوقت الذى بدأ فيه يكتب قصته «عشيق الليدى تشاترلى» .

« منذ عرفت لورنس ، وهو يحلم بأن يكتب قصة (عشيق الليدى تشاترلى) ، ولقد كتبها فوق تلال (توسكانيا) ، فى غابة من غابات أشجار الصنوبر الوارفة ، حيث كان له فراش حجرى داخل كهف صغير ، ومنضدة حجرية أصغر ، ونبع ماء قريب . **كان المكان ساحرا ، ولا سيما فى الربيع ، وكان يمضى اليه كل صباح ليكتب ، فيسير بمحاذاة أشجار الزيتون حتى يبلغ شجرة الصنوبر الظليلة .. وهناك يجلس ، على بساط من زهر البنفسج ، وأزهار « الجلاديوليس » البرية ، وحوله الثيران البيضاء الوادعة تحرث الأرض ..** يجلس بلا حراك ، سوى حركة انسياب ريشته السيالة . ويبلغ من سكونه أن السحالى لا تحس بوجوده ، فتروح تجرى وتمرح بين ساقيه ، والطيور والعصافير الصغيرة تحجل على مقربة منه . وبين حين وآخر يجفل صياد عابر حين يفاجأ برؤية هذا المخلوق الصامت ! .. وكان الفلاحون القلائل حولنا فى تلك البقعة المنعزلة يميلون اليه ، رغم نفوره الغريزى ، ويبدون استعدادهم لخدمته . وكل يوم ، بعد الغداء ، كنت أقرأ ما كتبه فى الصباح .. فكانت تدهشنى مقدرته الفائقة على خلق شخصيتى القصة المتنافرتين : سير كليفورد ، وحارس الغابة .. الشخصيتين اللتين عاش فى صحبتهما ثلاث سنوات — من ١٩٢٥ الى ١٩٢٨ — وهى السنوات التى استغرقتها كتابة الطبعات الثلاث ..

« وحين وافاه أجله ، مات لورنس ، دون أن ينهزم ! .. **فانه لم يفقد يوما ايمانه بالحياة ، ولم يفعل شيئا لا يرغب فى فعله — وما كان بوسع أحد ، أو قوة ما ، أن تجبره عليه ! — ولا كتب يوما كلمة لم يكن يعنيها ساعة كتبها .. أو دخل فى مساومة مع القوى الحقيرة التى ناوأته ..** والخلاصة ، انه لو كان قد عاش يوما على ظهر الأرض رجل حر ، أبى ، فقد كان زوجى « لورنس » ذلك الرجل ! »

وفى هذا القدر الكفاية ..

حلمى مراد



د . هـ . لورنس

عشيق الليدي تشاترلي

القصة الخالدة التي أثارت أكبر ضجة عالمية في عام ١٩٦٠
.. ثم فازت بحكم البراءة !

تلخيص : رمسيس شكري
تنقيح : حلمي مراد

- ١ -

ان عصرنا ، بطبيعته ، عصر حزن وشقاء ، لذلك يجب علينا - وقد ولدنا بين خرائبه وانقاضه - أن نرفض الاستسلام للهزيمة ، وان نبذل كل ما بوسعنا من جهد ، حتى نتغلب على العقبات التى تواجهنا ، وأن نحيى فى انفسنا الأمل فى حياة باسمة ومستقبل أفضل !

كان هذا هو حال « كونستانس تشاترلى » ، **فقد قوضت الحرب آمالها وقضت على أمانيها ، فأدركت انه لم يبق لها غير ان تجابه الواقع بشجاعة !** .. كانت قد تزوجت من « سير كليفورد تشاترلى » ، حين عاد الى بلدته من ميدان القتال ليقضى عطلة لمدة شهر ، رحل بعدها الى اقليم « الفلاندر » حيث كان القتال يدور .. ثم عاد من الميدان بعد ستة أشهر وقد مزقت الحرب جسمه !.. وكانت زوجته فى الثالثة والعشرين ، بينما كان كليفورد لم يتجاوز التاسعة والعشرين !

على ان تشبثه بالحياة كان عجيبا ، فاندملت جروحه ، وعادت اشلاء جسده الممزق الى الالتئام من جديد ، فعاش تحت رعاية الأطباء لمدة عامين ، **حتى خرج أخيرا من التجربة كسيحا يجلس على مقعد متحرك .. فقد شل نصفه الاسفل .. وفقد رجولته !**

وكانت حياته عزيزة وغالية عليه ، فقد نجا من الموت بأعجوبة ، وكان واضحا فى عينيه البراقتين اليقظتين، مقدار شعوره بالزهو لبقائه حيا .. غير ان عواطفه ومشاعره كانت قد ماتت واندثرت ، وحل مكانها فراغ قاتم كئيب !

أما زوجته « كونستانس » - أو « كونى » كما كانوا يطلقون عليها - فقد كانت فتاة جميلة ، تبدو على وجهها

مسحة من الارهاق ، ذات جسد فائر ، وعينين واسعتين تفيضان عذوبة وجاذبية ، وصوت ناعم لين النبرات . وكان والدها « سير مالكولم ريد » ضابطا كبيرا بالجيش ، قبل أن يحال الى الاستيداع .

وقد عاشت كونى واختها « هيلدا » - منذ نعومة أظفارهما - فى جو مشبع بالفن والافكار الاشتراكية ، **فقد ارسلهما والدهما الى (باريس) .. و (فلورنسا) .. و (روما) ، ليستنشقا الفن فى عقر داره .. كما اتجها الى (لاهاى) و (برلين) حيث كانت الدعوة الاشتراكية قد بدأت تنتشر ،** وحيث كان يحق لكل انسان - أيا كانت لغته وجنسيته - أن يروج لأى مذهب أو مبدأ ، دون ان يعترض عليه أحد !

وقد كانت الشقيقتان فى نحو الخامسة عشرة من عمرهما عندما ذهبتا الى (درسدن) لتتعلما الموسيقى والرسم ، وغيرهما من الفنون .. وهناك عاشتا فى انطلاق وحرية ، واختلطتا بغيرهما من الطلبة ، وتناقشتا فى الأمور الفلسفية، والاجتماعية ، والفنية .. والجنسية ! .. وذاقتا طعم الحب فى سن الثامنة عشرة ، تحت ظلال الاشجار الوارفة فى المتنزهات العامة ، بين أحضان شابين ألمانيين ، رأيا ان استسلام الأختين لهما ، بمثابة دليل منهما على اتساع مداركهما وتفكيرهما !

***

وحين نشبت الحرب ، اضطرت كونى وهيلدا الى العودة الى وطنهما .. وهناك تقدم كليفورد بطلب الزواج من كونى، التى أعجبت به ، لوسامة وجهه وطول قامته واتساع كتفيه .. فتم زفافهما عام ١٩١٧ ، وقضيا شهر العسل وقد

رفرفت عليهما السعادة .. رغم ان كليفورد كان ــ بطبعه ــ لا يعير المسألة الجنسية أى اهتمام ، وظل لم يقرب امرأة الى أن تزوج .. وفيما عدا ذلك كان الزوجان متقاربين ، متفاهمين ، يربط بينهما رباط من العاطفة العميقة !

- ٢ -

.. **فلما** وقعت الكارثة ، وأصيب كليفورد بالشلل ، اقترح على كونى أن يعيشا فى ضيعته (رجبى هول) ، حيث كان يملك قصرا قديما ، شيد فى منتصف القرن الثامن عشر ، فوق ربوة عالية ، وسط متنزه كبير ، يحيط به سور كثيف من أشجار السنديان .

ولم تجد كونى فى مقرها الجديد الهدوء الذى كانت تنشده .. وشكت مرارا لكليفورد من الضوضاء التى كانت تصدر من المناجم والمصانع التى فى القرية المجاورة ، ومن الغازات والروائح الكريهة المنبعثة من مداخنها ، والتى كانت الريح تدفعها نحو القصر ، فتنتشر فى حجراته .. **كما احست كونى ان محاولاتها لاكتساب ثقة وصداقة زوجات المعدنين من أهل القرية قد قوبلت ــ رغم مظاهر الود ــ بستار من الزيف ، والشك ، وعدم الاطمئنان !**

أما كليفورد ، فقد كان ينظر الى الأمر من وجهة نظر مغايرة ، اذ كان يؤمن ايمانا راسخا بأن تلك الفئة من العمال لا تستحق من أمثاله سوى الاحتقار والاهمال !

وصار كليفورد يعتمد على زوجته اعتمادا كليا ، فرغم ضخامة جسمه وقوة بنيته ، فانه كان يحس وهو بعيد عنها بالعجز والضياع .. ويشعر بالحاجة الى وجودها بجانبه ، كى يشعر بأنه ما زال حيا !.. كانت لا تفتح عينها فى الصباح الباكر ، حتى يناديها لتخرج به للنزهة فى الحقول ، فتستجيب

له فى فتور وعدم اكتراث ، وتدفع مقعده المتحرك مسافات طويلة فى العراء ، ثم يعودان الى القصر ليتناولا طعام العشاء .

وكان كليفورد ــ رغم نكبته ــ طموحا ، فأخذ يؤلف ويكتب قصصا ومسرحيات واقعية ، تدور حوادثها حول شخصيات من معارفه وأصدقائه ، **وكانت قصصه قوية الحبكة ، جيدة البناء ، غير انها كانت مفعمة بالحقد .** وقد تسابقت معظم المجلات العصرية الى نشرها . على أن كليفورد كان شديد الحساسية نحو النقد الذى كانت تتعرض له قصصه أحيانا من بعض النقاد ، وكان يطلب من الجميع أن يقرظوها ويثنوا عليها !

***

وفى احدى الأمسيات حضر والد الزوجة ــ «سير مالكولم ريد » ــ الى القصر لتمضية عطلة الاسبوع ، فهاله شحوب وجه ابنته ونحول جسمها ، وأدرك ــ وهو الرجل المجرب الخبير ــ حقيقة علتها .. فربت على كتفها بحنان ، قائلا فى مرارة : « لست أدرى يا كونى الى متى سوف تظلين فى هذا الموقف المذل ! ؟ » .. فنظرت اليه كونى متسائلة : « ماذا تعنى يا أبى ؟ » ، فأجابها بصراحته المعهودة : « من الخطر أن تعيش المرأة هكذا ، نصف عذراء ! » .. فاندفع الدم الى وجهها ، وغمغمت : « نصف عذراء ؟ .. وماذا فى ذلك ؟ » .. فأردف ببطء : « اذا كنت تجدين الراحة فى هذا .. »

لكنه لم يجد مفرا من مصارحة كليفورد بمخاوفه ، فقال له وهو يعبث بشاربه الكث : **« أخشى يا ولدى أن أقول لك أن حياة كونى المسكينة باتت تقلقنى ، فهى تتعذب فى أعماقها .. ولست اعتقد أن هذه الحالة تلائم من كانت فى مثل**

سنها.. اننى آسف ياكليفورد ، ولكنها امرأة من لحم ودم ! »
.. فأطرق الفتى برأسه الى الأرض ، ولم ينبس بكلمة !

***

وحدست « كونى » أن أباها قد تحدث الى كليفورد بصدد موضوع « نصف العذراء » ! .. غير انها كانت واثقة من أن زوجها ما كان ليعير الأمر أدنى اهتمام ـ سواء عاشت « نصف عذراء » أو « غانية لعوب » ـ ما دامت تحرص على أن يتم الأمر فى سرية وتكتم ، بعيدا عن سمعه وبصره .. فقد كان يردد دائما أن الاشياء التى لا تبصرها عيناه ولا يدركها عقله ، ليس لها وجود بالنسبة له !

- ٣ -

وفى غضون ذلك الشتاء ، قدم الى القصر صديق لكليفورد يدعى « ميكاليس » ليقضى معه بضعة أيام . وكان « ميكاليس » هذا شابا ايرلنديا فى الثلاثين من عمره ، بدأ حياته العملية عازفا موسيقيا فى أمريكا ، فكون ثروة طائلة ، ثم استهواه مجتمع لندن الراقى ، فكتب عنه عدة مسرحيات اجتماعية ، غير أن المجتمع اللندنى اكتشف أن مسرحيات ذلك الكاتب الحقير ـ عدو الانجليز ـ تظهره بمظهر مشين يحط من كرامته ، فثار المجتمع على « ميكاليس » ونبذه نبذ النواة !

وقد جاءته دعوة كليفورد لزيارة (رجبى هول) فى الوقت الذى قاطعه فيه جميع أفراد المجتمع الراقى ، فلم يتردد فى القبول ، وجاء فى سيارة فخمة يقودها سائق أنيق ويرافقه خادمه الخاص !

وقضى الضيف مع مضيفه ساعات طويلة يتناقشان فى

مختلف الشئون الأدبية والفنية ، بينما انزوت « كونى » فى زاوية من الحجرة تستمع فى أناة الى مناقشاتهما .. **وكانت تنظر الى ميكاليس فى اعجاب ، فقد كان يحمل طابعا خاصا يميزه عن باقى الرجال الذين التفت بهم من قبل !** .. ولم يكن مغرورا ولا دعيا ، وكان فى حديثه مع كليفورد عاقلا ، متزنا ، رقيق العاطفة .. وكان هو ، من جانبه ، يختلس النظر اليها بين الفينة والاخرى . ليرى مدى تأثير آرائه وأفكاره عليها !

وفى المساء ، استدعته كونى الى غرفة استقبالها الخاصة، التى كانت تقع فى الطابق الثانى ، والتى كانت جدرانها تزدان بلوحات رائعة من أعمال أشهر الفنانين ، أمثال « رنوار » و « سيزان » . وجلس الاثنان بجوار المدفأة ، ودار بينهما حديث طويل عن عائلته ، ومختلف شئونه وأحواله .. وكان « ميكاليس » يتحدث اليها ببساطة وصراحة ، مجردة عن العاطفة ، كاشفا عن المرارة التى كانت تعتمل فى أغوار وجدانه !

وكانت كونى تستمع اليه مأخوذة .. وسألته أخيرا : « ولكن .. لماذا تعيش وحيدا ، كالطير الذى فقد أليفه ؟ » .. فتنهد وأجاب: « ان من الطيور ما يستعذب الوحدة ! »، ثم أردف ، فى سخرية : « وماذا بصددك أنت ؟ .. ألا تعانين بدورك من برودة الوحدة ؟ » ، فأجفلت ، وفكرت قليلا .. ثم قالت : « نعم .. الى حد ما .. ولكن ، ليس مثلك ، تماما !» .. فانتفض فى مقعده ، وهمس ببطء ذاهل : « صدقت .. اننى شقى تعس ! » ، واستدار برأسه بعيدا وقد خفض بصره فى ذلة ، فشعرت كونى نحوه بجاذبية غريبة ، كادت تفقدها رشدها !

ورفع ميكاليس بصره نحوها وقد بان فى عينيه نداء

مؤثر ، نداء طفل يلتمس من أمه الحنــان والدفء ! .. ثم ركع فجأة بجوارها ، وأمسك بسـاقيها ، ودفن رأســه فى حجرها.. وظل هكذا ساكنا لفترة طويلة ، بينما أخذت كونى تحدق فى عنقه ذاهلة .. ولم تملك نفسها من أن تمد يدها الى رأسه ، فتداعب خصلات شعره الناعم الغزير بأناملها .. فارتجف جسمه ورفع رأسه ، ثم انتصب واقفا ، وقد التمعت عيناه ببريق الرغبة والشهوة !

وأحست كونى بحنين طاغ يدفعها نحوه ، وأدركت انها ما عاد بوسعها ان تقاوم ذلك النداء ، وان عليها ان تستسلم له .. أن تمنحه أى شىء .. وكل شىء !

***

ولما نهض « ميكاليس » ، قبل كلتا راحتيها .. ثم انتقل بشفتيه الى قدميها الصغيرتين، المدثرتين فى خفين سويديين، ثم انسحب بهدوء الى نهاية الغرفة ، وران عليهما صـمت طويـل .. وأخيرا التفت نحوها وقــال : « والآن .. لعلك تكرهينني ! » .. فأجابت مستنكرة : « بل لعلها أسعد لحظة فى حياتى ! » .. وأدهشها أن بدت على سيماه دلائل الألم والتعاسة ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ثم استدار اليها ، وقال متلعثمـا : « وسـير كليفورد .. ألن .. ألن يكون .. ؟ » ، فترددت لحظة ثم أجابت قائلة : « ربما .. غير انني أرجو أن تظل علاقتنا سرا مكتوما بيننا ، فلست أريد لكليفورد أن يعرف عنها شيئا .. ان ذلك خليق بأن يؤلمه ويحطم قلبه !

***

ولأول مرة منـذ وطئت كونى قصر (رجبى هـول) ، استطاعت أن تنام نوما هادئا لا تتخلله الأحلام المزعجة ! ..

لقد فارقهـا القلق الجنسى المدمر الذى عانت منه كثيرا ، فكانت أشبه بالجائع حين يخلد للنعاس بعد وجبة دسمة !

.. وسرت البهجة الى نفسها وفؤادها ، واستغلت بهجتها فى الهام كليفورد بأروع ماكتب ، فصار سعيدا ـ فى غفلته ـ وقد جنى ، دون أن يدرى ، ثمار ارتواء مشاعر زوجته من علاقتها بميكاليس ..

غير أن كونى ما لبثت ، حين عاد ميكاليس الى لندن بعد ثلاثة أيام ، أن عاودها انقباضها وقنوطها من جديد.. فعاود كليفورد الحنين الى سالف أيام سرورها وابتهاجها !

***

.. **وذات** صباح خرج الزوجان للنزهة فى المزارع المحيطة بالقصر ، وسـارت كونى الى جوار المقعـد المتحرك وهى لا تنبس بكلمة ، وانما ترنو ببصرها بين لحظة وأخرى نحو كليفورد ، الذى كان يركن أيضا الى الصمت ، وقـد علت قسمات وجهه سحابة من الهم .. وكأنما خشيت كونى مغبة هذا الصمت الطويل ، فسألته : « فيم تفكر ؟ » .. فدار ببصره حوله . وقال بقنوط : **« انه لمن المحزن الا يكون لنا ولد ! .. لقد اعتدنا أن نتوارث هذه الضياع أبا عن جد ، وكانت عائلتنا تشبه سلسلة متصلة الحلقات .. أما الآن ، فقد انفرط عقدها ! »**

فتجهم وجهها ، وقالت بحزن : «اننى آسفة لعدم قدرتنا على انجاب أطفال ! » .. واذ ذاك رفع وجهه الشـاحب المعذب ، وغمغم : « لماذا تتحدثين بصيغة الجمع ؟ .. لا ريب أن فى مقدورك انجـاب طفل من رجل آخر .. ولعمرى أن هذا لن يحزننى بقدر ما سوف يبعث السرور فى قلبى !! »

فبدت عليها الدهشة ، وقالت: «ماذا تعنى ياكليفورد ؟ »،

فقال فى هدوء ، وقد غامت عيناه : « اذا حدث وانجبت طفلا من رجل آخر ، فسوف اتخذه ابنا لى ، كى يرث القصر وكل ممتلكاتى .. الا ترين انها فكرة جديرة بالاعتبار يا كونى ؟ ! » .. فتطلعت فى وجهه دون أن تفارقها الدهشة . وتمتمت : « وماذا عن الرجل الآخر ؟ » .. فأجاب : « ليس هذا بالأمر الحيوى ، فاننى أثق فى ذوقك وحسن اختيارك ، ولا أعتقد انك تسمحين لأى مخلوق كان أن يقربك .. المهم فى الأمر ألا يكون ذلك سببا للتفرقة بيننا ، فلست أقوى على العيش بدونك ! .. ان مثل هذه الخطيئة لا تعد ذنبا كبيرا فى حقى ، وهى لن تؤلمنى بقدر ما يؤلمنى عجزى ، ولن تقتلنى بقدر ما يقتلنى مرضى .. كلا يا كونى ، **ان الحب يفنى ويزول ، أما الصداقة فتبقى وتطول . انها العيش معا الى أبد الدهر ، وليست الامتزاج الجسدى بين حين وآخر** .. لقد اعتدنا أن يرى أحدنا الآخر ، والألفة — فى رأيى واعتقادى — أمر حيوى بالنسبة للرجل والمرأة ، وهى التى تجمع بيننا الآن .. بل هى السر الحقيقى للزواج ، وليس الاتصال الجنسى .. قد أكون مغاليا بعض الشىء ، ولكننى أتحدث بشعورى ، واضعا نصب عينى الظروف المؤسفة التى ابتلتنى بها الأقدار ! »

وفكرت كونى قليلا .. لقد نطق صدقا ، فليس من العدل أن تستمر حياتها على هذا النحو .. صحيح أن واجبها يحتم عليها أن تبقى الى جواره ، وأن تكبت عواطفها ومشاعرها ، ولكن ، هل تقوى على ذلك الى النهاية ؟ .. وأخيرا قالت : « اعتقد انك على صواب يا كليفورد .. ولكن الأمور موقوتة بظروفها » !

وكانا قد وصلا فى تلك اللحظة الى الغابة ، فوقفت كونى تتأمل مظاهر الطبيعة التى بدت أمامها ، وقد استغرقها

التفكير فى الحديث الذى دار بينهما . وفجأة مرق بجوارها كلب ضخم من كلاب الصيد ، فأجفلت كونى وفزعت ، ثم ظهر خلفه رجل فى نحو الخامسة والثلاثين ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، رشيق القوام ، أحمر الوجه ، يرتدى سترة من سترات الصيد ، وقد تدلت بندقيته خلف ظهره .

وناداه كليفورد : « ميلورز » ، فاستدار الرجل نحوهما ، ولما اقترب منهما قال كليفورد : « **هذا هو « ميلورز »** **يا كونى ، حارس الغابة الجديد** .. ألم يسبق لك رؤية الليدى من قبل يا ميلورز ؟ » .. فأجاب الحارس ببطء : « كلا يا سيدى .. لم أحظ بهذا الشرف من قبل » ، ورفع قبعته محييا ، فظهر شعره الأشقر ، ثم حملق فى عينى كونى بنظرة جريئة غير هيابة . كما لو كان يرغب فى أن يختبر معدنها ، فأحست بالدماء تصعد الى وجهها ، ونكست رأسها خجلا ! .. وحين تمالكت نفسها ، سألته :

ـ لقد التحقت بالعمل هنا أخيرا .. أليس كذلك ؟

ـ منذ ثمانية أشهر يا سيدتى .. الليدى !

ـ وهل يعجبك العمل هنا ؟

.. وضاقت عيناه قليلا ، وكانت نظرته وقحة ، تحمل معنى السخرية والاستهزاء .. وأخيرا أجاب : « بلا ريب .. اشكرك يا سيدتى الليدى .. » ، وانحنى لها ثم أعاد قبعته الى رأسه ، ودار على عقبيه وانصرف !

ووقفت كونى تراقبه وهو يبتعد ، وقد غلت الدماء فى عروقها .. رباه ! ماذا دهاها ؟ .. ما بالها تفقد سيطرتها على أعصابها بمثل هذه السرعة ؟

وفى تلك الليلة لم يكف لها دمع ، فقد أحست بنوع من المذلة ! .. سحقا للحياة ! .. انه لجنون مطبق هذا الذى يسيطر عليها ، ويدفعها الى التفكير فى كل رجل يقع عليه بصرها !

***

وكرر ميكاليس زيارته لـ (رجبى هول) ، فحضر فى المرة التالية مرتديا حلة قاتمة اللون وقفازين سويديين ، وعلى محياه سيماء الفوز والظفر ، فقد فازت مسرحيته الأخيرة باعجاب النقاد وثنائهم ، ولاقت نجاحا هائلا ، واكسبه النجاح الذى واتاه آخر الامر بهاء . فنظرت اليه كونى نظرة اعجاب ، وبدا فى عينيها رائعا !

غير أن الأمور لم تسر وفق هوى ميكاليس ، **فقد كان يحسب أن كونى لن تتردد فى القاء نفسها بين ذراعيه .. غير أن الليلة انقضت ، ولم تزره كونى فى غرفته !** .. فسرى القلق والاضطراب اليه ، واخذ يسائل نفسه : أتراها تتدلل .. فى ساعة مجده وانتصاره ؟

فلما استيقظ من النوم مضى الى حجرة استقبالها ، وقد بدت عليه سيماء السهد والأرق ، فلم تبد على كونى معالم الدهشة لرؤيته ، وكأنها كانت تتوقع قدومه . ولبثا بعض الوقت يتحدثان عن مسرحيته الجديدة ، غير انه لم يتمالك ان استدار فجأة نحوها وهتف : « أصغى الى يا كونى .. لماذا لا نتزوج ؟ » .. فأجابته كونى ذاهلة : « ولكننى متزوجة ! »

ـ أوه .. أو تعتبرين حياتك الحاضرة ، مع رجل عاجز ، زواجا ؟ .. **ان الزواج أخذ وعطاء ، فماذا قدم لك كليفورد مقابل رضائك بالحياة معه ؟**

ـ انك تعلم جيدا أن ليس بوسعى أن أهجره !

ـ ولكن ، لماذا ؟ .. ما الذى يحول دون زواجنا ؟ .. ان كليفورد لن يتردد فى طلاقك اذا طلبت منه ذلك ! .. انه لا يحس بوجود أحد سوى نفسه ، وهو ليس فى حاجة اليك !

ـ كلا .. ليس هذا صحيحا .. انه عاجز !

ـ وهل أصبح « العجز » وسيلة لابتزاز عواطفك ؟

اذن ، ففى وسعى أن أتحدث اليك عن مقدار شعورى بالوحشة بغير رفيق أو أنيس ..

***

وفى ذلك المساء ، قال ميكاليس لكونى : « سوف تحضرين الليلة الى غرفتى .. أليس كذلك ؟.. اننى لا أعلم أين تقع غرفتك !

ـ حسنا ، سوف أحضر ..

ـ ٤ ـ

جلست كونى تتجاذب أطراف الحديث مع « تومى ديوكس » ، أحد أصدقاء كليفورد ، وكانت كونى تعتبره بمثابة كاهن تعترف له بأشجانها وهمومها . ودار بينهما حديث طويل ، استهلته كونى قائلة :

ـ لست أدرى لماذا لم تعد العلاقة بين الرجل والمرأة ، قوية ، ثابتة الجذور ، كسالف عهدها ! ؟

ـ أعتقد أن العلاقة بينهما لم يعتورها أى تغيير . فأنا ـ مثلا ـ أجد متعة فى الحديث مع النساء ، تفوق المتعة التى أجدها مع الرجال . **فالمرأة أكثر شجاعة من الرجل ، وفى وسع المرء ان ينطلق فى الحديث معها بصراحة تامة !**

ـ ولكننى أعلم انك لا تحب النساء ، ولم تكن لك علاقة باحداهن فى يوم من الايام !

ـ اذن ، فلماذا أتحدث اليك الآن ، لو كنت لا أحب النساء ؟ !

ـ نعم ، انك تتحدث .. ولكن المرأة ترغب فى .. !

ـ انها تتطلب من الرجل أن يعجب بها ويتحدث اليها .. وفى الوقت نفسه ، أن يهواها ويشتهيها .. وشتان بين الحالتين !

ـ لا أرى فى الأمر وجها للتناقض .. غير اننى أحس أن المرأة فى هذه الايام قد فقدت بريقها وجاذبيتها للرجل !

ـ وعين الشيء يمكن أن يقال بالنسبة للرجل !

ـ أصبت .. أصبت !

***

وفى ذلك اليوم أراد كليفورد أن يبعث ببعض تعليماته الى حارس الغابة . وكانت السماء قد أمطرت ، وطرقات المزرعة موحلة ، فتعذر عليه أن يخرج بمقعده المتحرك . وصادف أن أصيب جميع الخدم بالانفلونزا ، فتطوعت كونى بأن تقوم بنفسها بالمهمة !

وسارت على قدميها شطر الكوخ وقد استغرقها التفكير فى الحديث الذى دار بينها وبين « تومى ديوكس » .. حقا ، لقد صدق حين قال انه لم يعد للرجال بريق يجذب النساء ! **.. ان « ميكاليس » ـ الذى كانت كونى تنظر اليه كفارس أحلامها ـ قد غدا بالنسبة لها نسيا منسيا !**

وأخذت تقلب الأمور على كافة وجوهها : نعم ، لقد كانت تتحرق شوقا الى أن تنجب طفلا .. ولكن ، مهلا .. مهلا .. ليس ثمة ما يدعوها الى أن تتعجل الأمور ، اذ عليها أولا أن تجد للطفل أبا ! .. ان من السهل عليها أن تجد لها عشيقا ، ولكن المتعذر حقا ، هو ان تجد الشخص المناسب الذى يليق لهذه المهمة .. وليس ضروريا ان تكون مدلهة فى غرامه . فسواء لديها ان كانت تعشقه أم تكرهه !!

وسارت كونى حتى وصلت الى الكوخ . وفجأة توقفت

قدماها عن المسير ، وشعرت بالخوف والرهبة يقبضان قلبها .. وبأنها ليست فى حالة تسمح لها بأن تصدر التعليمات الى « ميلورز » . غير انها ما لبثت أن استجمعت شجاعتها وطرقت الباب . فلم يجبها أحد . وخيل اليها أن ثمة صوت قد صدر من خلف الكوخ ، فدارت حوله ، واذا بها تفاجأ بمنظر ، أثار فى نفسها مشاعر متضاربة .. رأت الحارس واقفا فى الفناء ، وظهره اليها ، وقد خلع قميصه فبدا جذعه عاريا ! .. وكان منحنيا فوق وعاء كبير من الماء المليء بفقاعات الصابون . **وبعد أن دلى رأسه فى الوعاء ، رفعه الى أعلى، وهزه هزا عنيفا ، فى حركة حيوانية سريعة ، ثم دفع ببنصريه داخل أذنيه ، فبان العضل الذى اكتنزت به ذراعاه القويتان !**

وتراجعت كونى الى ناصية الكوخ ، ثم استدارت وحثت الخطى نحو الغابة .. ماذا دهاها ؟ .. لماذا أحست كأن صاعقة قد انقضت عليها وأصابتها فى صميمها ؟ .. ما وجه الغرابة فى رؤية رجل يغتسل فى الفناء ؟ .. انه منظر عادى ، مبتذل ! .. بل لربما كان يستخدم صابونا أصفر اللون ، كريه الرائحة ! .. غير انها ما لبثت أن أدركت أن اضطرابها وارتباكها يرجعان — فى الحقيقة — الى رؤيتها لذلك الجسد ، القوى ، الناصع البياض ، والذى كان يفيض رجولة وفحولة ! .. فلقد كان جسد .. رجل !

وأخذت كونى تسير لفترة طويلة على غير هدى ، غير انها ما لبثت أن تذكرت المهمة التى حضرت من أجلها ، فعادت ادراجها مرة أخرى الى الكوخ !

وطرقت الباب ، وقد أخذ قلبها ينبض بقوة وسرعة . وكان « ميلورز » قد ارتدى ملابسه ، وما أن شاهدها حتى

أشرق وجهه بابتسامة مهذبة ، ودعاها فى أدب الى الدخول .. فقالت فى صوت هامس ناعم : « لقد جئت أحمل لك رسالة من سير كليفورد » . وبينما كانت كونى تفضى اليه بتعليمات زوجها ، التقت عيناها بعينيه ، فرأت فيهما نظرة عطف دافئة !

ـ حسنا يا سيدتى الليدى .. سأقوم بالمهمة حالا !

***

وعندما صعدت كونى الى غرفة نومها ، فعلت ما لم تفعله منذ زمن طويل : أخذت تخلع ملابسها قطعة قطعة ، ثم وقفت أمام المرآة تتأمل جسدها العارى .. وشعرت برغبة حادة فى أن تحطم شيئا !.. رباه ، لقد كان الجميع يحسدونها ذات يوم على رشاقة قوامها واستدارة ثدييها الممتلئين .. فأين ذهبت تلك الرشاقة والفتنة التى كانت تبعث الرغبة عارمة فى الرجال ؟ .. لقد تهدل ثدياها ، وجف عودها ، وانطفأ ذلك البريق الذى كان ينبعث من بدنها ، والذى طالما أطاش عقل عشيقها الالمانى ، قبل أن تتزوج .. لقد فقدت أنوثتها ، وأصبحت أشبه ما تكون بغلام قد اقترب من دور المراهقة !

وانسلت كونى فى رداء نومها الشفاف ، وارتمت فوق سريرها ، وأخذت تنتحب بحرقة ، يحدوها احساس داخلى بالظلم .. مسكين كليفورد .. ان الذنب ليس ذنبه ، وليس لاحد ان يلومه .. فهو ـ بدوره ـ ضحية من ضحايا المأساة التى حلت بهما .. ولكن ، لماذا تضحى بحياتها وشبابها من أجله ؟ .. ان شبابها يذوى وينصهر ، كالشمعة ، ومفاتنها تكاد أن تفنى وتضيع .. من جراء حرمانها !

***

ووصلت شقيقتها « هيلدا » بعد أيام ، فما كاد بصرها يقع على كونى حتى أخذتها بين ذراعيها وتطلعت الى وجهها الشاحب ، فلم تملك أن هتفت : « أوه يا كونى .. ماذا حدث لك بحق السماء ؟ .. لقد نحل جسدك بدرجة فظيعة ! » . فابتسمت كونى بمرارة وهمست : « اننى فى خير حال » ، ثم أطرقت برأسها وتركت العنان لدموعها !

ولم تترك هيلدا الأمر يمر بسهولة ، فقد انتهزت فرصة انفرادها بكليفورد وفاتحته فى الموضوع ، فقال انه لاحظ ان صحة « كونى » ليست على ما يرام ، ولكنه يرجو أن تتحسن حالها فى القريب العاجل .. فقالت « هيلدا » باصرار : « سوف أصحبها معى الى لندن لاستشارة أحد الأطباء ، فاننى أخشى أن تزداد حالتها سوءا »

فشعت عيناه ببريق الغضب ، وفتح فاه ليعترض ، ولكنه لم يلبث أن أطبق شفتيه . غير أن هيلدا لم ترحمه ، بل أخذت تكيل له اللوم ، وتنحى عليه بالتأنيب .. وخلصت من ذلك الى القول بوجوب احضار ممرضة لتعنى بأمره وتسهر على راحته .. واذ ذاك خرج عن صمته ، فقال : « أتعتقدين أن ذلك ضرورى ؟ » .. فأجابت بجفاء : « بلا ريب .. والا فسوف أجد نفسى مضطرة لأن أحدث أبى فى الأمر .. وعندئذ ، لن يسمح لها بالبقاء فى هذا المكان يوما واحدا ! »

واضطر كليفورد - تحت ضغط هذا التهديد - للرضوخ ، بعد ان لم يعد هنالك مفر من الاذعان ، فان فكرة اختفاء كونى من أفق حياته كانت تذله وتشقيه ، وتطرد النوم من عينيه !

ورحلت الشقيقتان الى لندن فى صباح اليوم التالي ،

حيث قامتا بزيارة طويلة لأحد الأطباء .. لكن الطبيب لم يتبين لدى كونى مرضا يذكر ، غير أنه استطاع أن يفهم علتها ، وان يحدس سبب نحول جسمها وشحوب وجهها . فنصح لها بأن تقوم برحلة طويلة تسترد خلالها ما فقدته من حيوية ، اذ أن أعصابها كانت منهارة تماما ، وفى حاجة الى تجديد نظام معيشتها .. ثم ختم الطبيب كلامه قائلا : « عليك بالضحك والمرح ما وجدت اليهما سبيلا ، ولن تلبثى أن تستردى صحتك وقواك ! »

وعادت الشقيقتان الى القصر فى صباح اليوم التالى ، وبدا جليا أن كليفورد قد عانى الأمرين خلال الأربعة والعشرين ساعة الماضية : فقد نحل جسمه بشكل واضح ، وبدت فى عينيه علامات القلق والسهاد ، اذ أحاطت بهما هالتان من السواد . وانصت الى ثرثرة هيلدا وهى تهول فى أقوال الطبيب بشأن مرض شقيقتها وتكرر القول بوجوب احضار ممرضة لتعنى بأمره فورا ، والا فانها سوف تضطر الى العودة بكونى الى لندن .

- ٥ -

واضطر كليفورد الى الاذعان ، فاستدعى الى القصر ممرضة من أهل البلدة تدعى « مسز بولتن » ، كانت قد أظهرت مهارة فى علاجه عندما أصيب فى صغره بالجدرى ، وكانت تناهز الآن الأربعين من عمرها ، وتبدو على وجهها آثار جمال ذابل ، وكان زوجها « تد بولتن » قد توفى أثناء انفجار حدث فى أحد المناجم حيث كان يعمل .

وتسلمت «مسز بولتن» مهام وظيفتها ، وأظهرت نشاطا وافرا وهمة ملحوظة للترفيه عن سير كليفورد .. فكانت تلبى طلباته ، وتعد له طعامه ، وتخرج به الى الخلاء .

وعلى الرغم من ذلك كان كليفورد لا يكف عن التذمر واظهار روح الضيق والسخط ، فقد اعتبر تخلى كونى ــ لامرأة غريبة ــ عن أبسط واجباتها كزوجة ، بمثابة اتجاه منها بكل احساساتها وعواطفها نحو نفسها ، ومثل هذا العمل خليق بأن يقتل ما بقى بينهما من صلة روحية وصداقة متبادلة .

وفطنت مسز بولتن الى ما كان ينتاب كونى من أزمات نفسية ، نتيجة لثورة « الحيوان » الراقد فى أعماقها ، فأخذت تزجى لها النصح ، محاولة التسرية عنها والترفيه عن أعصابها ، قائلة : « أواه يا سيدتى الليدى ! .. لماذا تلازمين حجرتك باستمرار .. **انك فى حاجة الى الشمس والهواء النقى ، ان هذه البقعة من أجمل بقاع الأرض قاطبة .. ولعمرى أن نزهة قصيرة على الاقدام حتى كوخ الحارس « ميلورز » قد تفيدك كثيرا »**

فنظرت كونى اليها بدهشة واستغراب ، وقد ذكرت لتوها ذلك الحارس ، وجسده القوى الناصع البياض ، وساءلت نفسها : هل هناك معنى خفى وراء عبارتها الأخيرة ؟ وماذا تقصد على وجه التحديد ؟ .. ولكنها استطاعت أن تقنع نفسها فى النهاية بأن مسز بولتن ــ مهما كانت الغاية أو الهدف الذى تقصده ــ على حق ، وان مثل هذه النزهة قد تبث فى نفسها الراحة والطمأنينة !

***

وخرجت للنزهة فى ممرات الغابة ، وسط الأشجار الكثيفة ، حتى وجدت نفسها فى ساحة منعزلة ، لم تكن قد رأتها من قبل . **وهناك أبصرت بالحارس راكعا على الارض أمام حظيرة للدواجن لم يكتمل بناؤها بعد ، وقد حمل مطرقة وأخذ يدق بعض الأخشاب .**

ولما وصل الى سمعه وقع خطواتها المتسللة ، رفع رأسه فجأة واصاخ السمع ، وهو ينظر حوله فى حذر وتشكك !.. لقد كانت وظيفته الأساسية أن يمنع الدخلاء من التسلل داخل أراضى سير كليفورد !

وما أن شاهدها حتى توقف عن العمل ، ورفع قبعته محييا فى أدب .. فاقتربت كونى منه وقالت :

ــ لقد سمعت صوت المطرقة ، فجئت أتبين مصدره .

ــ اننى أشيد حظيرة للدواجن ، يا سيدتى الليدى .

ودخلت كونى الى الحظيرة ، وأخذت تتأمل أدواته الملقاة على الارض فى اهمال ، بجوار وعاء من القار وبعض ألواح من الورق المقوى .. بينما عاد الحارس الى عمله ، دون أن يكترث لوجودها !.. فلم تلبث كونى أن خرجت الى الساحة وجلست على مقعد صغير ، **تتأمل ساعديه المفتولين وهما يرتفعان وينخفضان فى حركات منتظمة** .. وبدا جليا على وجهه أن وجودها يضايقه ويحد من حريته ، غير أن كونى لم تشعر برغبة فى الانصراف ، **بل انها وجدت فى مراقبتها له متعة لم تدرك لها سببا !** .. وظلت تراقبه وهو يعمل حتى غربت الشمس ، دون أن ينبس أى منهما بكلمة ..

وأخيرا ، وقفت كونى على قدميها وتقدمت نحوه ، وقد بدا وجهه المتعب جامدا ، خاليا من أى تعبير ..

ــ انه مكان جميل ومريح يا ميلورز .. ألديك مفتاح آخر للحظيرة ؟

ــ مفتاح آخر ؟ .. لماذا ؟

واذ ذاك صعد الدم الى وجهها ، فقد ضايقها انه تحدث اليها بهذه اللهجة ، كما لو كان هو المالك الشرعى للحظيرة ! .. فأجابته بنبرات آمرة توحى بالاصرار :

ــ نعم .. مفتاح آخر .

ــ بوسعك القاء هذا السؤال على سير كليفورد يا سيدتى الليدى ، اذ قد يكون لديه مفتاح آخر !

ــ حسنا .. سوف أرى ما يمكن عمله فى هذا الصدد ..

والتقت عيناها بعينيه ، فخفق قلبها بشدة ، اذ قرأت فيهما مقدار حقده عليها ، وضيقه بوجودها ! .. ثم هز كتفيه فى استخفاف وهو يلقى اليها بتحية المساء ، ودار على عقبيه وانصرف ..

***

وكان كليفورد ينتظرها فى غرفة الطعام على أحر من الجمر ، فقالت بلهجة تنم عن الاعتذار : « هل تأخرت يا كليفورد ؟ .. لقد قمت بجولة فى المزرعة بالقرب من كوخ ميلورز ، وأمضيت بعض الوقت فى حظيرة الدواجن التى يشيدها .. هل تملك مفتاحا آخر لها ؟ » ، فأجاب : « نعم ، لماذا ؟ » ، فقالت وهى تطرق برأسها : « لقد سرت الراحة الى نفسى هناك .. لذلك قررت أن أكرر الزيارة كلما سمحت لى الظروف » .. فسألها وهو يحدجها بنظرة ثاقبة : « أكان ميلورز هناك ؟ » ، فأجابت : « نعم .. وقد بدا جليا أنه يضيق بوجودى .. وبالاختصار ، **لقد عاملنى بوقاحة وسوء أدب ! »** . فضحك كليفورد وقال : **« انها طبيعته .. فهو يكره النساء ولا يأمن جانبهن .. فقد فرت زوجته مع رجل آخر ! »**

***

وفى صباح اليوم التالى جلست كونى الى مائدة الطعام بجوار كليفورد ، يتناولان افطارهما فى صمت واكتئاب .. وفجأة سألته ، بغير مقدمات : « كليفورد .. هل يسرك حقا أن انجب طفلا ؟ » .. ففكر قليلا ثم قال : « حسنا .. ان

الأمر لا يهمنى ما دام وجوده لن يضعف من حبنا .. كل ما اخشاه ان يفتر حبك لى وافقدك الى الأبد ! » .. فتطلعت اليه وقالت ببطء : « اننى واثقة ان وجود الطفل لن يبدل من شعورى نحوك يا كليفورد ! » . فأطرق برأسه ، وقال فى وهن : « هذا كل ما يهمنى من الأمر .. فلا شك أن وجود طفل — أى طفل — كفيل بأن يبعث الحياة فى هذا القصر الساكن العتيق .. كما اننى سوف أجد عزاء فى انه طفلك انت ! »

وكان يبدو جليا أن الكلمات تخرج من صميم قلبه ووجدانه ، عن اقتناع .. وانه يعنى تماما ما يقول .

***

وكثر ترددها على حظيرة الدواجن ، حيث كانت تقضى وقتا طويلا ، بمفردها ، فى تأمل الدجاج والافراخ الصغيرة . وكان الربيع قد بدأ ينشر ظلاله على الغابة ، فنمت الأزهار البرية ، وانتشر اريجها فى الجو .. وذات يوم ، وجدت ميلورز يغلق باب الحظيرة ، استعدادا للانصراف الى كوخه ، فاستوقفته قائلة :

— لقد حضرت لأرى الافراخ الصغيرة ..

ثم جلست على الأرض ومدت يدها داخل القضبان ، لتلتقط احد الكتاكيت ، فاذا الدجاجة الأم تنقض على يدها فتنقرها بشدة .. فسحبت كونى يدها مجفلة وقالت : « انها لا تريدنى أن أمسك بصغارها .. انها تكرهنى ! » .. فضحك ميلورز لسذاجتها وجلس الى جوارها ، ثم زحف بجسده نحو الحظيرة ، ومد يده فالتقط كتكوتا صغيرا ووضعه فوق كف كونى .. **فأحست بحرارة المخلوق الرقيق**

تسرى فى جسـدها ، وبدا التأثر عليها ، فأخـذت الدموع تنهمر من عينيها وتسيل على وجهها ..

وسـقطت قطرة منها على ذراع ميلورز ! .. فذاب قلبه وانصهر ، كالحمم السائلة ، ثم مد يده فأراح أصابعه فوق ركبتها ، وقال : **((لا تبكى بالله .. لا تبكى بحق السماء !))** .. فأخفت وجهها بسـاعديها وقد أحست بأن قلبها قـد تحطم ، وانه لم يعد ثمة ما تبالى به بعد ذلك ..

ووضع يده على كتفها ، ثم انحدر بها ، فى نعومة ورقة ، تجوس خلال ظهرها ، بحركة غريزية عمياء .. وهمس لها بصوت خافت أجش : ((هلا ذهبنا الى الكوخ ؟ !)) .. ثم أغلق يده برقة على أعلى ذراعهـا ، وجذبها متجها بها نحو الكوخ ، فى خطوات بطيئة متعثرة ، دون أن يفلتها الا بعد أن صارا فى الداخل .. وهناك ازاح المنضدة والمقعد جانبا ، وتناول ((بطانية)) ففرشها فى تؤدة .. **بينما وقفت ((كونى)) ساكنة بلا حراك ، تتفرس فى وجهه الذى علاه الشـحوب ، وبدا خلوا من التعبير ، شأن رجل قد استسلم للأقدار !**

وأشار لها الى الفراش ، ثم أغلق الباب ، فساد الظلام .. ظلام دامس !

وفى طاعة عجيبة ، اسـتلقت على الفراش .. واذ ذاك أحست بيده العاشقة تتلمس جسدها ، وتربت على وجهها .. ثم أدركها أخيرا ملمس قبلة ناعمة على خدها .

***

وحين أفاقت ، لم تملك نفسها من التساؤل : لماذا كان ذلك ضروريا ؟ .. لماذا تحس كأنه قد أزاح غمامة ثقيلـة كانت جاثمة على روحها ، ومنحها سكينة النفس ؟ .. أو كان

الأمر حقيقيا ؟ .. أم انها تحلم ؟ .. ان ذهنها الأنثوى المعذب لا يزال قلقا ، تستعصى عليه الراحة .. أو كان الأمر حقيقيا ؟

وكان الرجل راقدا بلا حراك .. **بماذا كان يشعر ؟ .. فيم كان يفكر ؟ .. انها تجهل أفكاره وأحاسيسه . انه بالنسبة لها رجل غريب . انها لا تعرفه ! .. كل ما تملكه هو أن تنتظر .. فانها لا تجرؤ على قطع حبل هذا الصمت الغامض الذى يشمله .. لكم هو قريب منها .. ولكم هو مجهول منها تماما ! .. لكنه كان ساكن النفس . صمته ذاته كان سكينة !**

ولقد أدركت ذلك ، حين نهض أخيرا .. وابتعد عنها .. وكأنه يهجرها ! .. لقد توقف لحظات ، ثم فتح الباب بهدوء .. وخرج !

ومن فرجة الباب لمحت هى قمرا مشرقا فوق أشجار البلوط .. فنهضت مسرعة ، وأصلحت من شأنها .. ثم اتجهت نحو الباب .

- ٦ -

دخلت كونى فى الصباح التالى حجرة المكتب ، فوجدت كليفورد هناك . وما أن وقع بصره عليها حتى بدأ ثرثرته المعتادة ، لكنها لم تع منها شيئا . اذ كان ذهنها شاردا ، يحوم حول ذلك الكوخ . وميلورز .. ترى أين هو الآن ؟ .. وماذا يفعل ؟

واستيقظت من تأملاتها على صوت كليفورد يسألها : « هل تودين أن أقرأ لك قليلا؟ » ، فالتفتت نحوه ، وتفرست فى وجهه بامعان .. ماذا يقول هذا المجنون ؟ .. الا يعقل الأمور ؟ .. ماذا يريد منها الآن ؟ .. ألا يدرك انها لا تطيق

الاستماع الى قراءاته المملة ؟ .. واعتذرت له بأنها تشعر بصداع شديد . وصعدت الى غرفتها .. حيث ظلت تتقلب فى فراشها ، حتى أرخى الليل سدوله ، فانسلت من القصر ، وأوسعت خطاها نحو الكوخ ..

وجلست على عتبة بابه ، تنتظر عودة ميلورز الى مأواه ، وقد ساورها القلق لتأخره .. ماذا حدث ؟ .. أيكون قد ندم وقرر هجرانها ؟ .. وأخيرا وصل الى سمعها وقع خطواته ، فاهتز جسدها كريشة فى مهب الريح .. فلما رآها ، قال بلهجة عطف : « آه .. ها أنت ذى قد عدت ثانية » .. فرمقته بنظرة حب ووله، وغمغمت : « نعم .. لماذا تأخرت ؟ » . فربت على كتفها وهما يدخلان ، وقال : « ألا تخشين أن تلوك الافواه علاقتنا ؟ » ، فنظرت اليه طويلا وقالت : « ماذا تعنى ؟ » .. فأجاب : « أعنى .. أن حضورك هكذا فى جوف الليل » ، فقالت غاضبة : « لكن أحدا لم يلحظ حضورى »

— اليوم ، نعم .. ولكن ، ماذا عن الغد ، وبعد الغد ؟ .. أتعتقدين أن علاقتنا ستظل الى الأبد سرا مكتوما ؟

فهزت كتفيها باستخفاف ، وقالت : « لست أبالى ! »

— هل أفهم من هذا أنك مصرة على الحضور، رغم كل شىء !

— نعم ، رغم كل شىء !

— ولكن ماذا يحدث لو شاع الأمر ؟ .. فكرى قليلا .. انني شخص متواضع الاصل .. أما أنت .. ان هذا لخليق بأن يضعك فى مركز حرج .. شديد الحرج .. ماذا يحدث لو عرف سير كليفورد وسواه بالأمر ؟ .. لسوف تصبح سمعتك مضغة فى الافواه ، مما قد يدفعك الى احتقار نفسك !

فهزت كتفيها بلا اكتراث ، وقالت :

ـ فى وسعى عندئذ الرحيل !

ـ الرحيل ؟ .. الى أين ؟

ـ الى حيث أشاء .. اننى أملك عشرة آلاف جنيـه ، وبوسعى أن أرحل الى أى مكان ، حيث لا أعرف أحدا ولا يعرفنى أحد !

ـ انك تنسين أنك « الليدى تشاترلى » .. أو تضحين بمركزك هذا من أجل خادم من خدمك ؟

ـ الليدى تشاترلى ؟ .. اننى لا أهتم بذلك .. فـكل هذه الألقاب زيف ونفاق .. ولطالما أحسست برنة التهـكم فى كل صوت كان يدعونى بهذا اللقب المقيت .. حتى أنت يا ميلورز ، يا من تدعو نفسك خادما من خدمى ، الا تذكر كم كنت تسخر منى ، خلف قناع الأدب والاحترام ؟

ـ على رسـلك اذن ! .. لقـد أنذرتك .. فلن أكون أنا الخاسر على أى حال ..

ـ أو تعتقد اننى الخاسرة ؟

واقترب منها خطوتين ، واحاط كتفيها بساعديه القويين ، فرفعت يدها وأخذت تداعب خده بأناملها المرتعشة ، وهى تبتسم ..

ـ ٧ ـ

وفى اليوم التـالى ، عاودها الشعور بالمذلة والعـار ، واحتقار ذاتها . **كيف سمحت لهذا الرجل بان يلوثها ويهبط بها الى هذا الدرك ؟ !**

.. وصح عزمها على قطيعته ، فبذلت خلال الأيام التالية جهدا كبيرا فى مغالبة عواطفها .. ولازمت غرفتها ، حيث ذرفت دموعا غزيرة ، فقد أدركت مقدار ما انحدرت اليـه

من الهوان والضعة .. لقد قاست كثيرا ، وكاد صراعها مع نفسها أن يدفعها الى الجنون !

وفى اليوم العاشر شعرت بقلق مرير ، فخرجت من القصر وسارت على غير هدى فى الهواء الطلق ، **وتعمدت أن تسير فى الاتجاه المضاد للكوخ ، اذ كانت قد قررت ان لا ترى ميلورز ثانية ! .. لو انه كان من طبقتها لاختلف الأمر .. أما وهو خادم أجير حقير .. !**

وحثت خطواتها وهى لا تنى عن التفكير ، حتى وصلت أخيرا الى الغابة ، فجلست فى ظل شجرة وارفة ، وانهمرت من عينيها الدموع .. رباه ، لافائدة .. لافائدة !!.. وفجأة رفعت رأسها ؛ فقد وصل الى سمعها صوت تهشم أعشاب جافة تحت وطء أقدام ثقيلة ، فالتفتت الى الخلف بحركة غريزية، فأبصرت ميلورز قادما نحوها ، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين ، وعيناه تقدحان شررا ، وهتفت مأخوذة : «ميلورز!» ، فتوقف على مقربة منها ، وحدجها بنظرة ثاقبة .. ثم قال : « ما الذى جاء بك الى هذا المكان ؟ .. هل ذهبت الى الكوخ ؟ » ، فأجابت بصوت خافت : « كلا .. ولم أكن أزمع الذهاب الى هناك ! » .. فقال بقسوة : **« أحقا ؟ .. ألم تدركى بعد انه لم يعد فى وسعك الهرب من حياتى هكذا ؟ . انك ملك لى ، وستظلين كذلك الى أن يطويك القبر .. »**

وتهالك الى جوارها فوق العشب ، وأحاط جسدها بساعديه وضمها الى صدره بعنف ، فبذلت جهد المستميت كى تدفعه عن نفسها ، غير أن مقاومتها لم تلبث أن ضعفت ، فتلاشت ارادتها .. وتبدد احترامها لذاتها !

وسار الى جوارها فى الظلام حتى بوابة القصر ، حيث ودعها وعاد ادراجه ، فصعدت الدرج وقد سرى الخدر

الى أعصابها .. لقد عاد اليها شبابها ، وعادت عروقها تنبض بدماء الحياة .. وفجأة ، طرأ على ذهنها سؤال هام ، جدير بالتدبر : ماذا لو انجبت منـ .. منه .. طفلا !

***

واعتذرت الى كليفورد عن تأخيرها بأنها كانت فى نزهة قصيرة ، فلم تبد عليه أية بادرة من الشك فى صدقها ، **غير ان مسز بولتن رمقتها بنظرة تحمل كل معانى الهزؤ والاستخفاف ، اذ كانت واثقة ـ فى أعماقها ـ من أن سيدتها كانت على موعد مع عشيق .. لكن ترى من هو ؟ .. ومن اين لها أن تجده ؟ !**

وقال لها كليفورد : « ماذا تودين أن أقرأ لك الليلة ؟ » ، فأجابت بلا اكتراث : « اننى أفضل الاستماع الى بعض أشعار راسين » ! .. وكان راسين شاعره المفضل ، وكان يجد متعة فى قراءة أشعاره بصوت عال ، فأرادت ارضاءه .. وبدا كأنه أدرك مرادها ، فتناول الكتاب وأخذ يتلو الشعر بمذلة ومرارة ، وكانت كونى ترمقه بين الفينة والأخرى بنظرات تفيض باليأس والقنوط .. ما ذنبه يا ربى ! ؟

وعند ما انتهى من القراءة استيقظت من تأملاتها وقالت : « أشكرك يا عزيزى .. لقد كانت تلاوتك لشعر راسين رائعة » ، فقال بأسف بالغ : « أنا الذى يجب أن يشكرك يا كونى ، لانك تنازلت بالاستماع الى » .. فأجابت : « ان أشعار راسين توحى بالتأملات والأحلام .. انها تدفع النعاس الى أجفانى .. طابت ليلتك يا كليفورد » .

وأخذ يراقبها وهى تبتعد ، بنظرات زائغة .. ولما اختفت عن ناظريه ، سقطت على خده دمعة ، وشعر فى أعماقه

بان الرباط الذى بينهما قد وهن ! .. ولأول مرة تجسمت أمام ناظريه فكرة هجرها له ، كأنها الموت ، مرعبة ، مخيفة !

***

وأما « كونى » ، فما أن أراحت رأسها فوق الوسادة ، حتى راحت فى سبات عميق ، فلقد فارقها الأرق والقلق ، اللذان انتقلا الى الحارس ميلورز .. فحين ودعها عند بوابة القصر فى تلك الليلة ، عاد الى كوخه مهموما ، فجلس بجوار المدفأة ومد قدميه فوق مقعد أمامه ، وغرق فى لجة من التفكير .

لقد عاد الى ذاكرته طيف طفولته وأيام شبابه ، وذكرى زوجته التى هجرته لتعيش مع أحد عمال المناجم ، تاركة طفلتها فى كنف أمه .. تبا لها من عاهرة !

وتذكر حياته التى قضاها فى سلك الجيش ، وما لاقاه من أهوال القتال فى الهند ومصر . وعندما التحق بخدمة سير كليفورد تشاترلى ظن أنه سيجد الراحة والسلام فى هذه الضيعة المنعزلة ، ولكن ، فجأة تظهر فى أفق حياته امرأة ، تسعى خلفه وتطارده ، فتعكر عليه صفو وحدته ! .. ماذا ينبغى عليه أن يفعل ؟ .. أيستمر فى علاقته بها ، أم يقصيها عن حياته الى الأبد ؟ .. **ان ضميره يبكته على خيانة سيده المقعد ! .. وتململ فى مقعده حانقا ، وشعر بأنفاسه تضيق .. يجب أن يضع حدا لهذه العلاقة الآثمة ، التى لن يجنى من ورائها سوى الشقاء والأحزان !**

وأخيرا نهض من مقعده بتثاقل وارتدى سترته وغادر الكوخ . كان الليل هادئا ، والدنيا غارقة فى ظلام دامس ، وسرت برودة الجو الى جسده ، فتمنى لو كانت كونى بجواره فى تلك اللحظة ، ليضمها بين ذراعيه ويستمد الدفء من حرارة

جسمها .. ولكن ، أين تراه يجدها الآن ؟ .. لا ريب انها تنعم فى تلك اللحظة بالنوم وقد طوت جسدها بالأغطية الوثيرة !

وعندما وصل الى أسوار القصر رأى الضوء يشع من غرفة سير كليفورد ، وحاول ان يهتدى الى غرفتها .. ولما باءت محاولته بالفشل استدار على عقبيه عائدا نحو كوخه . وفى تلك اللحظة اقتربت مسز بولتن من النافذة وازاحت الستائر جانبا ، فلمحت شبحا يتسلل عند باب الحديقة .. وحاولت أن تتبين ملامح وجهه فى الظلام .. وفجأة ، انبلجت الحقيقة أمامها : انه ميلورز ! .. وقد حضر لموافاة سيدتها .. اذن ، فميلورز .. هو عشيق الليدى تشاترلى !

- ٨ -

وانقضت أيام ، أحست كونى بعدها بثمرة علاقتها بميلورز ، تتحرك فى أحشائها !.. ولم تدر هل أثار هذا الحدث سرورها أم حزنها ؟ .. وأخذت تقلب الأمر على وجوهه .. ماذا يحدث لو علم كليفورد بالحقيقة ؟ .. ولكن ، ترى أينبغى أن يعرف الحقيقة بحذافيرها ؟ .. كلا .. بل عليها أن تخفى شخصية والد الطفل ، **فهذه الصدمة قد تفقده عقله ! .. آه لو علم أن الشخص الذى قام بوظيفته هو ميلورز .. الخادم .. الحقير .. رباه ، ماذا ينبغى أن تفعل ؟**

وأخيرا استقر ذهنها على خطة ماهرة : لماذا لا تلبى — مع أبيها وشقيقتها — دعوة أحد أصدقاء الأسرة لهم لقضاء أسابيع فى « الفيللا » التى استأجرها فى (فينيسيا) .. حتى اذا ما حان وقت الوضع ظن كليفورد أن عشيقها كان ايطاليا لايعرفه ، ويبعد عنه مئات الأميال ، فتوفر عليه مذلة الغيرة ، وتهون من شأن فعلتها !

***

ورحلت كونى الى لندن ، حيث مكثت أسبوعا . غير انها ما لبثت أن ضاقت بالحياة هناك وتولاها حنين الى (رجبى هول) ، والضيعة .. والكوخ !

واستقبلها كليفورد بعطف وشوق زائدين ، وظل يتحدث اليها وقتا طويلا ، ويسألها كيف قضت وقتها فى لندن .. فكانت تجيبه باقتضاب ، اذ كان ذهنها شاردا نحو الكوخ ، وميلورز ! .. ترى اما زال هناك ؟ .. وماذا يفعل الآن ؟ .. أتراه يحقد عليها لسفرها دون أن تخطره ؟

وعندما أوى كليفورد الى فراشه فى تلك الليلة . جلست كونى مع مسز بولتن تجاذبها أطراف الحديث ، وفجأة سألتها : « هل فقدت زوجك منذ وقت طويل يا مسز بولتن ؟ »

- منذ عشرين عاما ..
- يا الهى .. انه لعمر طويل !
- نعم ، عمر طويل .. طويل جدا !
- وهل كان يحب الأطفال ؟

- نعم ، قبل أن أضع طفلى الوحيد .. لا زلت أذكر تلك الليلة الرهيبة ، ليلة أن جاءنى المخاض .. كنت أعانى آلام الوضع ، فقبع الى جوار فراشى يراقبنى فى جمود ، وخيل الى أن صرخاتى تنفذ الى قلبه ، وان ألمه يفوق ألمى ، فلما انتهت الأزمة قلت له : « تشجع يا « تد » .. ان كل شىء على ما يرام » فابتسم ابتسامة شاحبة وقال : **« سحقا لهذا الطفل ! .. لقد جلب لك المتاعب والآلام .. انه لظلم فظيع يحيق بالمرأة مقابل الاستمتاع بلحظة عابرة من الحب ! »** . **ومنذ تلك اللحظة هجر فراشى كيلا يحملنى**

مثل هذا الألم مرة أخرى .. مسكين تد .. لطالما أفهمته أن هذا الألم هو دنيا المرأة ، وان جحيمه هو نعيمها !

ــ وهل كنت مغرمة به ؟

ــ مغرمة به ؟ .. لقد كنت أعشقه لدرجة الهوس والجنون .. فهنالك نوع من الرجال يسرى حبهم فى عروق المرأة ، مسرى الدم !

فبدا الاهتمام على وجه كونى وسألتها ، وقد ذكرها هذا القول بميلورز ! : « أو يصعب ــ فى هذه الحالة ــ على المرأة الخلاص من ذلك الحب ؟ »

ــ أوه يا سيدتى الليدى .. ان المرأة تحمل وتلد وتقضى العمر فى تربية طفلها وتنشئته ، وعندما يشب ويصير رجلا تنتزعه امرأة غريبة من بين أحضانها ، فلا تحزن ولا تندم .. بينما تموت كمدا لو اختطفت امرأة أخرى زوجها ! ــ وأقصد بالزوج : الزوج الرجل .. السيد ! !

***

وذات ليلة .. انسلت كونى من فراشها ، واتجهت صوب الكوخ . كان ميلورز يتناول عشاءه فى صمت واكتئاب . وما كاد بصره يقع عليها عند عتبة الباب حتى كف عن الأكل وظل فى مقعده ينظر اليها دون أن يفوه بكلمة ، فهمست بصوت خافت : « هل تسمح لى بالدخول ؟ » ، فقال بهدوء : « بلا ريب » ، فأردفت : « هل اعتدت تناول العشاء هكذا متأخرا ؟ » ، فقال وهو يطرق برأسه : « نعم » ، وأكب على طعامه من جديد !

فلما انتهى من تناول عشائه رتب المائدة فى صمت ، ثم خلع سترته ، ووقف أمامها متسائلا : « هل نبدأ ؟ » ..

فذهلت ، وقالت مأخوذة : « نبدأ ؟ .. نبدأ ماذا ؟ » ، فلم يكف عن طريقة حديثه الهجومية المذلة ، وأجاب : « نبدأ الحياة ! » .. ثم أردف ، بسخرية مرة : « هل أغلق الباب ؟ » .. فلم تجب بحرف !

ولما عاد الى مكانه نظرت اليه فى ذلة وسألته : « لماذا تتحدث الى بمثل هذه المرارة ؟ » ، فأجاب متمهلا : « هكذا انا دائما ، اذا ما عكر على أحد صفو وحدتى » ، فأطرقت برأسها وقالت :

ـ لن أعكر عليك صفو وحدتك طويلا .. فسوف أرحل مع أبى وشقيقتى الى ايطاليا قريبا !

ـ وهل سيرحل سير كليفورد معك ؟

ـ كلا .. لقد آثر البقاء هنا .

ـ وهل سيطول غيابك ؟

ـ ربما ..

وساد بينهما صمت طويل ، قطعته كونى أخيرا قائلة :

ـ لقد صارحت كليفورد بأننى اتوق الى انجاب طفل !

ـ أحقا ؟ .. وماذا كان جوابه ؟

ـ لم يعترض .. فهو يعتقد ان ذلك بالنسبة الى يعد شعورا طبيعيا .

ـ ياله من بائس .. وهل تحدثت اليه بشأنى ؟

ـ كلا ..

ـ هذا طبيعى .. ولكن، ماذا سيكون تفسيرك للموقف ؟

ـ سوف أوحى اليه بأن لى عشيقا فى ايطاليا !

ـ وهل .. هل انت حبلى ؟

فهزت رأسها بالايجاب .. واذ ذاك نظر اليها ، ثم قال بمرارة :

ـ لقد فهمت .. اذن ، فهذا هو مادفعك الى الارتماء فى

أحضانى .. لكى تحصلى على طفل !

ـ كلا .. كلا .. ليست هذه هى الحقيقة !

ـ اذن ، ماهى الحقيقة ؟ .. على كل حال لن أضار بشىء اذا أنجبت طفلا ، مادام سير كليفورد سوف يتكفل به ! .. وليست هذه هى المرة الاولى التى احقق فيها فائدة للغير ، دون أن تعود على فائدة ما .. **حسنا ، الواقع اننى قد تقاضيت أجرى ! .. ألست أعمل أجيرا عنده ؟ .. لقد نقدنى مالا ، فوهبت زوجته سرورا ومتعة .. وطفلا صغيرا !**

فدمعت عيناها ، وهتفت :

ـ أقسم لك ان ذلك لم يدر بخلدى !

ـ على كل حال .. اننى فى خدمتك دائما يا سيدتى الليدى !

ـ كلا .. لاتتفوه بمثل هذا الكلام .. لقد أحببتك دائما .

ـ لست أنكر اننى أحببتك أيضا .. غير ان ..

ـ كلا .. هذا غير صحيح .. فلو احببتنى حقا لما عاملتنى بمثل هذه القسوة !

ولم يجبها ، وانما اقترب منها ، وأحاطها بذراعيه .. ثم دفعها نحو الفراش ..

***

وهمست كونى بصوت خافت : « ميلورز .. صارحنى .. هل تحبنى ؟ .. وهل ستظل على حبك لى على الدوام ؟ »

فلم يجب ، وانما نظر اليها وقال :

ـ هيا .. آن موعد عودتك الى القصر !

ـ ليس فى وسعى أن أتركك يا ميلورز !

ـ لقد تأخرت يا كونى ..

ـ لست أبالى .. لم أعد ابالى بشىء يا ميلورز !
فانحنى نحوها وقبلها ، وعاد يضمها الى صدره ..

- ٩ -

فتحت كونى عينيها فى الصباح ، فوجدت نفسها راقدة فى فراشه .. فذعرت وارتجف جسدها بشدة ! .. كيف جرؤت على المبيت خارج القصر ؟ .. وكيف تفسر موقفها أمام كليفورد ؟ .. ولكن ، ليحدث ما يحدث ، فما عادت تبالى بشىء ! .. وقفزت من الفراش ثم ارتدت ثيابها فى عجلة ، ودخلت الى الغرفة المجاورة لتصلح من شأنها وتصفف شعرها .. وعندما عادت وجدت ميلورز جالسا فى الفراش ، فسألته : « صورة من هذه المعلقة فى الداخل ، ياميلورز ؟ » فأجاب ببطء : « صورة زوجتى » .. فاقتربت منه وجلست الى جواره ، ثم قالت : **« ألا زلت تحبها ؟ »** .. فأجاب : « أحبها ؟ .. أوه .. كلا » ، فسألته : **« لماذا اذن تحتفظ بصورتها ؟ .. لماذا لم تحرقها ؟ »** ، فأجاب : « لست أدرى .. الواقع ان هذه الفكرة لم تخطر على ذهنى .. »

وران الصمت عليهما بعض الوقت ، ثم سألته :

ـ أخبرنى يا ميلورز .. ما الذى دفعك الى الزواج منها مادمت لاتحبها ؟

ـ انه القدر .. فقد كانت أول تجربة لى ، وكنت اذ ذاك غرا يافعا فى العشرين ، وكانت تكبرنى بخمسة أعوام ، وتفوقنى خبرة وتجربة ، فاستطاعت أن تنصب شباكها حولى .. غير اننى لم اوفق الى ارضاء عواطفها الثائرة التى لاتخمد .. فانتهى زواجنا بالفشل ، وهربت هى مع عشيق

لها استطاع أن يستحوذ عليها بمعاقرة الخمر وادمان المخدرات !

وتبينت كونى المرارة فى صوته ، فأحاطته بساعديها وهمست ، محاولة تغيير مجرى الحديث : « هل تحبنى يا ميلورز ؟ » ، فلم يجب .. فضمته بشدة وغمغمت : **« لماذا لا تجيب ؟ .. قل انك تحبنى .. لا تدعنى أغادر هذا المكان ، ولنعش معا حبيبين الى الأبد ! »** .. لكنه ظل معتصما بالصمت ! .. فقالت وقد انفعل صوتها بالغضب : « أتعلم ان ميعاد سفرى الى ايطاليا قد اقترب ؟ » .. فلم تختلج فى وجهه عضلة واحدة ، وقال بهدوء : « أحقا ؟ .. أتمنى لك رحلة طيبة » .. فأثارها هدوؤه وعدم اكتراثه ، غير انها أخفت مايعتمل فى صدرها وقالت :

ــ ان الضرورة تحتم على الاسراع بالرحيل .. وعندما أعود سوف أبتكر قصة أبرر بها حملى ، ثم أصارح كليفورد بأننى سوف أهجره ، وأعلنه بالقطيعة .. وعندئذ يتسنى لنا أن نرحل سويا الى بلد آخر ، لنعيش حياة جديدة .. بوسعنا الرحيل الى استراليا .. أو .. شرق افريقيا !

ــ هل سبق لك ان زرت المستعمرات ؟

ــ كلا .. ولكننى على استعداد لأن أذهب الى أقصى الأرض معك .. ألست ترغب فى الهرب معى ؟

ــ بلى ، ولكن كل شىء مرهون بوقته وظروفه !

ــ كيف ؟ .. أراك لا تبدو عليك اللهفة على الابتعاد عن هذا المكان .. ألا يسعدك أن أعيش بجوارك دائما ؟ .. ان لدى ريعا يقدر بستمائة جنيه فى العام ، وهو كفيل بأن يوفر لنا أسباب العيش .. ألا تعتقد ذلك ؟

ـ بلا ريب .. فمثل هذا المبلغ يعتبر ثروة بالنسبة لى .

ـ اننى واثقة بأننا سوف نكون سعداء ، لاسيما عندما ننجب الطفل !

ـ الطفل ؟ .. لست أدرى لماذا أشعر بالمرارة كلما جالت هذه الفكرة بذهنى ! .. يخيل الى انه من الظلم ان ندفع طفلا بريئا الى غمار هذه الدنيا ، المليئة بالشرور !

فهتفت كونى فى حنق : « ميلورز .. أرجوك .. لا تتفوه بمثل هذا الكلام .. انه طفلنا .. وثمرة حبنا .. انك بذلك تحطم قلبى وتفجعنى فى أحلامى ! .. قل أنك سعيد ! »

فربت على كتفها بعطف ، وقال :

ـ اننى سعيد .. اذا كنت سعيدة ياكونى .

ـ أوه .. لكم أشعر بالسعادة عندما أتصور أحلامنا وأمانينا فى طريقها الى التحقق .. بمجرد عودتى !

ـ ولكن ، ما فائدة عودتك الى زوجك اذا كنت عازمة على معاودة الهرب ؟

ـ لقد وعدت كليفورد بأن أعود ، وسأبر بوعدى .. الى جانب اننى سوف أعود من أجلك .

فقال بصوت تشوبه رنة التهكم والاستهزاء :

ـ نعم ، من أجل عشيقك .. الحارس ميلورز !

وران عليهما الصمت مرة أخرى ، وأخيرا قالت :

ـ أخبرنى يا ميلورز ، بصراحة .. ألا تعتقد انه من الحكمة أن أسافر الى ايطاليا ؟

ـ بلا ريب .. اذ يتسنى لى خلال هذه الفترة ان أقيم دعوى الطلاق على زوجتى ، كما يمكنك أنت الاخرى التفكير فيما أنت مقدمة عليه ..

فأطرقت برأسها ، وقالت : « سوف أحضر لزيارتك ليلة رحيلى .. فهل تنتظرنى يا ميلورز ؟ »

ـ بلا ريب .. ولكن ، ألا ترين انه من الخطورة بمكان حضورك أثناء وجود شقيقتك بالقصر ؟

ـ انها تعلم ان لى عشيقا !

وسارت صوب النافذة ، وأخذت تتأمل الريح التى كانت تزمجر فى الخارج ، والمطر الذى كان ينهمر بغزارة !

- ١٠ -

كاد كليفورد ان يفقد عقله حين اكتشف ان كونى ليست فى القصر ! .. وأخذ يسأل عنها الخدم فردا فردا ، ولكن أحدا لم يقرر انه رآها تخرج .. فجلس الى جوار النافذة يراقب الريح وهى تعصف بأوراق الشجر ، وقد كادت الدموع أن تطفر من عينيه ! .. ولاحظت مسز بولتن مايعانيه من قلق ، فأرادت أن تبعث الطمأنينة الى قلبه .. فأكدت له انها شاهدت الليدى تشاترلى تغادر القصر عند الفجر ، قبل هبوب العاصفة .

ولكن كليفورد لم يقتنع بقولها ، بل صاح فى غضب :

ـ لقد بدأت العاصفة عند الفجر .. فكيف جرؤت على الخروج .. انه لجنون .. جنون مطبق !

وسكت قليلا ، ثم أردف : « متى غادرت القصر ؟ » ، فأجابت مسز بولتن فى هدوء : « حوالى السادسة صباحا يا سيدى » .. فأطرق برأسه وتمتم : « الله وحده يعلم أين هى الآن ؟ »

***

.. **وانقطع** المطر عند الظهر ، والليدى تشاترلى لم تعد ! .. فعاد القلق يساوره ، وأخذ يتململ فى جلسته وقد علا وجهه شحوب أقرب الى شحوب الموت .. ثم قال وهو يضغط بأسنانه على شفته حتى كاد يدميها :

ـ لافائدة يا مسز بولتن .. لقد وقع لها حادث ! .. فابعثى بمن يبحث عن جثتها فى الغابة !

ـ اوه .. لاتقل هذا القول ياسيدى .. اننى واثقة انها فى خير حال .. وسأذهب حالا للبحث عنها .

.. وكانت تعرف أين ستجدها ! .. فاتجهت رأسا شطر كوخ ميلورز ، لكنها قبل أن تبلغه التقت بهما فى منتصف الطريق ، فاندفعت نحو كونى بصوت مرتجف :

ـ أوه يا سيدتى الليدى .. ان سيدى اللورد كليفورد فى أسوأ حال ، وقد كاد يفقد عقله خوفا وقلقا عليك !

فقال ميلورز بلطف : « ان سيدتك الليدى لم تصب بسوء يامسز بولتن .. طابت أمسيتكما » ، وأدار لهما ظهره وابتعد ! .. وما كاد يختفى عن أبصارهما حتى قالت مسز بولتن :

ـ أرجو ألا تغضبى ياسيدتى الليدى .. لقد كاد سير كليفورد ان يبعث بالخدم للبحث عنك .. لولا اننى تدخلت فى الوقت المناسب وأكدت له أننى شاهدتك تغادرين القصر عند الفجر !

ـ لقد غادرت القصر فعلا عند الفجر .. ماذا فى ذلك .. الا يحق لى الخروج وقتما أشاء ؟

واشتعلت عيناها بنيران الغضب وأردفت :

ـ كيف سمحت لنفسك بأن تتدخلى فى شئونى ؟ .. ما شأنك بى ؟

وحين وصلت الى القصر ، اندفعت نحو كليفورد وصاحت ثائرة :

ـ لماذا لم ترسل خدمك للبحث عنى ؟

وما ان بلغ صوتها اذنيه حتى اختفت من وجهه علامات القلق ، وابتدرها هاتفا :

ـ يا الهى .. أين كنت أيتها المرأة ؟ .. أين كنت فى هذه العاصفة الهوجاء ؟

ـ وماذا لو رفضت الاجابة على هذا السؤال ؟

فتحول لون وجهه من الاحمرار الى الاصفرار ، ودارت عيناه فى محجريهما، وارتجفت يداه بشكل ظاهر ، وفتح فمه ليتكلم .. ولكن الكلمات ماتت على شفتيه ، **فشعرت كونى بالندم يغزو قلبها ، فاقتربت منه وربتت على كتفه بعطف ومودة ، وقالت :**

ـ اننى آسفة يا كليفورد .. كان يجب أن تعلم اننى لابد قد التجأت الى مكان ما من الغابة حتى تهدأ العاصفة ..

ـ هيا وأبدلى ثيابك المبتلة ، اذ أخشى أن يصيبك البرد بمكروه ..

ـ كلا .. لن أصاب بشىء ، سيما واننى شديدة الرغبة فى القيام برحلتى الى ايطاليا

فتجهم وجهه وقال : « ألا زلت مصرة على الرحيل ؟ »

ـ نعم ، وسوف تحضر هيلدا مساء الخمس لتصحبنى الى لندن ، ومن هناك سوف نستقل الباخرة .. **لكننى أكرر وعدى بأننى سوف أعود ثانية ، ولن أتغيب أكثر من أسبوعين أو ثلاثة على أكثر تقدير .**

فأطرق برأسه ولم ينبس ببنت شفة !

***

ووصلت هيلدا الى « رجبى هول » صباح الخميس ، تبدو على قسمات وجهها أمارات التعب والارهاق . وكانت كونى قد أعدت مستلزمات الرحيل ، فأقبلت على كليفورد تودعه بحرارة ، ثم التفتت نحو مسز بولتن قائلة : « أرجو

ان تعنى به يامسز بولتن ، وتوفرى له أسباب الراحة حتى أعود .. أتعدينني بذلك ؟ »

ـ بلا ريب يا سيدتى الليدى .. بلا ريب .

ولما عادت الى حجرتها ، سألتها هيلدا : « هل أعددت نفسك للسفر ؟ » ، فبدت على وجهها المباغتة وقالت : « اوه يا هيلدا . لن أرحل معك الليلة ، اذ اننى مضطرة الى البقاء على مقربة من هنــا .. طوال الليل ! » .. فانفرجت شفتا هيلدا عن ابتسامة باهتة وقالت : « على مقربة من هنا ؟ .. أين ؟ » .

ـ لعلك تعلمين ان لى عشيقا .. وقد وعدته أن أقضى الليلة الأخيرة معه قبل الرحيل ! »

وساد بينهما صمت طويل ، قطعته هيلدا أخيرا بقولها : « لماذا لا تصرحين لى بشخصيته ؟ » .. فترددت كونى قليلا ثم قالت : « انه حارس الضيعة » .. فشحب وجه هيلدا وصاحت مذعورة : « كونى .. هل جننت ؟ .. لســوف تندمين على هذه الحماقة أشد الندم ! » .. فانهمرت الدموع فجأة من عينى كونى ، بينما وقفت هيلدا تراقبها وهى تبكى ، فترة طويلة ، وأخيرا قالت كونى : « كلا .. كلا .. بل كنت لأندم لو لم ألتق به ! »

فقالت هيلدا باصرار : « سترى ياكونى .. سوف يأتى اليوم الذى لن تجرؤين فيه على أن ترفعى رأسك ، من فرط الخجل والعار ! » .. فمسحت كونى دموعها وقالت :

ـ لست أبالى .. يكفى اننى أشعر بالسعادة تغمر قلبى .. اننى أنتظر مولودا .. منه .. وانى لفخورة به !

ـ وهل أنت مصممة على الذهاب اليه هذا المساء ؟

ـ نعم .. لقد وعدته بذلك !

فأطرقت هيلدا برأسها وقد أدركت ان من العبث الجدل مع شقيقتها فى هذا الشأن !

***

وكان وداع كليفورد لكونى مؤثرا للغاية ، فقد ترقرقت الدموع فى عينيه ، وهو يتوسل اليها أن تذكره وأن تكتب اليه باستمرار ، لأن رسائلها سوف تكون عزاءه الوحيد فى وحدته .. فربتت على كتفه فى حنو واخلاص وقد انهمرت من مآقيها بدورها الدموع الغزار ..

وما ان استقلت السيارة حتى استردت هدوء نفسها ، فمسحت دموعها بأناملها وقالت : « ياله من بائس .. اننى أتعذب يا هيلدا ، ولست أدرى ماذا أفعل .. لقد عزمت عزما أكيدا على هجره ، غير ان ضميرى سوف يعذبنى على الدوام ! »

وأدارت محرك السيارة التى اتجهت بهما صوب الكوخ ، وخلال الطريق لم تستطع كونى أن تكتم سؤالا كان يلح على خاطرها ، فقالت : « لماذا تعتبرين الحب حماقة يا هيلدا ؟ »

ــ ليس هذا ما ارمى اليه .. وانما كان يجدر بك ، اذا لم يكن من الأمر بد ، أن تختارى رجلا من مستواك وطبقتك !؟ .. أو تتخلين بمثل هذه البساطة عن لقب «الليدى تشاترلى»؟

ــ انه لقب جامد لاحياة فيه .. والسعادة قد تقطن الأكواخ أكثر مما تقطن القصور الشامخة !

ــ انك حمقاء ياكونى .. والذى حدث لك لا يخرج عن نزوة طارئة ، ولدها الكبت والحرمان !

وفى تلك اللحظة وصلت بهما السيارة أمام الكوخ ، ثم توقفت ، فهمست كونى : «هذا كوخ ميلورز » ، فقلبت هيلدا شفتها السفلى باحتقار وقالت : « حسنا .. أتمنى لك

ليلة هانئة » .. ثم فتح باب الكوخ وظهر ميلورز على عتبته ، فأسرعت كونى نحوه قائلة : « ميلورز .. هذه شقيقتى هيلدا »

فتنحى عن الباب ودعاهما الى الدخول ، ثم أغلق الباب خلفهما . وأخذت هيلدا تفحصه بنظراتها ، فبدا - بصورته الجميلة ، وصمته ، وتجهم وجهه الحزين القسمات - كأنه أعجبها .. وقال أخيرا بهدوء : « هل أعد لكما قدحين من الشاى ؟ .. أم أحضر لكما زجاجة من « البيرة » ؟ » ، فقالت هيلدا فى استهزاء : اننى واثقة ان البيرة تناسب كونى الليلة ! » . فأدرك رنة التهكم فى صوتها ، وأراد ان يرد لها صفعتها ، فقال : «اننى أعلم أن معظم سيدات الطبقة الراقية يتناولن البيرة » ، فرفعت هيلدا الكوب الذى قدمه اليها وجرعته دفعة واحدة ، ثم قالت : « أو تعتقد ذلك ؟ »

- وأنت ؟.. ماهو رأيك الصريح فى الموضوع ؟

- حسنا .. اذا شئت الصراحة ..

- أعتقد ان الصراحة أجدى فى مثل هذه الظروف .

- حسنا .. اننى لا أنظر بعين الرضا الى العلاقة التى بينك وبين كونى !

فتفرس فى وجهها بوقاحة ، وقال : « ولماذا .. هل تشعرين بالغيرة منها ؟ » .. فقفزت من مقعدها وصاحت : « كيف .. كيف تجرؤ .. ؟ »

- دعينا من هذه الألفاظ الجوفاء .. وأخبرينى .. ماهو وجه اعتراضك على الأمر ؟

فهتفت كونى فى يأس وقنوط : « ميلورز .. أرجوك .. لا تحتد هكذا » .. فأطلق قهقهة عالية ، وأردف : « ان شقيقتك ، سليلة المجد والشرف، تحاول أن تلقى على درسا فى الشرف » . فقالت هيلدا ، وصدرها يعلو ويهبط : «وهل

تعتقد انك تملك ذرة من الشرف ؟ » ، فلم يغضب لهذه الاهانة ، بل استطرد :

ــ لماذا تلومين شقيقتك لأنها وجدت فى شخصى الضعيف ، المنقذ لها من شقائها العائلى وحرمانها الطويل ؟ .. أليست امرأة من لحم ودم ؟ .. ألا يحق لها ــ كسواها ــ أن تتمتع بالحب والحياة ؟

فلم تجب هيلدا بشىء ، ولعلها أدركت عدم جدوى مجادلة هذا الرجل أو مناقشته ، فسارت نحو الباب . وأسرع ميلورز خلفها ليرشدها الى الطريق ، غير انها أشارت فى كبرياء وترفع : « الزم مكانك .. اننى أعرف طريقى ! » . فقال بتهكم : « أؤكد لك انك لا تعرفين شيئا ! » .. فأجابت : « وانا أؤكد لك انك أوقح من رأيت من الرجال ! » . ثم اندفعت نحو الخارج وهى تتعثر فى خطواتها ، فأغلق ميلورز الباب خلفها ، وقال وهو يطلق ضحكة عالية تجلجل فى الكوخ : « كان ينبغى أن أثيرها ، حتى يخلو لنا الجو .. فى ليلة الوداع ! »

وانحنى على كونى .. فقبلها .

***

ــ **انهضى** ياكونى .. لقد جاوزت الساعة السابعة .

ففتحت كونى عينيها ، ثم أغمضتهما بسرعة وقالت بدلال :

ــ اسدل الستائر .. من فضلك !

ولعلها تذكرت شيئا كان قد غاب عن ذاكرتها فقالت :

ــ لشد ما يشق على فراقك يا حبيبى .. لكم أتمنى أن أبقى بجوارك دائما !

فقال يذكرها : « ورجبى هول ؟ »

ــ نعم .. هذا صحيح .. يجب أن نبتعد عنها آلاف

الأميال .. سوف نرحل قريبا عن هذا المكان البغيض ، فلن يهنأ لنا عيش بالقرب منه .. أليس كذلك ؟

وهز رأسه مؤمنا على قولها .. فأردفت :

ـ اتعدنى بالبقاء على حبى ؟..عدنى بذلك ياميلورز، حتى أستمد من هذا الوعد القوة على مواجهة العقبات التىسوف تصادفنى .. عدنى بأنه لن تقوى قوة على التفريق بيننا !.. عدنى بذلك ، حتى أمضى سعيدة هانئة !

ـ اننى أكره الاغراق فى الخيال..كل ما أعرفه انه يتحتم عليك الرحيل بعد دقائق !

فهتفت بحرقة : « أو يتحتم على ذلك ؟ .. رباه ، ما أشد شقائى ! ». وسمع طرق على الباب فى تلك اللحظة ، فأسرع ميلورز اليه ، ثم عاد قائلا : « انه ساعى البريد ، وقد جاءنى برسالة من صديق هاجر الى كندا ! » .. فالتمعت عيناها وهتفت :

ـ كندا ؟ .. حقا ، لم لانهاجر اليها ؟

ـ .. انها بالفعل بلدجميل ، ويصلح لاقامة عاشقين جمع بينهما الهوى !

فاندفعت نحوه وطوقته بذراعيها ، ثم هتفت فى جذل : « اذن ، فأنت تحبنى .. انك تحبنى يا ميلورز »

- ١١ -

ووصلت كونى وهيلدا الى لندن ، وهناك التقتا بوالدهما « سير مالكولم ريد » ، ثم ارتحلوا جميعا الى (فينيسيا) ـ عن طريق سويسرا وفرنسا ـ وكانت كونى تسائل نفسها طوال الرحلة : لماذا لم تعد تلك المناظر الطبيعية الخلابة ، التى بهر جمالها أنفاسها من قبل ، تستهويها وتشعرها بجو الخيال والشعر ؟.. ترى هل أصبحتمثل القديس «برنار»

الذى عبر بحيرة (لوزان) دون ان يلاحظ ان مياهها خضراء اللون أو ان الجبال تحيط بها من كل جانب ؟ .. وانتابها شعور بالوحشة والحنين الى (رجبى هول) ، بل والى كليفورد أيضا ، كليفورد المشلول المسكين ! .. **وكان عقلها الباطن دائب التفكير فى الرجل الآخر .. ميلورز !.. أجل.. يجب عليها ان تحتفظ بذكراه ماثلة فى خيالها ، والا أدركها الضياع ، الضياع التام ، وسط ذلك العالم المحتشد بآلاف الرجال الأثرياء ، الذين لا ينفكون يبحثون عن المتعة واللذة ، بلا كلال !**

ووصل ركبهم الى فينيسيا فى ليلة مقمرة من ليالى الصيف الدافئة ، واستقلوا « جندولا » يقوده شاب ايطالى يرتدى قميصا أزرق اللون يدعى « جيوفانى » ، وطلبوا منه أن يقلهم الى فيلا «أزميرالدا» التى استأجرها مضيفهم ، وهو رجل اسكتلندى ، ضخم الجثة ، خشن المظهر ، كان قد جمع ثروة طائلة فى ايطاليا أثناء الحرب .

وكانت « الفيللا » مزدحمة بغيرهم من الضيوف ، فقدكان هناك زوجان اسكتلنديان ، وكونتة ايطالية شابة ، وأرملة ، وأمير من (جورجيا) ، وقس انجليزى شاب !

وقضى ثلاثتهم فى فينيسيا وقتا ممتعا ، فكان سير مالكولم يصطحبهما لزيارة المعارض الفنية التى كانت تعرض آلاف اللوحات من روائع الفن العالمى ، والمسارح التى كانت تعرض مسرحيات « جولدونى » ، كما ارتادوا مختلف الملاهى والمتنزهات ومعالم المدينة ..

وكانوا يقضون فترة الصباح فى تعريض أجسادهم لأشعة الشمس ، وفى المساء كانوا يراقبون جموع الراقصين والراقصات ، الذين جنوا بموسيقى « الجاز » ، واختلطت هيلدا بالنساء اللاتى كن يقضين أوقاتهن فى تتبع حركات

غيرهن من الحسان، والثرثرة عن مغامراتهن وغرامياتهن !..
أما الرجال فقد كانوا — فى سراويلهم البيضاء — أشبه مايكونون بالكلاب حين تقبع فى انتظار يد حانية تربت على ظهورها !

وشعرت كونى بالتعاسة ! .. انها لا تشعر بالرغبة فى الرقص ، فقد كانت فكرة التصاق جسدها بجسد واحد من تلك « المخلوقات » ، تبعث فى نفسها التقزز والاشمئزاز !
.. وكانت أسعد أوقاتها هى تلك اللحظات التى تستقل فيها « الجندول » مع شقيقتها ، فتعبران بحيرة (لاجون) الى الشط الآخر ، حيث تخلع كل منهما ملابسها ، وتسبحان فى الماء بمفردهما !

وكرس « جيوفانى » ، نوتى الجندول ، كل وقته لخدمة السيدتين الجميلتين، كما فعل من قبل بالنسبة «لشحنات» قاربه من النساء ، وكان يتمنى أن تعجب به احداهما، فتخلع عليه هداياها الثمينة ، ومن ثم يصبح فى وسعه أن يتزوج !

وكانت كونى تعود — فى كل مرة — وقد استولى عليها الذهول ، واستسلم عقلها للنعاس ، من جراء انعكاس أشعة الشمس فوق سطح البحيرة ، لتجد فى انتظارها خطابا من كليفورد — فقد كان يكتب اليها بانتظام — وذات يوم كتب اليها يقول :

« لقد استمتعنا أخيرا بفكاهة رائعة : اذ يبدو أن زوجة حارس الضيعة « ميلورز » قد عادت فجأة الى الكوخ ، غير ان زوجها طردها شر طردة وأغلق دونها الباب . وتقول « التقارير » التى استقيتها من مسز بولتن ان ميلورز عندما عاد من الغابة ، وجدها ترقد فى فراشه « عارية » كما ولدتها أمها — بعد ان كسرت احدى النوافذ واقتحمت الكوخ ! — ولما لم يجد طريقة لاجلائها ، انسحب الى منزل أمه ! ..

وهكذا احتلت « فينوس » الكوخ الذى تدعى شرعية حقها فى احتلاله ، بينما انسحب « أبوللو » الى قواعده ، سالما !! »

وكان وقع خطاب كليفورد كالصاعقة على أعصاب كونى ، واجتاحها الغضب والغيظ !.. لماذا توانى الغبى عن التخلص من زوجته منذ زمن طويل ؟ .. وبعد ان قلبت الامر على وجوهه، كتبت كونى الى مسز بولتن ، تستفسر عن تفاصيل الموضوع !

وفى تلك الاثناء ، وصل الى فيلا «ازميرالدا» ، فنان شاب، رقيق العاطفة ، من أصدقاء كونى القدامى ، فألف مع كونى وهيلدا ثالوثا لايفترق فى نزهات الجندول ، وصار يلازمهما أكثر الوقت ..

وذات يوم، تسلمت كونى خطابا من مسز بولتن تقول فيه:

« **لاشك** انك سوف تشعرين بالسرور والغبطة ، ياسيدتى الليدى ، عندما يقع بصرك على سير كليفورد ، فقد تقدمت صحته بشكل ظاهر ، وبدأ يقبل على الحياة بأمل وحبور .

« لست أعلم الى أى حد من التفصيل ذهب سير كليفورد فيما كتبه اليك بصدد موضوع الحارس ميلورز . والذى أعلمه ان زوجته « برتا كوتس » **قد عادت اليه ذات** مساء ، قائلة انها أتت لتعيش فى كنف « زوجها » – اذ يبدو أن ميلورز لم يكن قد أتم اجراءات الطلاق منها – غير انه رفض أن يسمح لها بدخول الكوخ ، وعاد الى الغابة دون أن يفتح لها الباب !

« ولما عاد فى اليوم التالى ، دخل الكوخ فوجدها ترقد فى فراشه ، عارية حتى من ورقة التوت ! .. فعرض عليها نقودا ، لكنها تمسكت بأنها زوجته الشرعية ، وان لها عليه حق الايواء . فأجابها ميلورز بقوله انه يؤثر أن يدفن ويهال عليه التراب ، على أن يعود اليها !

« وفى اليوم التالى ، ذهبت الزوجة الى الكاهن ، وهى تسب وتصخب وترمى ميلورز بكل النقائص والاتهامات ، وادعت انه كان يصحب نساء الى الكوخ ، وانها عثرت هناك على زجاجة عطر وبعض أعقاب السجائر ملوثة بأحمر الشفاه ، ووصفت للجميع فى وقاحة بالغة ما كان يقترفه معها من أفعال شاذة أثناء حياتهما معا ، حتى أصبح الناس يتحاشون لقياه ، كما لو كان « المركيز دى صاد » عينه ! »

وعاد الغضب يجتاح كونى من جديد .. ما الذى دعاه الى أن يتزوج من تلك المرأة المبتذلة ؟ .. ربما كان لديه استعداد طبيعى للأمور المبتذلة والمنحطة ! .. وعادت الى ذاكرتها الاوقات السعيدة التى قضتها معه ، فسرت الرعدة فى جسدها .. لابد انه قد وجد متعة أخرى فى أحضان امرأة على شاكلة « برتا كوتس » .. **وأحست بغثيان ، وانتابها الخوف والقلق ، وتاقت الى أن تسمو بنفسها عن الدرك الذى تردت اليه ! .. رباه ، ماذا يكون من أمرها لو أن كليفورد عرف شخصية عشيقها ؟ .. انه لأمر بالغ الاذلال لها !**

ولم تتمالك ان كتبت خطابا الى « مسز بولتن » ، أرفقت به مذكرة وجهتها الى ميلورز ، قالت فيها :

« لقد أحزننى أشد الحزن ، ما بلغنى عن المتاعب التى صادفتك من زوجتك ، لكنى أرجو ألا تعيرها اهتماما .. انها امرأة مخبولة ، أفقدها الكبر صوابها ! .. سوف أعود بعد عشرة أيام ، وأرجو ان يكون كل شىء — حينئذ — على ما يرام »

***

وكتب اليها كليفورد يقول :

« لقد طغى على السرور عندما تسلمت خطابك الذى

حددت فيه موعد عودتك ، فلكم اشتقت الى رؤياك .. ولكن ، اذا كنت تقضين وقتا هنيئا ، فلا داع لأن تعجلى بالعودة ، فمن الضرورى أن تستمتعى بكفايتك من أشعة الشمس ، وارتداء البيجامات !

« ان مسز بولتن تبذل أقصى جهدها لتكفل لى الراحة ، مما يجعلنى أعجب لذلك النوع من البشر ، الذى يبذل نفسه فى خدمة الآخرين ، دون أن ينتظر جزاء ولا شكورا ! .. انها توافينى بأنباء فضيحة الحارس أولا بأول ، وهى تذكرنى بالسمكة التى – رغم كونها خرساء – تستنشق الشائعات من خلال خياشيمها ! .. ويؤسفنى أن أقول اننا على وشك أن نخسر حارس غابتنا ، بعد ان انتشرت الفضيحة وذاعت على كل لسان ، فقد اتهمته زوجته بأشنع التهم ، بل لقد فازت بتعضيد كافة نساء عمال المناجم بالبلدة ! .. وقد بلغنى انها ضربت حوله حصارا محكما فى منزل أمه ، وفى احدى المرات اقتنصت ابنتها الطفلة عند عودتها من المدرسة .. غير ان الصغيرة ، بدلا من ان تقبل يد أمها ، عضتها عضة موجعة ، فانفجر مرجل غضب الأم ، وانطلقت فى البلدة تردد أدق تفاصيل حياتها الخاصة مع زوجها ! .. فاضطررت الى أن أستدعى ميلورز فأسأله عما اذا كان بوسعه أن يقوم بواجباته فى الغابة ، فأجاب بأنه لم يهمل القيام بها ، واذ ذاك سألته ان كان بوسعه ان يجد له عملا آخر ، فأجاب قائلا : « اذا كنت تقصد انك تريد أن تتخلص منى ، فأننى على استعداد لأن أقدم لك استقالتى فورا ! »

« وعرضت عليه مرتب شهر اضافى ، غير انه نظر الى بأنفة وكبرياء ، وقال انه لا يقبل سوى حقه ! »

***

وكان لخطاب كليفورد تأثير سيء على كونى ، فقد أظهر بجلاء مدى أنانية كليفورد وعدم اهتمامه بمشاعر الغير ، سيما من كانوا أقل منه مركزا ومقاما . وعزز هذا الظن أن وصل خطاب من ميلورز يقول فيه :

« لقد انطلقت النمرة من قفصها ، تنشب مخالبها وتفترس كل من يجرؤ على ان يعترض سبيلها ! .. فقد انتهى الأمر بزوجتى الى أن تلوك سيرتك ، حتى وصلت الأقاويل الى مسامع سير كليفورد ، فاستدعانى وفاجأنى بأن زوجتى قد أخبرته انها عثرت فى كوخى على كتاب ممهور باسمك ، وطلب منى أن أفسر له هذا الامر ، فقلت له اننى أحتفظ أيضا بصورة للملكة فيكتوريا ، ممهورة بامضائها ، ولم يسألنى أحد ان أقدم عنها ايضاحا ! .. غير انه أخذ ينحى على باللوم والتأنيب ، قائلا ان احتفاظى بالكتاب فى الكوخ قد أمد زوجتى السليطة اللسان بالسلاح الذى طعنت به سمعة زوجته ، وانه مضطر الى الاستغناء عن خدماتى .. ثم عرض على مرتب شهر ، تعويضا عن الضرر الذى حاق بى .. فأجزلت له الشكر .. غير اننى رفضت منحته ، وغادرت الكوخ الى غير رجعة ! »

وأحست كونى بالامتعاض .. فان ميلورز لم يشر اليها فى رسالته بحرف ، واكتفى بذكر ما حدث دون تعليق ، تاركا لها مطلق الحرية للعودة ــ اذا شاءت ــ الى كليفورد ! .. لماذا يتصرف بمثل هذه الشهامة ؟ .. وودت لو انه واجه كليفورد صراحة فقال له : « ان زوجتك عشيقتى .. واننى لفخور بذلك ! » .. غير انها كانت واثقة من أن شجاعته لم تكن لتدفعه الى هذا الحد !

***

وظلت كونى فى (فينيسيا) تمارس هوايتها المفضلة ، وهى التجديف مع « دنكان فوربس » الذى كان مغرما بها منذ عشر سنوات ، والذى استيقظ غرامه بها بمجرد رؤيته اياها ! .. غير انها صارحته من فورها بأنها لم تعد تطمع فى مغامرة عاطفية مع أى رجل ! .. فاكتفى منها بمتعة وجوده الى جانبها ، ومجاذبتها الحديث !

- ١٢ -

وقررت كونى أن تغادر (فينيسيا) فى نفس اليوم الذى يرحل فيه ميلورز عن (رجبى هول) ، فيصلان الى لندن فى نفس الوقت بعد ستة أيام .. فلما عرف دنكان بقرارها هذا عرض عليها أن يرافقها !

وفى القطار ، جلست كونى بجوار أبيها ، مطرقة برأسها ، وقد شرد فكرها بعيدا .. ولاحظ والدها وجومها وصمتها، فأخذ يتأمل وجهها الذى لفحته حرارة الشمس وأكسبته فتنة تخلب الألباب ، وأخيرا قطع الصمت الذى كان يرين عليهما بقوله : « أراك لست متحمسة للعودة الى (رجبى) يا كونى ؟ .. أليس كذلك ؟ » .. فرفعت بصرها نحوه ، بنظرة ساحرة من عينيها الزرقاوين ، وأجابت :

ــ لن أعود الى (رجبى) !

ــ هل تعنين انك سوف تقضين بعض الوقت فى باريس ؟

ــ كلا .. أعنى أننى لن أعود الى (رجبى) بتاتا !

ــ لماذا ؟ .. هل حدث بينك وبين كليفورد شىء يدعوك الى هجره ؟

ــ كلا .. كل ما فى الامر اننى انتظر مولودا !

وبذل سير مالكولم جهدا كبيرا كى يحتفظ برباطة جأشه ، ثم قال :

ـ انه بالطبع ليس ابن كليفورد ؟

ـ كلا .. انه ابن رجل غريب .. لا تعرفه !

ـ أليس ثمة أمل فى اصلاح ذات البين بينكما ؟

ـ أوه .. لقد قال لى كليفورد صراحة انه لا يعير الأمر اهتماما لو انجبت طفلا من رجل آخر !

ـ يا الهى .. ما كنت أحسب انه يتمتع بمثل هذا الافق المتسع !

***

ولما وصلت كونى الى لندن ، وجدت فى انتظارها خطابا من ميلورز يقول فيه : « ليس من الحكمة أن أقوم بزيارتك فى الفندق .. أرجو مقابلتى فى حانة (الديك الذهبى) التى تقع فى شارع آدم ، حوالى الساعة السابعة مساء »

***

وما أن شاهدته قادما نحوها ، حتى عاودها ذلك الاحساس الداخلى بالدفء ، الذى لم تفلح شمس فينيسيا فى بعثه فى كيانها ! .. يا الهى .. لكم يبدو شاحبا ! .. لا بد وانه قد قاسى كثيرا .. أما هو فوقف أمامها وقد ألجم لسانه ، وراحت نظراته تذرعها من قمه رأسها الى أخمص قدمها ، ثم عادت الى الصعود حتى استقرت على وجهها ! .. وأخيرا قال لها فى صوت هامس ، ينبض بالعشق والهيام : « لكم أنت فاتنة ! »

وفى داخل الحانة طلب لها شرابا ، أخذت تجرعه فى بطء ، وعيناها لا تفارقان عينيه .. وفتحت كونى فاها لتتكلم ، غير انه قاطعها سائلا :

ـ هل ما زلت واثقة من انك تنتظرين مولودا ؟

ـ نعم .. لقد أكد لى الأطباء النبأ السعيد .. ألا يغمرك هذا النبأ بالغبطة والسعادة ؟

ـ نعم ، ولا .. اذ اننى أخشى المستقبل !

وحز الألم فى قلب كونى ، فأطرقت برأسها وهمست :

ـ هل ترغب فى ان أعود الى كليفورد ؟

ـ وهل ترغبين فى ذلك ؟

ـ كلا .. اننى أريد أن أعيش الى جوارك الى الأبد !

ـ ولكننى انسان متواضع ، ولا أملك من متاع الدنيا شيئا .. أتعتقدين أن كرامتى واحترامى لنفسى يسمحان لى بأن أعيش معك .. لمجرد اشباع رغباتك ؟

ـ أرجوك يا حبيبى .. لا تغمط نفسك حقها .. **انك تملك قوة قد لا تتوافر فى أعظم الرجال .. قوة الحنان والرقة !**

ـ وهل تعتقدين انها تكفى ؟ .. أجل ، اننا نحب أحدنا الآخر ، ولكن ، يجب على الرجل أن يوفر لزوجته « معنى » لحياتها معه !

ـ أراك تحاول أن تنتحل الأعذار .. كأنما تخشانى !

ـ اننى لا أخشاك انت .. وانما أخشى العالم الذى يتمثل فى حياتك الحاضرة .. عالم الثروة والمركز الاجتماعى !

ـ أرجوك يا حبيبى .. لا تقل هذا .. **اننى على استعداد لأن أعيش معك .. جارية !!**

ونظر اليها ميلورز فى حنان ، فأدركت كونى انه قد بدأ يستسلم لسحرها ، وظهرت على وجهه امارات العاطفة الدافقة ، فأمسك بذراعها وقادها خارجا ، ثم سارا فى سرعة ولهفة حتى وصلا الى غرفته ، الحقيرة الأثاث ، والتى كانت تقع فى اعالى احدى العمارات !

وما أن أغلق الباب خلفها حتى ألقت كونى بذراعيها حوله ، وضمته اليها بعنف ، وهتفت فى حرقة : « قبلنى يا حبيبى .. قبلنى وقل انك لن تهجرنى ، واننا سوف نعيش سويا .. الى الأبد ! »

***

وأفضت كونى الى أبيها بشخصية عشيقها ، فلما علم انه كان يعمل فى خدمة زوجها أظهر امتعاضا ، غير انه سرعان ما بدا على محياه الرضا والسرور .. بل لقد كان يغبطها فى سره ، فقد طالما أشفق عليها من اضطرارها الى أن تعيش مع زوج عاجز مشلول ! .. وفى نهاية حديثهما ، طلب والدها منها ان تعرفه بعشيقها !

واستجاب ميلورز لطلبه وحضر لزيارته . فأخذ الأب يناقشه فى شئون حياته ويستفسر منه عن ماضيه ، فأجاب ميلورز على أسئلته بصراحة تامة ، وبلا لف ولا دوران ، مما بعث الغبطة فى نفس الأب .. فلما انصرف ميلورز التفت سير مالكولم الى ابنته وقال وهو يفرك يديه ارتياحا :

ـ يبدو انك قد عثرت أخيرا على الرجل المناسب !

***

وفى اليوم التالى ، تناول ميلورز غداءه بصحبة كونى وهيلدا ، فى مطعم منعزل .. ولما انتهوا من تناول الطعام التفتت هيلدا الى ميلورز وقالت : « أعتقد ان الحكمة توجب ان لا يظهر اسمك عند السير فى اجراءات طلاق كونى من زوجها ! .. ومن الأفضل أن نبحث عن شخص يقبل تحمل مسئولية الجنين الذى تحمله كونى ! » .. فنظر ميلورز اليها مذهولا ولم ينبس بكلمة ، غير أن هيلدا استرسلت

قائلة : « وأعتقد اننى أعرف الشخص الذى قد يقبل القيام بهذا الدور .. » ، فقاطعها ميلورز : **« ولكن ، ما الذى يدعو هذا الرجل الى تحمل تبعة عمل لم يقم به ، وما الفائدة التى تعود عليه من ذلك ؟ »** ، ثم التفت الى كونى وقد بدا الغضب فى عينيه ، وقال : « أتراه .. ؟ » .. فتداركت هيلد الموقف قائلة : « كلا ، فليس له فيها أى مأرب .. وانما هو من ذلك النوع من الرجال الذين تعتمل الشهامة فى صدورهم ، دون اعتبار لما قد ينالونه من المرأة .. انه من اصدقائنا القدامى ، منذ كنا أطفالا فى اسكتلندا !

ـ وما اسم هذا الشخص ؟

ـ انه يدعى « دنكان فوربس »

ـ لا أدرى لماذا لا ارتاح الى هذا الاقتراح !

ـ انه الحل الوحيد .. فلو عرف الناس علاقتك بكونى ، لأصبح طلاقك من زوجتك فى حكم المستحيل !

وأطرق ميلورز برأسه ، وقد أدرك وجاهة منطقها ، وران عليهم صمت طويل ، قطعته هيلدا قائلة :

ـ اذا كنتما ترغبان فى العيش سويا فى ظل القانون والعرف ، ينبغى عليكما أن ترتبطا برباط الزواج .. ومن الضرورى ـ فى هذه الحالة ـ أن يحصل كل منكما على الطلاق من زوجه .. أليس كذلك ؟ »

***

وكتبت كونى الى كليفورد تطلب منه أن يطلقها ، وشرحت له انها قد عشقت « دنكان فوربس » ـ وكانت قد تحدثت مع كليفورد عنه كثيرا ـ وانها تنتظر منه مولودا ، لذلك تشعر ان من حق طفلها عليها أن يترعرع فى كنف أبيه الحقيقى !

وطرقت مسز بولتن باب غرفة سيركليفورد، فلما لم تسمع جوابا فتحت الباب ودخلت ، فوجدته راقدا فى فراشه وقد تحجرت عيناه ، ذاهلا عما حوله ! .. وكان خطاب كونى ملقى فوق الأرض بجوار الفراش .. فنظرت اليه بحنان ، واقتربت منه فى هدوء ، قائلة : **« سير كليفورد .. سير كليفورد ! »** .. لكنه بدا كالغائب عن وعيه ، فسرى القلق والخوف الى نفسها وهتفت : «سير كليفورد .. ما خطبك ؟ .. هل أنت مريض ؟ »

واذ ذاك استعاد كليفورد وعيه ، وادراكه للكارثة التى انقضت عليه كالصاعقة ، فانفجر يبكى وينتحب كطفل صغير ، وهو ينشج من خلال دموعه : **« لقد هجرتنى .. هجرتنى .. الى رجل آخر ! »** .. فاقتربت مسز بولتن منه وجلست على الفراش بجواره ، ثم احاطت منكبيه العريضين بذراعيها الحانيتين ، وضمته الى صدرها ، وأخذت تهدهده وتمر بيديها فى خصلات شعره ، وتبثه كلمات العزاء ، محاولة أن تسرى عنه ، قائلة : « لا بأس يا سيدى .. لا تحزن .. لا بأس » .. فتشبث كليفورد بها ، وأراح رأسه فوق صدرها ، فبللت دموعه المنهمرة مرولتها ، وصاح : **« لقد وعدتنى أن تعود .. وعدتنى أن تعود ! »**

***

وكتب كليفورد الى كونى فى منزل أبيها بلندن ، يقول :

« لست أرى داعيا لأن أصف لك مقدار ما أصابنى من ألم وحزن ، حين تسلمت خطابك الأخير . وليس لدى من رد عليه سوى : يجب أن تحضرى الى هنا بنفسك ، حتى نناقش الأمر فيما بيننا ، قبل أن أبت برأى بصدد الطلاق .. وأود أن ألفت نظرك الى انه ـ فى حالة عدم استجابتك لطلبى

المتواضع ـ سوف انتظر حضورك يوما ما .. حتى لو كان هذا اليوم بعد خمسين عاما ! »

وأدركت كونى فورا أنه كان يحاول أن ينتقم منها !.. انه يهددها ـ تحت ستار من الأدب ـ بأن يتركها هكذا «معلقة» ، لا بالمتزوجة ولا بالمطلقة ، ومن ثم يحرمها من العيش مع رجل غيره ! .. فقضت ليلتها مسهدة ، تتقلب فى فراشها ، وهى تحاول ان تجد لمشكلتها حلا ! .. وأخيرا هداها تفكيرها الى أن تستجيب لطلبه ، وتذهب الى (رجبى هول) ، بصحبة هيلدا !

ولم يكن كليفورد فى القصر ليرحب بها ، بل كان فى جولته المعتادة فى الخارج ، فراحت تجوب انحاء القصر وقد عصر القلق قلبها ! .. وفى موعد العشاء حضر كليفورد ، فقابلها بترحيب تشوبه مظاهر الأدب « الرسمية » .. وأخيرا نفذ صبرها ، فلم تتمالك أن هتفت :

ـ حسنا .. ماذا قررت ؟

ـ هل لى أن أعرف السبب الذى دعاك الى أن تهجرى بيتك ومسئولياتك ؟

ـ انه الحب !

ـ الحب لدنكان فوربس ؟ .. لكنك لم تريه جديرا بحبك حين التقيت به ، فى الماضى ، بل فضلتنى عليه .. فهل تعنين انك تحبينه الآن أكثر من أى شىء آخر فى الحياة ؟

ـ ان شعور الانسان يتغير !

ـ قد يكون هذا صحيحا .. قد تكون لك نزواتك . ولكن عليك مع ذلك أن تقنعينى بأهمية هذا التغير . اننى ، ببساطة ، لا أصدق قصة حبك هذا لدنكان فوربس !

ـ وما لزوم تصديقك؟ كل ما ينبغى عليك هو أن تطلقنى ، لا أن تصدق مشاعرى أو لا تصدقها !

ــ ولماذا أطلقك ؟

ــ لانني لا أريد أن أعيش هنا بعد الآن . وأنت نفسك لا تريدني !

ــ بل انني لم أتغير . واني لأفضل ــ من جانبي ــ أن تظلي تحت سقفي ، موفورة الكرامة ، تاركة جانبا مشاعرك الخاصة . . فان الموت أهون علي من تحطيم حياتنا اليومية التي ألفناها هنا في (رجبي) ، لمجرد اشباع نزوة من نزواتك !

فلاذت كوني بالصمت لحظات ، ثم أجابته :

ــ لا أستطيع . . لا مفر لي من الذهاب . . سيما وانني أنتظر مولودا . .

ــ أو من أجل الطفل تذهبين ؟

ــ نعم . .

ــ حقا ؟ لكنني أريد الاحتفاظ بزوجتي ، ولست أرى سببا للتفريط فيها . . فاذا أرادت أن تنجب طفلا ، تحت سقفي ، فمرحبا بها ، وبالطفل . . بشرط المحافظة على مظاهر اللياقة ، ونظام الحياة المألوفة . . او تعنين أن دنكان فوربس له عليك قبضة وتأثير أقوى مما لي ؟ . . لا أصدق . .

ــ ألا تفهم ؟ . . انني يجب أن أذهب . . أريد أن أعيش مع الرجل الذي أحبه !

ــ انك أذكى من أن تقنعي نفسك بقصة حبك لهذا الرجل ! . . وصدقيني ، انك تبالين بي ــ حتى هذه اللحظة ــ أكثر مما تبالين به . . فلماذا أسلم سلاحي وأقبل الهزيمة أمام هذا الهراء ؟ !

وأحست انه على حق . . وانها لن تملك كتمان الحقيقة أكثر مما كتمتها . . فرفعت وجهها نحوه وهتفت ، في انطلاقة يأس :

ــ لأنه ليس « دنكان » من أحبه ! . . لقد ذكرت لك

أنه دنكان لمجرد تجنيبك الألم وعدم خدش مشاعرك !

ـ عدم خدش مشاعرى ؟

ـ نعم ! .. لأن الرجل الذى أحبه حقيقة ـ (وهو الأمر الذى سوف تمقتنى من أجله) ـ ليس سوى مستر « ميلورز » ، الذى كان يعمل حارسا عندنا !

.. ولو استطاع أن يقفز من مقعده ، لفعل .. فقد اصفر وجهه ، وجحظت عيناه وهو يحدق فيها بنظرة من انهار تحت وطأة كارثة قارعة ! .. ثم تراخى فى مقعده وهو يلهث ، ورفع عينيه نحو سقف الحجرة ..

.. وأخيرا اعتدل فى جلسته ، وسألها وقد كست وجهه مسحة من البشاعة : « أواثقة أنت من انك قد تفوهت بالحقيقة ؟ »

ـ نعم ! .. أنت تعلم ذلك .

ـ ومتى بدأت علاقتك معه ؟

ـ فى الربيع ..

وكوحش أعتقل فى قفص ، حدق فيها وهو يتكىء على ذراعى المقعد .. ثم صرخ : « يا الهى ! .. انك ينبغى أن تمحين من على ظهر الأرض ! »

فتساءلت بصوت خائر : « لماذا ؟ »

لكنه استطرد ، وكأنه لم يسمعها : « ذلك الجلف الحقير ! .. القذر ! .. الخائن ! .. أو كنت على علاقة معه وهو واحد من خدمى ؟ ! .. يا الهى ، أما من حدود لدناءة النساء البهيمية ، وانحطاطهن ؟ !.. ومعنى ذلك انك تزمعين انجاب طفل من جلف كهذا ؟ »

ـ نعم ..

ـ ومنذ متى عرفت ذلك ؟

ـ منذ شهر يونيه ..

وعجز عن الكلام ، وقد ارتسمت فى عينيه نظرة جوفاء ، بلهاء ! .. نظرة بغض عارم ، لا يمكن السيطرة عليه ، أو حتى وصفه .. شأن شخص لا يملك حتى أن يقبل مجرد « وجود » ميلورز فى محيط حياته !

ـ وهل تنوين الزواج منه .. وحمل اسمه القذر ؟

ـ نعم .. هذا ما أبغيه !

ـ ذلك يثبت صدق رأيى فيك الذى اعتنقته على الدوام : انك لست طبيعية .. انك فاقدة القوى العقلية ! .. من أولئك النساء المنحلات ، نصف المخبولات ، اللواتى يستمتعن بالتمرغ فى الوحل !

وبعد ان تركته ينفث غضبه حتى يهدأ ، سألته : « ألا ترى من الافضل أن تطلقنى وتنفض يدك من الأمر ؟ »

ـ كلا ! فى وسعك ان تذهبى الى حيث تشائين .. لكنى لن أطلقك !

ـ ولم ؟ .. أو تترك الطفل ينتسب اليك ، ويرث ممتلكاتك ؟

ـ لست أبالى بشىء يتصل بالطفل !

ـ لكنه اذا جاء ذكرا سوف يكون ابنك شرعا ، ويرث لقبك ، ثم تؤول اليه ضيعة (رجبى هول) !

ـ لا يهمنى ذلك !

ـ لكنه يجب أن يهمك ! .. سوف امنع الطفل من أن ينسب اليك ، ما استطعت .. بل انى أفضل ان يكون « غير شرعى » وينسب الى .. اذا لم يمكن ان ينسب الى ميلورز !

ـ افعلى مايروق لك !

ـ ان فى وسعك ان تطلقنى ، متخذا « دنكان » حجتك ، دون أى داع لاظهار الاسم الحقيقى . ان دنكان لايمانع فى ذلك .

ـ لن اطلقك ! .. مهما طال الأمد !

ــ ولكن لماذا ؟ .. ألأنى أريد الطلاق ؟

ــ لانى أتبع ميلى الشخصى . ولست أجد فى نفسى ميلا لذلك !

لم تكن ثمة جدوى ! .. فصعدت كونى الى حيث كانت « هيلدا » تنتظرها ، وأطلعتها على الموقف .. فقالت اختها : « يحسن بك ان ترحلى غدا ، وتتركيه حتى يعود الى صوابه . »

***

قضت كونى نصف ليلتها تجمع حاجياتها الخاصة وأمتعتها الشخصية .. وفى الصباح أرسلت حقائبها الى المحطة ، دون ان تخطر كليفورد . كانت تنوى ان تراه لتودعه فقط ، قبيل الغداء . ثم تحدثت الى مسز بولتن مودعة ، واطلعتها على شخصية عشيقها ، موصية اياها بأن تتكتم الأمر ، وان تخطرها اذا لمست من مستر كليفورد استعدادا لتطليقها .. « فاننى أحب ان يربطنى الزواج الشرعى بالرجل الذى أحبه . »

ــ انا موقنة من ذلك ياسيدتى الليدى . اواه ، فى وسعك أن تثقى بى . **لسوف أكون مخلصة لسير كليفورد ، ومخلصة لك فى الوقت نفسه ، فانى أدرك أن كليكما على حق !**

فشكرتها « كونى » ، وأهدتها تذكارا اختارته لها .. ثم غادرت مع شقيقتها (رجبى هول) ــ للمرة الاخيرة ــ الى اسكتلندا ..

***

وكان ميلورز قد استقر فى اقليم (اولدهينور) حيث وجد عملا فى مزرعة (جرانج) ، وفى عزمه أن يحصل على الطلاق من زوجته ، سواء حصلت كونى على طلاقها أم لا .. وكان قد أعد خطته على أساس ان يعمل بلا توان لمدة ستة أشهر ،

يبتاع بعدها بالاشتراك مع كونى مزرعة صغيرة خاصة بهما ، ويكرسان لها جهودهما ونشاطهما الكامل .. ومن ثم كان عليهما أن ينتظرا حلول الربيع ، ومولد الطفل ..

وفى آخر سبتمبر، تلقت كونى من ميلورز الرسالة التالية :

« لقد حصلت على عملى فى المزرعة بوساطة مهندس عرفته فى الجيش ، أيام الحرب .. وأنا اتقاضى عن هذا العمل ٣٠ شلنا فى الاسبوع ، لكنى استغل وقت فراغى فى اعطاء دروس خاصة لابنة الأسرة التى أقطن معها . وهم قوم محترمون ، يعطفون على . أما بشأن طلاقى فآمل أن أظفر به

اذا تذرعت بالصبر والمسالمة حتى شهر مارس .. أما أنت فأنصحك الا تبالى بموقف سير كليفورد ، فانه لن يلبث أن يسأم العناد ويسعى الى الخلاص منك . وحتى لو تركك وشأنك فى سلام ، فهذا وحده كسب كبير .

« ان المجتمع الكادح الذى أعيش فيه يئن من الأحوال الاقتصادية التى تزداد تعقيدا ، ولا هم للناس غير التفكير فى المال والسعى اليه .. ولو استمرت الحال على هذا المنوال فلن يحمل المستقبل لطبقاتنا غير الموت والدمار . وها أنت تحملين طفلا منى ، ولكن ، لا بأس ، دعك من التفكير فى هذه الاعباء ، **فان كل الظروف السيئة التى مرت بالبشر لم تستطع أن تطفىء جذوة الحب** .. ومن ثم فهى لن تملك أن تطفىء لهيب رغبتى فيك ، ولا هذا الوهج الصغير الذى يربط بيننا . لسوف يجتمع شملنا فى العام المقبل ، انى مؤمن بذلك ، **والانسان فى حاجة للايمان بما وراء متناوله .. بالقوة الخارجة عن ارادته .. هذا هو السبيل الوحيد لتأمين المستقبل .** لذلك أومن أنا بالشعلة التى تربط بيننا . انها كل ما أملك فى هذه الدنيا ، اذ ليس لى أصدقاء . ليس لى سواك .. لهذا

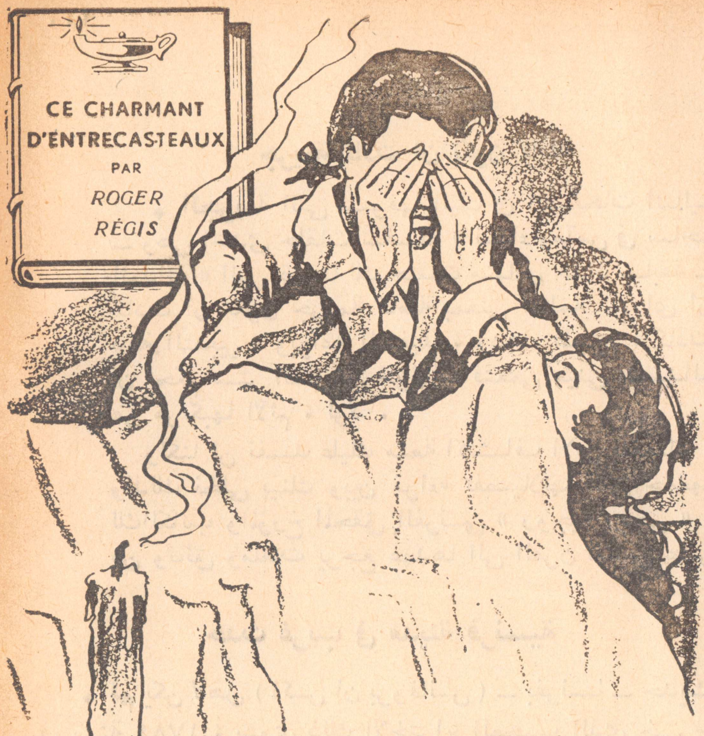
أريدك أن تكونى بجانبى ، لكننى لو بدأت أفكر على هذا النحو فسوف أفسد كل شىء . **واذن فليس لنا سوى أن نتذرع بالصبر .. الصبر بغير ملل** .. انى اجتاز عامى الاربعين ، وأنت فى اسكتلندا ، وأنا فى اقليم (ميدلاند) ، لكنى وان عجزت عن أن أطوقك بذراعى ، فانى أملك بعضا منك فى أعماق روحى . **لقد صرت أحب العفة الآن ، لأنها السكينة التى تتخلف عن الحب** . أحبها كما تحب قطرات البرد المتساقطة صفحة الجليد . انها أشبه بنهر من الماء البارد يخترق روحى . أحب العفة التى يجرى فيضانها بيننا . لكأنها المياه العذبة ، أو الامطار .. انى لأعجب الآن للرجال الذين لا يملون معابثة النساء ، وأرثى للذين يسلكون مسلك «دون جوان» ، ويعجزون عن الاستمتاع بسلام الروح وسكينتها !

« **يبدو اننى أفرط فى الثرثرة لأنتى لا أملك أن أمسك .. فلو استطعت أن أطوقك بذراعى لجف قلمى ، وبقى الحبر فى المحبرة !** .. ان الكثير منك يؤنسنى الآن فى وحدتى ، ولكم تتملكنى الحسرة على أنك لست بأكملك معى !

« ألا دعك من سير كليفورد ، حتى لو لم تصلك منه أنباء قط . انه لا يملك ايذاءك بشىء .. فانتظرى حتى يرغب فى الخلاص منك فى النهاية . وحتى لو لم يفعل، فسوف نتدبر الأمر. لكنه سيفعل، سيتوق الى أن يلفظك تماما من محيطه .

« انى لأعجز الآن عن أن أتوقف وأكف يدى عن الكتابة اليك .. **لكن قدرا كبيرا منا يتعانق الآن ، ولسنا نملك غير أن نحافظ عليه ، ونكمله .. نمضى فى طريقنا ، حتى نلتقى .. فى القريب ! »**

تمت



نساء ومآسي في ساحة العدالة

أضله الهوى!

للكاتب والمؤرخ الفرنسي : "روجيه ريجي"

جريمة كادت أن تكون كاملة

• **الجريمة** التى نسوقها اليك فى الصفحات التالية ـ وهى احدى حلقات سلسلة « نساء ومآس فى ساحة العدالة » التى قدمنا لك حلقات منها فى اعداد سابقة ـ كادت أن تكون جريمة كاملة بمعنى الكلمة .. أى أن دقة التدبير ، وبراعة التنفيذ ، ودهاء المجرم ، كادت أن تحكم ستر الغموض حولها ، فتعمى عينى العدالة عن مرتكبها الآثم ، لولا ..

ولكنا لن نفسد عليك متعة اكتشاف الامر بنفسك ، ولذلك نخلى بينك وبين قراءة تفصيلاتها التى جمعها لك الكاتب والمؤرخ المحقق الفرنسى « روجيه ريجى » ، من وثائق وملفات يرجع عهدها الى القرن الثامن عشر

حدث غريب فى مدينة فرنسية

• **لم** يكن لأهل (اكس ان بروفانس) ـ بفرنسا ـ حديث فى سنة ١٧٨٤ ، سوى ذلك الاختراع العجيب الذى خرج به على الناس رجل يدعى « مونجولفييه » .. فقد زعم هذا الرجل أن باستطاعته أن يصعد الى طبقات الفضاء، مستعينا بكرة من الورق مليئة بالهواء . وكان من الطبيعى أن يجد مثل هذا الزعم لدى الناس انكارا يصل الى درجة التكذيب .. وأفضى التكذيب ـ من ناحيته ـ الى التحدى العلنى ، والى مطالبة « مونجولفييه » بتجربة اختراعه عمليا ..

وانبرى أحد ربابنة السفن التجارية لتأييد «منجولفييه»، وأعلن عن استعداده لأن يقوم بالتجربة بنفسه ، فى (اكس ان بروفانس) ، وحدد لذلك اليوم الاول من شهر يونيو من ذلك العام .. وقد أثار هذا النبأ ضجة مدوية ، فان التحليق فى الجو ، على كرة من ورق ، حدث خارق . لذلك تقاطر الناس على (اكس ان بروفانس) من كل حدب وصوب ، حتى ضاقت المدينة على سعتها ، وشاع فى جوها الصخب !

مركيزة مذبوحة فى فراشها !

• **وفجأة** ، سرى فى المدينة نبأ صرف الناس عن الحدث النادر الذى شغل تفكيرهم أياما طويلة، والذى كانوا يرتقبونه فى شغف وفضول مشبوب . فقد شاع أن جريمة ارتكبت فى قصر (دى كور) ، مقر المركيز « دانتر كاستو » وزوجته .

ففى صباح ذلك اليوم بالذات ، ولجت وصيفة المركيزة مخدع مولاتها ، فاذا بها تجدها مسجاة فى فراشها ، ذبيحة !

.. ولما كان زوجها ـ « جان باتبيست دى برونى » ، مركيز دانتر كاستو ـ من أعرق سادة الاقليم ، ومن أرفعهم مقاما ، سيما وانه كان رئيسا للبرلمان الاقليمى ، فان السيد « لوبلان » ـ النائب العام ـ خف الى القصر ، بمجرد أن نمى النبأ الى علمه ..

وكانت المركيزة الشابة فى فراشها ، وقد قطع حلقها ، وأغرقت الدماء أغطية الفراش. وقرر الطبيب ـ الذى استدعى فى الحال ـ انها لفظت آخر أنفاسها قبل أن يكتشف مصرعها بأربع ساعات أو خمس .. وبدا زوجها مرتاعا ، شاحب

الوجه ، محزونا .. وراح يردد فى حيرة بالغة : « كيف تسنى أن يحدث هذا ؟ » . ثم لم يقو على رؤية المنظر المروع ، فتهالك وأوشك أن يغمى عليه لولا ان نقل الى مخدعه ..

كل شيء هادىء فى القصر ..

• **وألفى** النائب العام نفسه أمام جريمة غامضة ، لم يكد يلوح له خلال غموضها قبس من ضوء يرشد الى الجانى .. وأقبل يسأل الخدم واحدا واحدا : فسأل « مارى بال » وصيفة المركيزة ، و « أوجيست رينو » وصيف المركيز ، و « كلود بارنوان » الخادم الخاص للمركيزة ، و « فيجييه » الطاهى ، و « بوكيون » حارس الباب .. ولكن أحدا لم يستطع أن يدلى بشيء ذى قيمة .. **لقد أجمعت أقوالهم على ان أحدا لم يفطن الى حدوث شيء غير عادى ، فى الليلة السابقة ..** فان كلا من المركيزة والمركيز قد تناول عشاءه خارج القصر فى تلك الليلة ــ كل لدى اصدقاء غير الذين كان زوجه فى ضيافتهم ! ــ وقد كانت المركيزة هى الاولى فى العودة ، ثم لحق بها المركيز ــ فى الحال تقريبا ــ فقضيا بضع دقائق فى الحديث عما شاهداه وسمعاه فى ليلتهما ، ثم انصرف كل منهما الى مخدعه .. فقد كانا ينامان فى مخدعين مستقلين ، تفصل بينهما قاعة الجلوس . **ولم يسمع أحد ــ خلال الليل ــ أى صوت فى داخل القصر أو فى الحديقة.**

وعنى النائب بتبين ما اذا كانت ثمة سرقة قد حدثت ، فوجد ان مخدع المركيزة وحده هو الذى كان فى حال غير عادية .. كانت قطع الاثاث فى غير أماكنها ، وكانت الادراج

مفتوحة عنوة ، وقد تناثرت محتوياتها فى كل مكان .. وبينها نقود ذهبية ، وحلى ومجوهرات ثمينة !

المرء لايقتل نفسه ثلاث مرات !

• **وادلهمت** دياجير الحيرة التى اكتنفت النائب العام .. وازاء انعدام حافز السرقة ، وتأكيد الجميع ان احدا لم يسمع صوتا أو جلبة ، خطر له ان المركيزة ولا بد قد انتحرت ، وأن الفوضى التى سادت الحجرة كانت من صنعها ؛ فى غمرة حيرتها ، أو فى حرصها على اعدام بعض اشياء خاصة بها ، قبل أن تفارق العالم . ولكن أهل القصر استهجنوا هذا الخاطر ، **فقد عهدوا فى مولاتهم رزانة وتقوى تصدانها عن مثل هذا التصرف .. وان فكرة الخلاص من الحياة — على هذه الصورة — لم تساورها فى أشد الملمات الحزنة .**

ورؤى استشارة الطبيب مرة أخرى ، فذكر ان الوفاة حدثت نتيجة ثلاث ضربات بسلاح حاد ، وان كل ضربة من الثلاث كانت قاضية .. ولا يعقل أن يقتل المرء نفسه ثلاث مرات بيده .. واذا كانت الضربة الاولى كافية للقضاء عليه، فكيف تجرى يده بالسلاح مرتين أخريين ؟

وازاء هذا عدل النائب العام عن الافتراض القائل ان المركيزة قد انتحرت .. ورجح انها ماتت قتيلة .. ولكن ، **منذا الذى قتلها ؟**

هذا هو السؤال الذى لم يكن ثمة بد من البحث عن جواب له ، مهما يكبد ذلك من جهد !

القاتل .. من أهل القصر !

• **وعاد** النائب العام الى سؤال الخدم ، وقد استعان بالضابط الجنائى لمدينة (اكس) : السيد لانج دى سوفران .

وكان الزوج – فى تلك الاثناء – قد تمالك نفسه شيئا فشيئا ، فلما سئل أكد انه لم يسمع أية حركة تريبه فى تلك الليلة ، وأعلن انه لن يهدأ ولن يستكين ، حتى يعثر على الجانى الأثيم .. **وقد ذهب فى ذلك الى حد أنه راح يقول :**

« اننى أنزل عن نصف ثروتى فى سبيل الكشف عن القاتل ! »

وما لبث حزنه أن طغى عليه حتى أنه لم يعد يقوى على البقاء تحت سقف القصر الذى شهد الجريمة الشنيعة ، فآثر أن يهجره ، وأن يقيم لدى عمة له تدعى « مدام دى بلونديل » ، كان قصرها المحوط بحديقة شاسعة ، يقع فى ضاحية فى أقصى أطراف المدينة ..

وكان النائب العام والضابط الجنائى قد أعادا سؤال الخدم ، فلم يدل هؤلاء بشىء جديد . ولقد فحصا كل شبر فى الدار ، فلم يصلا الى أثر واحد يشى بالجانى . ومن ثم فانهما ناقشا الامر مع المركيز ، قبل مبارحة القصر ، عسى أن يتذكر أى عدو يحتمل أن يكون المجرم المنشود ، ولكنه قال انه ازاء الظروف والملابسات المحيطة بالجريمة يرى أن القاتل ولا بد من المقيمين فى القصر ، ولعله أحد الخدم !

« الموسى » الغائبة من خزانة المركيز !

• **وصادف** هذا الرأى هوى من نفس الضابط الجنائى السيد « لانج » ، فقرر أن يعمل على هداه . وكان خدم

القصر قد احتجزوا فى داخله ـ منذ البداية ـ تحت رقابة لم تمكن أحدا منهم من أن يغادر القصر أو يتصل بأحد خارجه . فاستدعاهم السيد « لانج » واحدا بعد واحد ، وأخذ يلاحق كلا منهم بأسئلة دقيقة ، ويضيق عليه الخناق، مستخدما أبرع أساليبه وحيله .. ولكن كلا منهم كان يكرر عين ما قاله فى التحقيقين السابقين .

على أن خادما منهم أبدى اضطرابا وهو يعتصر ذاكرته ، عندما سئل للمرة الثالثة. .ذلك كان « اوجيست » وصيف المركيز . واستغل المحقق هذا الاضطراب ، فأخذ ينهال عليه بالاسئلة ، حتى قال أخيرا : « الواقع أننى فطنت الى غياب موسى من خزانة أدوات الزينة الخاصة بمولاى » .

وسأله المحقق وقد أرهف النبأ حواسه : « وبماذا تعلل ذلك ؟ » .. فأجاب الوصيف حائرا : « لست أدرى ، ولكنى متأكد من غياب الموسى ، فقد أزلت بنفسى شعر لحية سيدى المركيز بالأمس ، ثم نظفت الموسى ورددتها الى مكانها .. وفى هذا الصباح ، فتحت الخزانة لأعد العدة لمباشرة زينة مولاى ـ ولم يكن الحادث المشئوم قد عرف بعد ـ فلاحظت اختفاء تلك الموسى بالذات ! »

.. وقميص غائب ، كذلك !

• **وتفقد** السيد « لانج » بنفسه خزانة أدوات الزينة ـ فى جناح المركيز ـ والمكان الذى كانت تشغله الموسى منها ، ثم راح يلح بالاسئلة على الوصيف ، وقد داخله الشك فى انه هو الذى أخذ الموسى ، ولكن « أوجيست » أقسم بأغلظ

الاقسام ، مبرئا نفسه .. وما كانت الايمان يوما بالوسيلة الى اقناع المحققين . لذلك فتش الضابط حجرة الوصيف ، فلم يهتد الى أثر للموسى. وعاد يفتش جميع غرف القصر..

وفى خزانة ثياب المركيز ، كانت ثمة مفاجأة أخرى للمحقق .. فقد تبين « أوجيست » ان واحدا من أقمصة المركيز - التى كان يعرفها بحكم عمله - قد اختفى من الخزانة .. ولم يسفر البحث عن العثور عليه ، أو على أثر باق منه !

وأدى غياب الموسى والقميص الى اشتداد الغموض ، والى تحير السيد « لانج » ، حتى أنه اضطر الى تأجيل التحقيق الى اليوم التالى ، اذ أن التفكير فى ذلك شتت عقله ، فلم يستطع المضى فى سؤال بقية الخدم !

على ان السيد «لانج» لم يكد يبرح القصر ، حتى انتحت « مارى بال » - وصيفة المركيزة - بأوجيست جانبا ، وسألته عن سر ماكان عليه من اضطراب ، فعاد يقسم بأقدس الايمان على براءته . ثم أردف قائلا ان ماأثار ارتباكه هو شعور راوده - حين كشف أمر اختفاء الموسى - بأنه انما كان يتهم بذلك مولاه الذى لم يعهد فيه سوى كل طيبة ، وتقوى ، ونبل أخلاق .. ومن ثم فقد كان يخشى أن يسىء بذلك الى المركيز .

ولم تناقشه « مارى بال » فى ذلك ، ولكنها راحت تقول ان من واجب المرء أن يدلى للعدالة بكل ما يكون لديه ، مهما يكن تافها أو غير ذى بال فى نظره ، مادام مطمئنا الى براءته ، والى صدق مقصده . **وأردفت انها لن تكتم عن المحقق -**

اذا ماسألها فى اليوم التالى ـ شيئا مما لاحظته أو لمحتـه ، عسى أن تستطيع بذلك أن تساعد العدالة على الوصول الى المجرم الذى قضى على مولاتها بتلك الوحشية الضارية !

وهج فى نافذة المركيز ..

• **واستأنف** السيد « لانج » التحقيق فى الصباح التالى، فبدأ أول مابدأ بالتحرى عن المسالك التى كان من المحتمل أن يتسرب خلالها أى أجنبى الى مخدع المركيزة . **ولكنه لم يعثر على أى أثر لمتسلل ، ولم يكتشف ما ينم عن أن احدا ولج القصر من غير أبوابه العامة !**

وتقدمت اليه ـ فى تلك الاثناء ـ احدى المقيمات على مقربة من القصر ، وتطوعت بالشـهادة بأنهـا استيقظت فى الفجر الذى أعقب ليلة الاغتيـال ، لتتـأهب للذهاب مبـكرة الى الساحة التى كان مقررا اجراء تجربة الطيران فيها . **وفيما كانت تستعد ، لمحت وهجا شديدا فى نافذة حجرة ظهر أنها كانت مخدع المركيز ..** ولو ان الوقت كان شـتاء ، لما بدا ثمة داع للعجب أو الدهشة . ولكن اشعال النار بين جدران مخدع ، فى شهر يونيو ، كان خليقا بأن يثير الشبهات .. وبالفحص ، تبين « لانج » أن ثمة آثار أوراق وأقمشـة قد أحرقت فى مدفأة مخدع المركيز !

واشـتدت حيرة الضابط الجنائى .. ترى ما الذى دعا المركيز الى احراق تلك الاوراق والاقمشة ؟.. وما كنهها ؟ .. وهل كان من قبيل المصادفة أن تحرق فى عين الليلة التي شهد فيها المخدع المجاور جريمة الاغتيال ؟

همسات .. وظواهر مريبة !

• **وقبل** أن يمضى السيد « لانج » قدما فى تجرباته ، طلبت الوصيفة « مارى بال » أن يسمح لها بالافضاء ببعض أقوال لديها . فلما أجاب رجاءها ، انطلقت تتكلم دون توقف .. فذكرت انها فاجأت مولاتها - فى عدة ليال - وهى تبكى لتكرر تغيب المركيز عن القصر .. **وكانت تبادره - عند عودته - باللوم ، فيرد لومها فى غضب ، مما كان يثير بينهما الشقاق والمشاحنات .**

.. وخفت صوتها وهى تردد الأقاويل التى شاعت بين خدم القصر ، عن حادث وقع للمركيزة .. فقد قدر لها أن تحمل - بعد طول ارتقاب - ولكن الحمل لم يكتمل ، اذ حدث أن زلت قدمها يوما ، فوقعت على سلم القصر .. **وكان الخدم يتهامسون - فيما بينهم - بأن هذا الحادث لم يأت عفوا ، وانما كان مدبرا !**

كذلك ذكرت « مارى » ان المركيز قدم - ذات مساء - الى زوجته كوبا من شراب الليمون ، أعده بنفسه ، ولكن المركيزة لم تكد تتذوقه حتى ارتجفت شفتاها ، وتقلصت عضلات وجهها ، وأبت أن تتناوله !

واختتمت « مارى » أقوالها بما يسرى من همسات عن علاقة بين المركيز وحسناء تدعى « مدام دى سان سيمون » ..

ولم يضيع المحقق وقتا ، بل انصرف لتوه الى النائب العام ، وقد تجلى له ان الأمر أخطر من أن يستهان به .

وكان المركيز دانتر كاستو يقيم - فى تلك الاثناء - فى

قصر « مدام دى بلونديل » ، وهو نهب لمشاعر وانفعالات عنيفة ، لم تكن تدع له سبيلا للراحة . فكان يروح ويغدو فى أرجاء القصر مضطربا، ويكثر من الاختلاء بنفسه، ويرفض أن يلتقى بالناس .. حتى لقد أبى أن يستقبل من أقبل لتعزيته من اعضاء البرلمان الاقليمى .

وفى صباح اليوم الثالث ، كان يجلس الى المائدة مع عمته وصديق حميم لهما يدعى « المركيز دى شاتونيف » ، واذا وصيفه « أوجيست » يلتمس مقابلته .. وبادر المركيز باستدعائه ، ثم سمح له بالكلام أمام عمته وصديقه ، فروى له الوصيف ما أفضى به للمحقق عن اختفاء الموسى ، وما تكشف من اختفاء أحد أقمصته .. **وراح المركيز يصغى فى صمت ، وهو مقطب الجبين ، حتى اذا انتهى الوصيف ، غمغم فى غيظ وسخط : « يالك من أحمق ! »**

وذكر له الوصيف ما أفضت به « مارى بال » للمحقق ، فشحب وجه المركيز ، وهتف مرة أخرى : « يا للفتاة الغبية الثرثارة ! » . ثم لاذ بالصمت .

الدائرة تزداد ضيقا !

• **وما ان** انصرف الوصيف، حتى ساد قاعة المائدة صمت واجم ممض . ثم قال المركيز دى شاتونيف : « لا مراء فى أن السيد لانج دى سوفران من أذكى المحققين .. وهو لا يألو جهدا فى السعى وراء أى مجرم يتولى قضيته .. **وأرى انه لم يلجأ الى النائب العام ، الا لأن شكوكه تتجه الى شخصية عظيمة المقام ، فرأى أن يستمد التأييد من رؤسائه فيما هو مقدم عليه ! »** .. ولم ينبس « دانتركاستو » ببنت شفة ، فقالت

عمته : « أحسبك قد أدركت أن الشكوك تتجه اليك ، وانى لآمل أن تكون شكوكا غير صحيحة . ولكنك أجدر بأن لاتضيع وقتا ، وعليك أن تعمل على هدى ما يوحى به ضميرك . فاذا كنت موقنا من براءتك ، فعليك أن تسلم نفسك للنائب العام ، الى أن تنجلى الحقيقة . أما اذا .. »

وترددت لحظة ، ثم استجمعت جرأتها وقالت : **« اما اذا كنت ـ لسوء الحظ ـ مدانا ، فمن واجبك أن تبادر بمبارحة فرنسا بأسرها ، حرصا على شرف الأسرة وكرامتها ! »**

واشتد شحوب وجه « دانتركاستو » ، ولكنه ظل صامتا . فعادت عمته تسأله : « علام استقر رأيك ! » ، وكان جوابه : « دعينى أفكر ! »

المركيز يؤثر مغادرة فرنسا !

• **وفكر** طويلا ، ولكنه لم يلبث أن قال لعمته فى النهاية : « اذا أمكنك أن تزودينى ببعض المال ، فانى أوثر أن أرحل ! »

.. وكان هذا الجواب اعترافا واضحا منه بالجريمة !

وسرعان ما أعدت « مدام دى بلونديل » لابن أخيها عربة خفيفة ، استقرت أمام الباب الخلفى لقصرها . ثم زودته بقدر من العملة الذهبية .. وبعد نصف ساعة ، صعد المركيز الى العربة ، بغير متاع ، فتهالك على مقعدها مهموما !

وانطلقت العربة بأقصى ما كان لدى جواديها من سرعة ، ميممة شطر (مارسيليا) .

وفى تلك الاثناء ، كان السيد « لانج » قد حصل على سلطة واسعة ، فراح يتجه فى التحقيق اتجاهات جديدة .. وسرعان ما تجلت له الحقيقة واضحة ..

سعادة و ثقة .. بين الزوجين

• **كانت** « مدام دنتر كاستو » قد تزوجت من المركيز وهى فى التاسعة عشرة من عمرها ، بينما كان هو يصغرها بعام واحد . وكان من الواضح انها زيجة دبرت كما لو كانت صفقة تجارية ، على غرار ما كان متبعا فى تلك الايام ، فى أسرات الطبقة العليا . **بيد أن هذا لم يحل دون أن ترفرف السعادة على الزوجين ، وأن تطمئن المركيزة الى زوجها فتعهد بثروتها اليه** ، فضمها الى ثروته ، وتولى رعايتهما معا وهو مطلق اليد فيهما .

ومع أن المركيزة ـ وكان اسمها الأصلى « أنجيليك » ـ لم تكن جميلة الوجه ، الا انها كانت بديعة القوام ، ذات أخلاق دمثة ، وطباع رقيقة ، وعينين جذابتين تفيضان رقة وطيبة واخلاصا .. كما كانت ذات ذكاء لماح ، وشخصية قوية . فسرعان ما أمسكت بمقاليد القصر بيد حكيمة ، فأعجب زوجها بتدبيرها ، ولم يتردد ـ ازاء كثرة أعبائه ، كرئيس لبرلمان الاقليم ـ فى أن يكل اليها شئون ثروتهما وممتلكاتهما المشتركة ، فأدارتها ببراعة اغتبط لها المركيز ..

صائدة بارعة تلقى شباكها !

• **وعاش** الزوجان محلقين فى أجواء السعادة زهاء ست سنوات ، الى أن قدر لامرأة غريبة أن تتسلل الى حياتهما .. أو الى حياة المركيز على الاصح .

وكانت تلك المرأة تدعى « سيلفى دى سان سيمون » .. كانت ابنة أحد أعضاء البرلمان ، وقد ترملت قبل سنوات ،

وانصرفت الى الحياة الاجتماعية ، فلمع نجمها فى الاوساط الراقية ، سيما وانها كانت ذات جمال باهر ، وجراءة عجيبة تسول لها أن تسعى الى أغراضها دون أن تعبأ بالناس !

وعجبت « سيلفى » بالمركيز الشاب ، فلم تتورع عن طرح شباكها عليه ، واستخدمت كل ما أوتيت من فتنة واغراء فى سبيل اجتذابه .. ولقد حاول المركيز أن يقاوم محاولاتها ، واستطاع أن يصمد زمنا ، ولكنه لم يلبث أن وقع صريع الفتنة، فلم يعد يرى سوى « سيلفى » الحسناء ، ولم يعد يعيش الا على حبها !

.. وحل الشقاق محل الوئام

• وحاول العاشقان أن يتكتما هواهما ما استطاعا . ولكن محاولاتهما لم تدم طويلا ، اذ لم يلبث الامر أن شاع فى المجتمع الراقى فى (اكس) . ولم يكن غريبا — بعد ذلك — أن تتناهى الشائعات الى أذنى المركيزة دانتركاستو ، فتلقى أضواء على بعض تصرفات كانت قد لاحظتها على زوجها فى الفترة الاخيرة .. اذ كان المركيز قد بدأ ينصرف عنها ، ويهمل بعض واجباته كزوج ورب أسرة . فضلا عن انه كان يكثر من طلب المال وانفاقه فى اسراف .. ثم لم يلبث أن بدأ يرى فى ادارة زوجته لثروة الاسرة ذلة ومهانة له ، وهو الرجل ، رب الاسرة ، فأخذ يسعى لاسترداد سلطانه .

ودب الشقاق بين الزوجين اللذين كانا مثالا للسعادة الزوجية .. وشعرت « انجيليك » بأن تردى زوجها فى هوى تلك الارملة الحسناء ، طعنة قاسية أصابت قلبها وثقتها

وكرامتها . **لذلك شعرت بازدراء شديد له ، فلم تحاول أن تناضل من أجل استرداده** ، ولم تشأ أن تطالبه بأكثر من أن يتحفظ فى علاقاته بعشيقته ، وبأن يصون المظاهر التى كانت تتطلبها مكانتهما الاجتماعية كزوجين ، حفظا لكرامة الاسرة !

أضواء تكشف الجريمة

• **وكان** خليقا بالزوج أن يحمد لها هذا المسلك ، وأن يقنع بما أبدته ازاء هواه . ولكن المفتون لم ينفك يسعى لاسترداد سيطرته على ثروة الاسرة ، فرأت زوجته فى هذا التكالب منه سبيلا الى الانتقام لكرامتها ، وتشبثت بما كان قد وكله اليها طواعية من حق الاشراف على تلك الثروة ..

وأثار هذا الامر بينهما مشاجرات عديدة ، ولكن شيئا لم يقو على أن يزحزح المركيزة عن رأيها العنيد . ومن ثم بدأ المركيز يدبر الخطط للتخلص منها .. وكان هو الذى تسبب فى انزلاقها ووقوعها ــ وهى حامل ــ أملا منه فى أن تموت أثناء الاجهاض ! .. كما كان هو الذى عمد ــ فى مرة أخرى ــ الى دس السم فى كوب الليمون الذى أبت المركيزة أن تشربه !

ثم كانت تلك الجريمة التى أقامت (اكس) وأقعدتها .. فقد كان هو الذى ذبح زوجته بالموسى ، اذ تسلل الى مخدعها ــ أثناء نومها ــ فى تلك الليلة المشئومة . ثم اغتصب أدراجها ، وأخذ منها كل الوثائق التى كانت كفيلة بأن توجه الشبهات اليه ، فأحرقها مع القميص الذى كان يرتديه وقت الجريمة ، والذى لطخته الدماء .. وظن انه بذلك قد نجا من سطوة العدالة . **ولكن الاحداث خيبت ظنه !**

قبر .. فى دير اسبانى

• **كل** هذه الحقائق اكتشفها السيد « لانج » ، وجمع الأدلة والقرائن التى كانت تدعمها . وجريا على التقاليد التى كانت متبعة اذ ذاك ـ نظرا لامتيازات النبلاء وأمراء الاقطاع ـ عرضت القضية على لجنة برلمانية خاصة ، **لم تلبث أن أصدرت حكمها باعدام المركيز ـ بقطع رأسه ـ ولكن .. فى تستر بعيد عن العلانية ، نظرا لمكانته ! ..** أما « مدام دى سان سيمون » ، فلم يثبت ان لها أى دور فى الجريمة ، فبرئت ساحتها ..

على أن يد الجلاد لم تستطع أن تمتد الى المركيز ، اذ أنه هرب الى ايطاليا ، عن طريق جبال الالب ، ووصل الى (نابولى) تحت اسم مستعار . وهناك نمى اليه أن الحكومة الفرنسية قد أهتدت الى مكانه ، وطلبت الى السلطات الايطالية أن تسلمه اليها ، **فلم يتوان عن الفرار الى اسبانيا ، حيث لجأ الى أحد الاديرة ـ تحت اسم مستعار ـ وانخرط فى سلك رهبانه !**

والى هنا ، تعتبر حياته قد انتهت .. فقد فقد اسمه ، وفقد صلته بوطنه ، وفقد صلته بالحياة الاجتماعية .. على أن النهاية الحقيقية لحياته لم تحن الا بعد عام كامل من وفاة ضحيته ـ أو بالاحرى ، فى ١٦ يونيو سنة ١٧٨٥ ـ اذ مات بداء الصدر ، فى صومعة فى الدير .. ودفن فى قبر منزو ، تحت اسمه المستعار !



وراء كل عظيم .. امرأة !

الحبّ .. أبدى !

قصّة المرأة التى دفعت " ابراهام لنكولن " إلى كرسى الرئاسة !

بقلم الكاتب المؤرخ : ارفنج ستون

عزيزى القارىء ..

ما من كاتب مسرحى استطاع أن يخلق قصة ، اجتمع فيها من عناصر المأساة مااجتمع فى حياة « ابراهام لنكولن » !

فكما كان يحدث للأبطال فى تراجيديات الاغريق القديمة ، كان الفشل حليفا للنكولن فى كل عمل تولاه ، أو خطة سار فيها .. **فلما عرف النجاح فى النهاية ، وجد مذاقه أشد مرارة من الفشل !**

وفى زهرة شبابه، فجع بفقد المرأة الوحيدة التى أحبها .. فلما تزوج من أخرى ـ بعد أعوام ـ **كانت زوجته أشد حرصا على أن تراه مشهورا ، منها على ان تراه سعيدا !..** وشتان بين الهدفين !

واستمر الفشل يلاحقه ..

.. فلقد دخل ميدان الاعمال الحرة ، ففشل !

.. ومارس المحاماة زمنا ، فكان مهضوم الحقوق دائما !

.. ورشح نفسه لعضوية مجلس الشيوخ الامريكى ، فهزم !

.. وسعى الى ان يعين فى أحد مناصب الادارة المحلية ، فرفض طلبه !

.. ورشح نفسه لمنصب نائب الرئيس ، فخسر المعركة !

.. وحين فاز أخيرا برئاسة الجمهورية ، **دخل (البيت الابيض) فى ظروف يظللها الأسى أكثر مما يكللها النصر !**

.. فرغم تكريسه نفسه للسلام ، فانه وجد نفسه « مرغما » علي الاشتباك في حرب !

.. وفى الوقت الذى كان هو ـ بطبعه ، وقلبه ـ « أرق » الآباء ، وأكثرهم حنانا ، نكبته الاقدار فى بنيه ، **فأحنى رأسه فى حداد على قبرى اثنين من أطفاله ، ماتا فى زهرة الصبا !**

.. وبقدر لطفه ودماثته نحو كل كائن حى ، كتب عليه أن يضطر ـ المرة تلو المرة ـ الى ان يوقع أحكام الموت على الجنود الذين فروا من الميدان خوفا من الموت !

.. ورغم ما طبعت عليه روحه من استقامة وحب للخدمة العامة فى وضح النهار ، فقد أجبر على أن يعيش سنوات رئاسته للجمورية فى الظلام .. ظلام الحرب والقتال والدمار !

.. وأخيرا ، حين لاح فجر الانتصار ، بعد ليل اليأس الطويل ، لم يعش لنكولن ليشهد انبلاج الصبح .. اغتاله متهوس مخبول بعد انتهاء الحرب الاهلية بأقل من اسبوع !

.. وكأن المؤلف المسرحى الأعظم فى السماء ، أراد ان يجعل من حياة لنكولن درسا يتعلم منه كتاب المسرح الصغار على الارض ، كيف يكتبون ((تراجيديا)) مثالية !

حياة لنكولن .. فى سطور

١٨٠٩ : ولد فى ولاية (كنتوكى) الامريكية

١٨٣١ : اشتغل فى وظيفة كتابية بسيطة بأحد متاجر مدينة (نيوسالم) بولاية (الينوى) .

١٨٣٤ : انتخب عضواً بالمجلس التشريعى لولاية (الينوى)

١٨٣٥ : ماتت خطيبته « آن روتلدج »

١٨٣٧ : بدأ يمارس المحاماة، بعد حصوله على الليسانس .

١٨٤٢ : تزوج من « مارى تود »

١٨٤٧ ـ ١٨٤٩ : خدم مواطنيه فى المجلس النيابى .

١٨٥٤ : ألقي فى (بيوريا) خطابه المشهور ضد انتشار الرق .

١٨٥٦ : انضم الى الحزب الجمهورى الذى تأسس حديثا.
١٨٥٨ : اشتبك فى مناظرة حامية حول موضوع الرق، مع خصمه السياسى « ستيفن دوجلاس » .
١٨٦٠ : ألقى خطابا هاما فى « اتحاد كوبر » ، حول الموضوع ذاته .
١٨٦٠ : انتخب رئيسا لجمهورية الولايات المتحدة الامريكية .. (الرئيس السادس عشر)
١٨٦١ : أخذ على كاهله مسئولية اشعال الحرب الاهلية بين ولايات الشمال والجنوب ، من أجل تحرير العبيد
١٨٦٣ : أصدر اعلان الغاء الرق .
١٨٦٣ : ألقى خطاب (جتيسبرج) التاريخى المشهور .
١٨٦٤ : اعيد انتخابه رئيسا للجمهورية .
١٨٦٥ : اغتاله متهوس فى مقصورة بمسرح « فورد » .

الحب .. ابدى !

تلخيص : الآنسة كليمانس م. عبد الملك

وقفت أمام المرآة لتكمل زينتها ، استعدادا لاستقبال المدعوين الى الوليمة التى دعا اليها والدها فى ذلك المساء .

وأخذت تدور أمام المرآة ، متلفتة ذات اليمين وذات اليسار ، لكى تطمئن على أناقتها ، بينما ثوبها الحريرى ينسدل على جسمها ، كاشفا عن صدرها المرمرى .

ولم يمض على انشغالها بنفسها وقت طويل ، اذ لحقت بها شقيقتها « آن » ــ وكانت فى الخامسة عشرة من عمرها ــ فوقفت تنظر اليها وتطرى أناقتها .. ومضت فترة صمت

قصيرة ، تبادلت الشقيقتان خلالها الابتسامات ، الى أن قطعت « آن » الصمت بقولها :

ـ اياك ان تضيعى على نفسك فرصة هذه الليلة ياماري .. ان والدتى تعتقد انها آخر ..

ثم أمسكت عن الكلام مشفقة ، لكنها مالبثت ان استطردت قائلة : **« مالم تفكرى فى « ساندى » .. وتجعليه يتقدم لطلب يدك ! »**

ويبدو أن كلمات شقيقتها قد مست وترا حساسا فى قلب مارى ، اذ أنها صمتت ، وسارت بخطوات متثاقلة ناحية النافذة المطلة على مروج (بلوجراس) الشاسعة ، حيث وقفت تتأمل قرص الشمس وهو ينسحب رويدا رويدا الى أقصى الغرب .

.. وانسحبت ذاكرتها بدورها الى الوراء ثمانى سنوات .. أيام أن كانت فى ربيعها الثانى عشر .. وكانت لها أحلام وردية تراودها ، وتنقلها ، وهى فى اليقظة ، من مكان الى مكان ، تاركة لها فرصة الاختيار .. لكنها كانت تتشبث بمكان واحد دون سواه .. ألم تقل لأحد أصدقاء والدها من السياسيين : **« الكم تروق لى السكنى فى واشنطن .. فى البيت الأبيض بالذات ! ؟ »** .. نعم كان الطموح يوجه أحلامها .

على أنها سرعان ما ارتدت الى الواقع ، تاركة الماضى فى مستودع الذكريات .. وهبطت الى الحديقة ، حيث جلس أبوها « روبرت تود » ، الذى ضحى بنبوغه فى العلم وتبحره فى التاريخ والمنطق واللغة اللاتينية ، وآثر أن يكون صاحب

شركة للبقالة ، الى جانب منصبه كرئيس لمجلس ادارة بنك (لكسنجتون) ، مما كان يحز فى نفسها كثيرا ، اد تراه على هذه الحال ، بينما مكانه الحقيقى هو السياسة وشئون الدولة ! .. لكنها كنت تعزى نفسها بما عقدته من آمال على الرجل الجالس بجوار أبيها الآن .. أو ليس « هنرى كلاى » عازما على ترشيح نفسه للرئاسة ؟ أو ليس صديقا حميما لأبيها ؟ اذن لابد انه سيسند الى ابيها منصبا حكوميا رفيعا ، اذا ما صعد الى كرسى الرئاسة ذات يوم ..

كان الاشتغال بالسياسة وشئون الدولة ركيزة هامة فى منطقة طموح « مارى » .. وكانت أضواء المناصب الرسمية تسحرها ، وتوجه اهتماماتها الاخرى .. أما « البيت الابيض » فقد كان بمثابة الكعبة التى تحج اليها أحلامها بين حين وآخر !

المال والشباب ليسا كل شىء فى الرجل !

بدا البيت ، فى تلك الليلة ، كشعلة من الأنوار .. كل شىء فيه كان متلألأ براقا .. بينما مارى تتنقل بين المدعوين والفرحة تكسو وجهها ، وهم يبادلونها التهنئة والتمنيات . فقد كان الحفل من أجلها .. بمناسبة عيد ميلادها ..

وما أن اكتمل عقد المدعوين ، حتى نهضت « مارى » فافتتحت الحفل بمراقصة « ساندى مكدونالد » . ثم التف القوم حول الموائد ، وراحوا يتحدثون ويثرثرون .. وتذكرت « مارى » ساعتئذ أن زوجة أبيها « بيتى همفرى تود » لم تحضر الحفل ، فشعرت بالاكتئاب لحظات ، ثم عادت الى سرورها بعد أن تذكرت أن زوجة أبيها لم يمض على ولودها

السادس وقت طويل ، وربما أعجزها الضعف عن الحضور..
وقد تكون فكرت أيضا فى أن تتيح للفتاة فرصة القيام بدور المضيفة وربة البيت معا فى هذه الحفلة بالذات .

على ان مارى لم تلبث أن ضاقت بجو المائدة ، فتسللت مع ساندى الى الحديقة .. وهناك جلسا .. وشرع الشاب يذكرها بالزواج وضرورة اعلان الخطبة فى اليوم التالى ، أثناء حفل التخرج الذى ستقيمه جامعة ترنسلفانيا ، حتى تزدان (لكسنجتون) بأنوار حفلتين فى وقت واحد !

لكنها لا تدرى كيف واجهت طلبه بدموع طفرت الى عينيها وتسللت الى خديها فبللتهما ، بينما الشاب واجم لا يدرى ماذا يقول .. وأحست مارى بذلك فقالت متأثرة :

ـ انها دموع الشكر ، فانت أول شخص يطلب يدى .. ولا أدرى لماذا .. لعلنى لم أغرم باحد قط !

كان ساندى يحبها حقيقة ، بالاضافة الى ماورثه عن أبيه ـ مؤخرا ـ من أراض ومزارع شاسعة . وكان يتمنى أن تقبل طلبه . كذلك لم يكن أحد يتوقع أن ترفض مارى طلبا لشاب يعتبره الجميع صفقة رابحة بالنسبة لبناتهم ! .. لكن مارى كانت من نوع آخر .. لم يكن يهمها الثراء أو الفتوة بقدر ماكان يهمها أن تحصل على رجل من نوع آخر .. كانت تهوى الرجال ذوى العقول الجبارة .. ذوى الطموح والجلد والاحساس بالمسئولية تجاه مايدور فى العالم من محن ومشكلات .. لهذا كان من المستحيل أن تقترن بساندي ذي الذراعين المفتولين والجاه العريض .. اضف

الى ذلك مشروعها الذى فكرت فيه طويلا ، واستقر رأيها على تنفيذه . فهى لم تنس السنوات القليلة الماضية التى صرفتها فى مد العون لفريق من البشر كانت كل جريرتهم أنهم ولدوا سود البشرة . ولكم أحست بالتعاطف مع قضيتهم ، ولكم حاربت الرق الذى واجههم به أبناء جلدتها من البيض .

المرأة الصادقة لاتحب الا مرة واحدة !

وفى الصباح التالى ، استيقظت « مارى » على صوت زوجة أبيها « بيتسى » وهى تلومها على رفضها الزواج من «ساندى» ! .. وكاد النقاش بينهما أن يتطور ويحتد ، لولا أن تداركت « مارى » الأمر ، اذ تذكرت عناية « بيتسى » بها منذ أن ماتت أمها .. وتذكرت أخوتها الخمسة الاشقاء ، واخوتها الستة غير الاشقاء الذين أنجبتهم زوجة أبيها ذات الشخصية القوية ..

وحل موعد حفل التخرج ، فأسرعت مارى الى الجامعة التى درست بعض مناهجها ، عقب انتهائها من دراستها فى مدرسة البنات ومدرسة « مدام مينتل » الداخلية ، حيث اتقنت فيهما اللغات ، والعزف على البيانو ، والتمثيل والغناء ..

وفيما هى عائدة الى دارها ، مرت بسوق الرقيق ، فواجهتها المشكلة مرة أخرى عندما شاهدت فتاة صغيرة تعرض للبيع والناس يساومون فى تقدير ثمنها كالحيوان !..

فتنهدت ، ثم تمتمت لنفسها بعبارة حفظتها عن أبيهـا :
« ان رجلا واحدا لايستطيع أن يضع حدا للرق ! »

ومضت الايام بها ، وهى غارقة فى المشكلات من حولها ، الى أن دعتها جدتها ذات يوم لزيارتها .. وهنك تفرع بهما الحديث ، لكنهما التقيتا عند نقطة بعينها .. كنت مشكلة الزواج هى المرفأ الذى استراحت عنده الجدة العجوز التى ترملت اكثر من تسعة وثلاثين سنة ، ايمانا منها بمبدأ حافظت عليه ، يقول : **« ان المرأة الصادقة لاتحب الا مرة واحدة ! »**
.. وراحت الجدة تلقى اللوم على « روبرت تود » لزواجه من امرأة أخرى بعد زوجته الأولى .. وراحت مارى بدورها تبدى رأيها فى الزواج، وفى فارس احلامها الذى قصرت شروطها بالنسبة له ، على الشجاعة والخلق المهذب والحكمة ..

وعنـدما انتهت الزيارة ، عادت « مارى » الى المنـزل فوجدت فى انتظارها رسالة من شقيقتها « اليزابيث » تصف فيهـا حفل زواج شقيقتهما « فرانسس » التى اقترنت بشاب فجأة دون أن تخبر والدها ! .. وشفعت «اليزابيث» وصفها بدعوة « مارى » لزيارتها ، حتى تشغل الفراغ الذى خلفه رحيل فرانسس ..

ومضت أيام أخرى ، ودعت مارى بعـدها أفراد الأسرة وغادرت البيت الى دار شقيقتها فى (سبرنجفيلد) .

شخصية جديدة فى الميدان !

ولقيت «مارى» حفاوة بالغة بها فى سبرنجفيلد ، وقضت أيامها الأولى فى استقبـال الزائرين الذين وفدوا على دار

شقيقتها للترحيب بمقدمها . وكان من بين هؤلاء شاب فى الرابعة والعشرين من عمره يدعى « ستيفن دوجلاس » ، كانت مارى معجبة بذهنه الوقاد وذلاقة لسانه ..

غير أن السياسة نجحت فى اجتذاب « مارى » مرة أخرى ، اذ وجدت من حولها اهتماما بها أوسع مما وجدته فى محيط أبيها . وقد صادف ان دعيت فى اليوم التالى الى مؤتمر سياسى ، سرعان مارحبت به ، وانطلقت بصحبة شقيقتها وزوجها لحضوره . وهناك حدثت ضجة أثناء مناقشة الخطبة التى ألقاها أحد المتحدثين .. اذ صرخ الشاب المتحمس « دوجلاس » مطالبا بانزال الخطيب من فوق المنبر ، وكان ذلك ايذانا بالهرج والمرج اللذين أعقبا ذلك .. وتطلعت « مارى » تتأمل المكان ، واذا بها تلمح وسط هذا الجو الصاخب ، **ساقين طويلتين نحيلتين تخطوان بسرعة الى حيث كان الخطيب .. كانتا تحملان رجلا يبلغ طوله ستة أقدام ، طويل الذراعين ، نحيل العنق ، ذا شعر أسود وبشرة داكنة ووجه لطيف بشوش** .. وتقدم الرجل ناحية المتحدث ثم واجه الجمهور ، حاملا على الموجودين لضيقهم بحرية الرأى التى كفلها دستور البلاد ..

وأحست « مارى » أنها أمام شخصية غريبة ، فسألت شقيقتها عن الرجل الغريب ، وأجابتها اليزابيث بقولها : « انه ابراهام لنكولن المحامى، وشريك ابن عمك «ستيوارت» .. انه شاب لطيف ، لكنه لايهم أسرة تود »

شجاعته فى التحدث عن فقره !

ثم التقت مارى بالمحامى الشاب النحيل مرة أخرى ، أثناء حضورها مناظرة سياسية .. لكنه كان فى هذه المرة أكثر حماسة وعنفا ، اذ تصدى لخطيب يدعى « تايلور » ، كان يعنف الارستوقراطيين على بذخهم ، ويحاول أن يظهر الديموقراطيين الذين ينتمى اليهم بمظهر العاملين لمصلحة الشعب ، الزاهدين فى متاع الدنيا .. لكن « ابراهام » هب فجأة ، واندفع تجاه الخطيب ، وأمسك بصديريته وفك أزرارها ، فبدا داخلها قميص حريرى ثمين ، وسلسلة وساعة ذهبيتان ، بالاضافة الى ماحولهما من حلى أخرى ثمينة .. وعندئذ أغرق الجميع فى الضحك .. لكن المحامى النحيل رفع يده فانقطع الضحك ، وصمت الحاضرون ، وشرع هو يقول :

« أيها الأصدقاء .. انا ابراهام لنكولن الوضيع . حين كان « تايلور » يوجه هذه التهم ضد حزب الأحرار — الذى أنتمى اليه — فى طول البلاد وعرضها ، وهو يركب العربات الفاخرة ، ويرتدى القمصان الحريرية ، ويمسك بعصا ذات رأس ذهبية ، كنت أنا غلاما فقيرا ، أعمل على قارب بأجر لايزيد على ثمانية دولارات فى الشهر ، ولم أكن أملك سوى بنطلونا واحدا من جلد التيس .. وليس يخفى عليكم أن من طبيعة هذا الجلد أنه ينكمش عند البلل ، ولذلك أخذ البنطلون فى الانكماش حتى كشف عن جزء كبير من ساقى . كنت أنمو ، بينما كان البنطلون يزداد قصرا ، حتى صارت

المسافة بين نهاية جوربى وذيل البنطلون عدة بوصات . كما ضاق فى الوقت نفسه فخلف على ساقى علامة دكناء ، لاتزال باقية الى اليوم . فان كنتم تسمون هذا أرستوقراطية، فاننى أقر بأننى مذنب أمام هذه التهم الموجهة ضد حزبنا ! »

وصفق الجميع له ؛ ثم سار كل الى حال سبيله .. والتفتت مارى الى شقيقتها « فرانسس » مستفسرة عن أخبار هذا الرجل ، سائلة شقيقتها أن تتيح لها فرصة للتعرف به .

وأتيحت الفرصة فعلا ، اذ جمعهما حفل شاى فى بيت شقيقتها .. لكنها لاحظت على لنكولن فى تلك المرة الصمت والانطواء طوال الحفل ، مما أثار فضولها . وانضم الحظ الى صفها حين أعلنت شقيقتها بعد قليل أنها مدعوة مع زوجها للعشاء خارج البيت .. وبذا أتيح لمارى أن تنفرد بلنكولن وتعرف خباياه عن قرب . وسرعان ماتكشفت شخصيته لها شيئا فشيئا ، فبدا بسيطا خجولا ، ميالا الى الفكاهة وسرد القصص والطرائف .

وعجبت « مارى » من طريقته فى الاجابة على أسئلتها ؛ اذ كان يستعين بالقصص فى الرد عليها . وعندئذ دار بينهما الحوار التالى :

ـ انك أغرب شخص قابلته فى حياتى . ولست أملك الا الاعجاب بك .. فالاعجاب هو بدء الصداقة !

ـ قليل من النساء أبدين اعجابهن بى .

ـ وهل أعجبت أنت بكثير منهن ؟

ـ أذكر اثنتين أو ثلاثا على الأكثر . ولعله كان حبا مبدئيا .. ولكن متى أحببت أنت يامس تود ؟

وحملقت فيه « مارى » صامتة ، وفكرت برهة ثم قالت :

ـ لم تكن هناك بداية لحبى .. أو هو ، على الأقل ، لم يبدأ بعد !

عندما يكون الرجل .. « كالماسة الخام » !

وأخذت علاقة « مارى » بابراهام تتوثق على مر الأيام .. ولم تكن مارى تتوقع أن تجد فى (سبرنجفيلد) هذا العيض من السعادة .. وقد لاحظت شقيقتها هذه السعادة التى غمرتها ، فأسرت اليها ذات يوم بقولها : « لقد ازددت فتنة وسحرا بدرجة لم أعهدها فيك من قبل ! .. ترى من الذى استهواك من الشبان ؟ .. طبيعى أن الفارس ليس تلك الماسة التى لم تصقل بعد ! » . فأجابت مارى : **« ان صقل ماسة حقيقية يستغرق الحياة بأكملها ! وعلى أية حال ، فالأمر يتوقف على نوعها .. وصفائها من الداخل ! »**

غير أن صفاء الماسة وصقلها كان يحتاج الى وقت طويل ، فقد علقت بها شوائب من هنا وهناك ، سيما تلك الحملة المقذعة التى تعرض لها لنكولن من الصحافة المعارضة ، بسبب طريقته فى الخطابة ، وفى فض المشاكل عن طريق الفكاهة والأمثال الشعبية .. مما أدى بمارى الى القلق على مصير الرجل ومستقبله .. بعد أن علقت عليه آمالا كبار !

وذات يوم وصلها خطاب من والدها ، بمناسبة عيد الميلاد ، وبداخله مبلغ محترم من المال ، مشفوع بنبأ سار

مؤداه ان والدتها قد تركت لها فى وصيتها أرضا زراعية خصبة فى (انديانا) ، مساحتها خمسون فدانا ، على أن تحصل عليها فور زواجها .. وكان ذلك فألا طيبا بالنسبة لها ، مما شجعها على طرح الهواجس والقلق جانبا .

وفى الحفل الذى أقامته شقيقتها بمناسبة العيد ، كانت مارى تقوم بدور المضيفة ، نظرا لتخلف شقيقتها التى كانت على وشك الوضع..وفى تلك الليلة سنحت لمارى فرصة بعد انصراف المدعوين ، اذ لحق بها ابراهام ، وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء ، وطلب منها أن تأذن له بدقائق من وقتها ، فرحبت به، وجلسا مستغرقين فى حديث ودى.وكم كانت دهشتها عندما اكتشفا انهما ـ مارى وابراهام ـ قد ولدا فى مقاطعة (كنتوكى) ، كما فقد كل منهما والدته فى سن واحدة .. ثم تحدثا فى تلك الليلة كثيرا ، وطرقا شتى الموضوعات .. وعندما سألته مارى أن يقص عليها تاريخ حياته ، أجاب بقوله :

ـ ان تاريخ حياتى لايعدو أن يكون تاريخ حياة الفقراء ، وهو تاريخ ساذج قصير !

ـ لكنك كنت بليغا فى خطابك ، فمن أين لك هذه البلاغة ؟

ـ لم يكن فى بيتنا سوى الكتاب المقدس . لكننى كنت أستعير بعض الكتب المعدودة التى كانت ملكا للجيران .. كنت أقرأ ليلا على ضوء الشمعة حتى تفنى .. وكنت أحفظ هذه الكتب عن ظهر قلب ، لقلة عددها .. وهكذا استطعت أن أقرأ كتبا مثل (روبنسون كروزو)و(حياة هنرى كلاى)

و (خرافات ايسوب) ، وما شابه ذلك . وقد عاونتنى زوجة أبى على اكمال تعليمى ، ضد ارادة أبى الذى لم ينل أى قسط من العلم ، ومع هذا كان يسخط على من يطلبه

لا يترافع الا عن المتهم الذى يؤمن ببراءته !

وكانت مارى تسمع أشياء كثيرة تدور من حولها على ألسنة الناس ، وكلها منصرف الى ابراهام العصامى المكافح .. قصص كثيرة كانت تروى عن طيبة قلبه وحبه للناس.. وقد أرادت « مارى » ذات يوم أن تتحقق من هذا ، وأن تراه بنفسها . وصادف أن ذهبت الى دار القضاء لتستمع الى مرافعته فى احدى القضايا . وكم كانت دهشتها عندما وجدته يعلن تخليه عن الدفاع .. لكنها مالبثت أن اكتشفت الحقيقة ، اذ تبينت أن لنكولن قد علم عن موكله ما يثبت خيانته ، **فما كان منه الا أن سار نحو الباب .. وعندما** سأله القاضى : **الى أين ؟** أجاب : **« الى حيث أغسل يدى من هذه القضية ! »**

كذلك رفض المرافعة فى احدى القضايا لأن موكله كان يتجر فى الرقيق ، وامتنع عن دخول المحكمة فى صفه قائلا : « لن أرفع صوتى لصالح الاتجار بالرقيق الذى أومن بأنه مبنى على الظلم والسياسة العقيمة . فالبيض يستطيعون تحرير أنفسهم ، أما السود فهذا ليس فى وسعهم . وهنا تكمن المأساة . **ولست أرى من واجبى ، كمحام ، أن أدافع عن شخص يحاول تلويث أرض حرة بتجارة الرقيق ! »**



ماری تود فی شبابها (١٨١٨ – ١٨٨٢) . وقد التقت بلنكولن فی مرقص عام ١٨٣٩ ، وتزوجا فی ٤ نوفمبر ١٨٤٢ ، بعد حب تخلله الشجار ، والقطيعة ، والوصل .. الخ



مارى لنكولن مرتدية ثوبا للسهرة قبيل خروجها مع زوجها الى حفلة راقصة . وكانت تكره الظهور فى صور مع زوجها بسبب الفارق الكبير بين طول قامتيهما !

ولم يكن هذا هو كل ما اكتشفته « ماري » في ابراهام ، اذ هالها ذات مرة أن تكتشف تلك القوة الهائلة التي تكمن في عضلاته . فقد تبارى القوم يوما على حمل فأس ضخمة .. لكن أحدا لم يقو على ذلك ، باستثناء « دوجلاس » الذي حركها قليلا . وقبل لنكولن دعوة ماري لحمل الفأس ، بعد الحاح منها ، فما كان منه الا أن خلع ياقته البيضاء ، وتقدم نحو الفأس ، ثم رفعها مرة واحدة الى مستوى قامته .. ثم طلب فأسا أخرى ، وقام بدفن راسى الفأسين في الارض ، وترك بينهما مسافة قدم واحد ، وما أن انتهى من ذلك حتى أمسك كلا منهما بيد ، ورفعهما معا . **وكانت النتيجة ان شعرت ماري بدوار ، غادرت المكان بسببه فورا ، بينما لنكولن يمسح بمنديله العرق المتصبب على جبينه !**

القبلة الأولى !

ونجح كيوبيد تماما في مهمته ، اذ وفق بين قلبي ماري وابراهام ، وربط بينهما برباط وثيق .. فلكم شعرت ماري بارتياح عندما كانت تسير بجوار لنكولن ، ولكم شعر هو أيضا بالمسئولية ازاء حبهما ، فضاعف من حرصه على راحة رفيقته .. بل انه لم يعترف باسمها الحقيقي ، وانما اختار لها اسما من عنده هو « مولى » .. وهو اسم خاله مريحا ، لايبعث الأشجان مثلما يبعثها الاسم الأصلي . (ذلك لأنه كان قد وقع في غرام فتاة من قبل ، كانت تحمل اسم « ماري » أيضا ، لكنها خيبت آماله ، وخلفت له اللوعة والحسرة !)

وأصبح المشى هواية للمتحابين . وذات مرة ، فيما همـا سائران ، أعلنته « مارى » بأنها ستزور عمها القـاضى فى (ميسورى) ، لقضاء بعض الوقت هناك .. وأخذا يتناقشان فى مسألة السفر ، وهما يتقاربان أكثر فأكثر ، **حتى أصبحت المسافة بينهما لاتذكر .. وعندئذ انحنى لنكولن نحو مارى، فأولته هى الأخرى خدها دون أن تشعر** .. ولم تدر الا وقد احتضن كل منهما الآخر ، وقد أطبقت شفتاه على شفتيها .. وفى تلك اللحظة انهـارت جميع السـدود التى تفصـل بينهما ، وأصبحا يشعران كأنهما الـكائنان الوحيـدان على ظهر الارض !

وبعـد لحظة ، رفع ابراهام فمـه عن شفتيها ، وكذلك ذراعيه القويتين اللتين التفتا حول خصرها .. ثم تحـول سائرا فى طريقه دون أن ينبس ببنت شفة !

صراع .. بين القلب والجسد

فـكرت « مارى » كثيرا فى ابراهام .. بل انهـا صرحت بحبها له الى ابنة عمها «آن» فور وصولها الى (ميسورى) ، ودافعت عنه ، وتنبـأت له برئاسـة الجمهورية ! .. لـكن التفكير فيـه شغلها ذات ليلة ، وهى فى فراشـها تتقلب ، وتستدعى النوم بلا جدوى ، اذ أخذت تتساءل :

« ترى لماذا أحب لنكولن أكثر من سـواه ؟ ان كان ذلك لأمانته ، فجميع معارفى تقريبا يتحلون بالأمانة !.. وان كان للبسـاطة ، فانها سجية لاقيمة لهـا ! .. وان كان للقـوة

البدنية ، فالحيوانات تتمتع بها ! .. وان كان لروحه الفكاهية المرحة ، فهذا لا يدل على ثقافة ذهنية ! » .. وهكذا راحت تقلب الأمر على كافة الوجوه ، دون أن تخرج بنتيجة ، اللهم الا تقدير الناس له ، واعتقادهم بكفاءته وقوة شخصيته .. لكن ، هل يبادلها لنكولن نفس الحب ؟

كان هو قد جرب هذه العاطفة من قبل ، ولدغته التجربة ، فجعلته يصف الحب بقوله : « انه هلاك ! » . أما هى فقد أصرت على حبها وراحت تغذيه وتطعمه من قلبها ووجدانها **.. ورفضت بكبرياء عرض شقيقتها اليزابيث بشأن الزواج من « ستيفن دوجلاس » ، الشاب الثرى الذى يهواها ، وأبلغتها بعزمها على الزواج من لنكولن ، رغم مهاجمة أسرتها له واتهامه بالجهل والخشونة .. بل وقبح المنظر أيضا !**

وما أن عادت الى (سبرنجفيلد) عقب انتهاء زيارتها لعمها ، حتى سألت عن ابراهام ، وعرفت من شقيقتها أنه عاد هو الآخر من سفره أمس .. وما أن انقضت الليلة حتى فاجأها ، فى الصباح التالى ، بزيارته فى ساعة مبكرة .. حيث تبادلا الأشواق من جديد .. ثم انصرف بعد أن وعدها بالزيارة فى الصباح الذى يليه ..

وأقبل ابراهام فى موعده .. وكم كانت دهشتها عندما قدم لها زجاجة من العطر قائلا : **« لست ممن يستطيعون التعبير يامولى .. لأن قدرتى على التعبير تقل كلما التهبت مشاعرى .. لكننى أريد أن تعرفى عنى شيئا واحدا .. هو انك المرأة الوحيدة التي أحببتها ! »**

.. وكان لهذه الهدية المتواضعة وقع كبير على نفسها ، اذ اجتذبها الحديث ، وأخذت تتنقل به من موضوع لآخر ، الى أن استقرت عند موضوع الزواج .. فحدثت لنكولن عن الصداق (الدوطة) الذى تركته لها والدتها .. كما حدثته عن اعتزامها شراء منزل فخم للسكنى ، وعندئذ قال لها : « **لم يحدث اننى ملكت الفراش الذى أنام عليه يامولى ! .. لذا أناشدك طرح هذه المسائل جانبا .. اذ ليس من اليسير على أن أقفز من نصف فراش ، الى قصر منيف !.. ولماذا تبغين أن تبدئى الحياة من قمتها ؟ .. انك لن تجدى عندئذ مجالا للصعود ! »**

.. ومضى حبهما هادئا ، حافلا بالبهجة والسعادة .. الى أن اعتزم لنكولن مغادرة سبرنجفيلد ليقود حملة الانتخابات للمرة الأخيرة .. فودع مارى على ان يعود بعد أسبوعين ، بعد أن اتفقا على أن يتم الزواج بعد عودته .. لكن الاتفاق لم ينجح هذه المرة ، فاضطرا الى تحديد موعد آخر لاعلان الخطبة ، وانتهزا فرصة عيد رأس السنة ، فاتفقا على أن تتم فيه الخطبة وعقد الزواج معا ، أثناء حفلة الشمبانيا التى تقرر اقامتها لهذه المناسبة .

وسرعان ما حل الموعد المضروب . وافتتحت حفلة الشمبانيا ، **وظلت مارى تتطلع الى الباب مترقبة قدوم ابراهام ، ولكن بلا جدوى ! .. واضطرت ، قرب نهاية الحفلة ، الى الاعتذار للمدعوين .. ثم صعدت الى غرفتها ، ورأسها مثقلة بالهموم والأشجان** : ترى ماذا حدث ؟ هل

تسرعت فى طلبها ؟ هل ذهب حبها مع الريح .. و .. و .. أسئلة عديدة دارت برأسها ، وجعلتها تقضى ليلتها مسهدة ، لا يغمض لها جفن ..

وأخيرا علمت أن لنكولن قد أصيب بداء السويداء (الملانخوليا) ، وأنه يضيق بالحياة ، وأن حالته العامة ليست على ما يرام ، اذ نقل لها ابن عمها ، الذى يقيم فى واشنطن ، فقرة من خطاب وصله من لنكولن يقول فيها :

« اننى أشقى مخلوق على وجه الارض ، وأشعر أنه لو وزع شقائى على البشر جميعا بالتساوى لما كان هناك ثغر باسم على هذه الارض ! .. لقد ضقت ذرعا بالحياة ، حتى أصبحت لا أقوى على احتمالها .. والآن : اما التقدم .. واما الموت ! »

ومع أن مارى تجلدت أمام هذا الموقف ، وأظهرت من الشجاعة ما أخفى جزعها وقلقها ، الا أنها كانت كمن أصيب بالحمى ، اذ استسلمت للأمر فى هدوء ، وهى تغلى من الداخل ، وكلما أفاقت من أشجانها تذكرت كلماته لها : « ان الحب أبدى ! »

وأخيرا .. تم الزواج !

وولى صيف ذلك العام ، وحل الشتاء بثلوجه وزوابعه ، لكنه مضى أيضا دون أن تطمئن على الحبيب الغائب !

وذات يوم ، فى بداية شهر أغسطس ، وصلتها بطاقة لتناول العشاء لدى صديقة لها .. ولبت الدعوة .. ولم تكن تدرى ما يخبئه القدر لها .. فما أن بلغت بيت صديقتها ،

حتى حدثت المفاجأة .. كان لنكولن هناك ! .. وكان عتاب أعقبه الصلح على الفور ، اذ تفاهما ، وصفيا الخصام ، وتصافحا .. لكنها لم تطلب منه شيئا ، اذ حدث أن واجهها هو بطلبه .. على أن يتم تنفيذه عقب عودته من جولة أزمع القيام بها ..

وصدق فى وعده هذه المرة ، اذ عاد فى أول شهر نوفمبر بعد أن نجح فى جولته القضائية .. وكسب عدة قضايا .. لكنه عاد بمظهر جديد كلية : ففى جيبه عقد شراء أرض مساحتها أربعون فدانا اشتراها لوالديه ، وعليه ثياب أنيقة جعلته يبدو ثريا ..

وتقدم الى مارى قائلا :

ـ ترى ، أتقبلينني زوجا يا مس تود .. غدا .. أم بعد غد ؟

ـ وهل اطمئن الى قبول العرض ؟.. (واستطردت بلهجة قاسية) **أمتأكد من أنك لن تختفى مع الريح عامين آخرين ؟**

ـ بل عليك أنت أن تحددى المكان .. وسأكون عند وعدى هناك !

.. وأخيرا تم الزواج ، وتلته حفلة راقصة حتى ساعة متأخرة من الليل .. لكن العروسين تسللا فى هدوء عند منتصف الليل ، الى حيث أقلتهما عربة مضت بهما الى فندق « جلوب » .. وهناك احتلا نفس الغرفة التى سبق أن احتلتها شقيقتاها عند زواجهما !

الكلاب تنبح .. والقافلة تسير !

جعلت مارى من غرفتها عشا زوجيا أنيقا .. وسرعان ما اعتراهما تحول كبير جنح بهما الى السعادة ، ورسم على محياهما دلائل الصحة والنضارة ..

وكان هو شغوفا بالكتابة ، واظهار مواهبه الأدبية على الورق .. أما هى فقد كانت تحنو عليه ، وتحاول أن تشعره بالراحة والهناء ..

وذات يوم حضرت لزيارتهما شقيقتها « آن » ، ولم تكن قد رأت لنكولن بعد .. لكنها عند ما قابلته ، أحست بخيبة أمل ، ظهرت آثارها على وجهها فى الحال .. مما سبب ضيقا كبيرا لمارى .. سيما وان حساسية لنكولن جعلته يتنبه لذلك .. فما كان منه الا ان بادر مارى بقوله :

« أخشى أن أكون قد خيبت أمل شقيقتك يا مارى ، فأنا مضطر لأن أعيد على مسمعها ما سبق أن ذكره المدعى العام حين قال : **ان قبح منظر الرجل يقف عقبة فى سبيل نجاحه .. وان تقتير الطبيعة بالنسبة له ، يضطره الى بذل مجهود جبار لكى يعوض هذا النقص بسلوكه وتصرفاته .. أما من أسبغت عليه الطبيعة من حسنها فهو ، على النقيض ، يطمئن الى وجهه فلا يعنى بنقص عقله أو قلبه !** »

.. لكن مارى طيبت خاطره ، وطمأنته ، وأزاحت الأوهام التى شغلته ..

.. وقد أثمر زواجهما سريعا ، اذ وضعت مارى مولودها الأول فى أول أغسطس التالى .. وأطلقا عليه اسم « روبرت » ،

تكريما لأبيها . وكان من حظ الطفل أن زارهما « روبرت » الجد ، فاهدى ماری مظروفا به عقد ملكية ثمانين فدانا بالقرب من سبرنجفيلد !

لكن الطفل لم يلبث أن ظهر فی احدى عينيه« حول » أزعج ماری كثيرا ، وخاصة عندما قرر لها الطبيب أنه حول وراثی ، لا علاج له ، وقد ورثه عن أبيه الذی كان يبدو أحول العين عند الاجهاد ..

وشاء لنكولن أن يدخل على قلب زوجته السرور ، ففاجأها ذات يوم بقوله : **« لقد اشتريت لك منزل القس « درير » الذی استهواك .. فقد حرمت نفسی منذ زواجنا من اقامة الحفلات ، بل ومن ممارسة لعب الكرة التی أعشقها ، وذلك لكی أدخر لك ثمن البيت ! »** .. وعندئذ فاضت الدموع من عينيها .. وغمرها فيض من السعادة ، أنساها متاعبها ..

انتخابه مرشحا لرياسة الجمهورية

وجعلت ماری من المسكن الجديد جنة وارفة الظلال .. وشاء القدر أن تسفر حركة النشاط السياسی عن انتخاب ابراهام مرشحا لرئاسة الجمهورية .. فكان ذلك ايذانا ببدء مرحلة جديدة فی تاريخ زواجهما .. مرحلة لم تقف فی سبيلها الخلافات الزوجية التی كانت تحل بهما من حين لآخر .. على الرغم من ندرتها .

.. وكانت ماري في ذلك الحين تتمني أن ترزق ببنت ..

لكنها وضعت طفلا ذكرا ، لم يكن ذا عاهة كأخيه . ويبدو أن قافلة المجد كانت ماضية بهما ، اذ ما لبث لنكولن أن رشح لعضوية (الكونجرس) . وكان منافسه هو القس « كارترايت » ، الذى أخذ يدعو لانتخابه على نطاق واسع ، مهاجما فى الوقت نفسه ابراهام . وفى أحد هذه الاجتماعات ، وقف القس يخطب ، وعندئذ قال ابراهام هامسا : « لست أدرى لماذا يبحث هذا الرجل عن الخطاة ، وجميع من حوله هم أصدقاؤه الديموقراطيون ؟ ! » .

وفهم « كارترايت » ما عناه لنكولن ، فصوب نظره نحوه لحظة ، ثم رفع ذراعيه قائلا : « من يبغى أن يحيا حياة جديدة ويسلم قلبه لله ، فليقف ! » .. ووقف عدد قليل من الحاضرين . لكنه أضاف قائلا : « ومن يبغى ان لا يكون الجحيم مثواه ، فليقف ! » .. فوقف الجميع ، ماعدا مارى وزوجها .. وعندئذ قال كارترايت : **« لقد لاحظت أن البعض قد وقف من أجل تسليم قلوبه لله ، كما وقف الجميع ، باستثناء واحد ، لأنهم لا يبغون الذهاب الى الجحيم . فهل تسمح لى أن أسألك يا مستر لنكولن : الى أين تبغى الذهاب ؟ »** .. فأجابه لنكولن على الفور : « الى الكونجرس ! » . وعندئذ ضج الجميع بالضحك . لكن هذا أزعج القس ، وجعله يذيع تقريرا بادانة لنكولن وعدم أهليته لتمثيل المسيحيين فى الكونجرس .

.. غير أن لنكولن استطاع أن يكتسب عطف ٥٦٪ من مجموع الرأى العام ، فى صراعه مع القس المرشح .

أما حياته فى البيت فى تلك الفترة ، فكانت حديث الناس ، اذ كان عطوفا على طفليه وزوجته .. ولم يكن يسمح لمارى بالقسوة عليهما ، وكان يقول لها : **« ان العالم حافل بصنوف الشقاء ، فلينعما على الأقل بطفولة سعيدة ! »**

الحياة فى واشنطن

كان على الأسرة الصغيرة أن تنتقل الى واشنطن بعد نجاح عائلها .. لكنها لم توفق الى استئجار منزل مناسب ، اذ احتلت غرفة متواضعة بأحد البنسيونات .. وكان هذا يسبب حرجا لمارى ، اذ وجدت أنها تتردد كثيرا على البيت الأبيض بحكم مركز زوجها ، مما جعلها تتذمر من هذا الوضع .. وتشكو لابراهام ، وترجوه التفكير فى هذه المشكلة .. لكنه لم يكن يأبه بها ، بدعوى أن أهل المدينة الكبيرة لا يهتمون بمثل هذه الامور ، سيما وأن زوجات بعض الأعضاء يقمن فى نفس المكان دون تذمر ..

وفكرت مارى فى الأمر ، ورضخت فى النهاية لرأيه ، حتى لا تجرح احساسه ، وحتى لا تضاعف من متاعبه التى أخذت تتزايد بفعل المضايقات التى كان يلقاها من جراء معارضته لحرب المكسيك ، وايمانه بالحلول السلمية ..

وقد حدث أن عرض عليه منصب محافظ ولاية (أوريجون) ، بمرتب سنوى قدره ثلاثة آلاف دولار ، لكن مارى وقفت فى وجه هذا العرض ، رغم احتياجهم للمال .. وراحا ينفقان من مال كانت هى قد ادخرته ..

المصائب لا تأتى فرادى .. !

غير أن القدر لم يمهل سعادتهما أكثر من هذا .. اذ شغلت مارى بعملية جراحية أجريت لعين « روبرت » الصغير .. ثم نكبت بوفاة والدها « روبرت » الكبير .. وآلمها أن تباع محتويات منزله بالمزاد العلنى ..

ثم مرض طفلها الاصغر « ادوارد » بالدفتيريا ، لكنه لم يمكث طويلا ، اذ فاضت روحه الى بارئها .. وعبثا بحثت فى قلب « روبرت » عن عوض لفقد أخيه .. ومع هذا تحملت مارى ما حل بها من مصائب، وضغطت على أعصابها لكى تبدو هادئة ..

وأقبل عام ١٨٥٠ يحمل ربيعا صافيا ، أحال (سبرنجفيلد) الى جنة خضراء ، لكن هذا الصفاء لم ينتقل الى الجو السياسى الذى كان ملبدا بالغيوم .. كانت هناك بوادر تفرقة وتشاحن بين الولايات الشمالية والجنوبية بسبب تجارة الرقيق ، جعلت ابراهام يتوه فى دوامة من القلق والأسى .. دوامة شاركته فيها مارى التى كانت تحمل فى أحشائها جنينا مضت عليه شهور قليلة ..

ولم يخفف من عذاب الزوجين سوى موت الرئيس « تيلر » ، وفوز نائبه « ستيفن دوجلاس » بالرئاسة .

.. ورزقا بطفلهما الثالث الذى سمياه « وليم ولاس لنكولن »، اعترافا بجميل زوج شقيقتها الطبيب الذى عنى بها .

وكان ابراهام فى تلك الفترة مشغولا بالمحاماة والانتخابات، وكثيرا ما كان يتغيب عن بيته .. وذات يوم كانا عائدين من

الكنيسة ، وكان هو يجر عربة « وليم » ، ومارى من خلفه تسير فى هدوء وثبات .. لكنها ما لبثت أن خرجت عن هدوئها واندفعت صارخة نحو وليدها الذى هوى فى تلك اللحظة على الارض بعد أن سقط من العربة ، بينما أبوه ماض فى جرها ، غير منتبه الى ما حدث .. وعقدت المفاجأة لسانه عندما استدار واكتشف اهماله ، فوقف صامتا ، زائغ البصر .. ولم تتمالك مارى أعصابها ، فراحت تؤنبه بحدة . واستمع هو اليها حتى فرغت، ثم قال : **« ان العالم شاق يا مارى ، والناس فيه تظل تسقط من أعلى العربات .. فجدير بوليم أن يتعود ذلك منذ طفولته ! »**

.. وازداد « لنكولن » قلقا ، وأصبح عصبيا ، حاد المزاج .. لم يكن يغادر مكتبه الا لماما ، ولم يكن يتناول طعامه بانتظام .. واعتلى وجهه وجوم وهزال كئيبان ، جعلا مارى أشد حساسية وخوفا عليه مما سبق .. بل ان هذا الجو المقبض انتقل الى مارى فى النهاية ، فصارت تتشاجر مع الباعة، وتقسو على خادمتها، وتثور لأتفه الأسباب !

وبلغ السيل الزبى عندما بلغتها شائعات عن تودد ابراهام الى احدى الممثلات .. وعندئذ ثارت ثائرتها واندفعت اليه تريد أن تثأر لنفسها .. لكنه نظر اليها فى هدوء ثم قال : **« ان أعظم ثناء تكيلينه يا مارى لرجل حرمته الطبيعة من نعمة الجمال ، هو أن تغارى عليه ! .. فلا خوف على من النساء قط ، لأن المرأة تؤكد لى اننى أقبح رجل فى الوجود ! »**

لكن الشائعات مضت تتواتر ، بينما مارى منتبهة متحفزة

للقضاء على كل منها فى مهدها .. ثم انتهزت فرصت حلول اليوم الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٥٢ ، فاحتفلت بالذكرى العاشرة لزواجهما .. وكان هذا ردا بليغا أخرس الألسنة من حولها . وراح ابراهام ، من جانبه ، يكشف لها عن الحقيقة ، ويشكو لها متاعبه وآلامه ، معترفا بفضلها عليه ، معتذرا عما بدا عليه من وجوم وقلق .

امنياته .. لابنه الرابع

ووضعت مارى طفلها الرابع ـ وجاء ولدا هذه المرة أيضا ! ـ فآلمها أن تخلو ذريتهما من البنات ، لكنها ما لبثت أن استراحت ورضيت بما قدر لها .. وكان الطفل أشقر ، ضخم الرأس ، مما دعا أبوه الى تشبيهه بفرخ الضفدع قائلا : « يبدو أنك ستغدو ذا عقلية جبارة يا فرخ الضفدع ، **وأعتقد أننا سنخرج منك شاعرا أو فيلسوفا .. ولن يصل بك الجهل حتى تصير محاميا ريفيا كأبيك ! »** .. وسمى الطفل : « تاد » أو « تدى » ، لكنه كان ، كأخيه الشقى ، ذا عاهة فى حلقه ..

غير أن الزوجين سعدا بعد ذلك بنبأ أثلج صدريهما .. اذ قرر مجلس شيوخ ولاية (الينوى) جعل مدينة (لنكولن) ـ التى سمى باسمها ابراهام ـ عاصمة لمقاطعة (لوجات) .. وكان ذلك يوم ١٢ فبراير ، أى فى عيد ميلاده .

عند ما تتحول السياسة الى طعام وشراب !

.. **كان** ابراهام يؤمن بأن السياسة كالماء والهواء .. بل انها تحولت الى طعام وشراب بالنسبة له ! .. وكانت

مشكلة الرق على رأس المشكلات التى عانى منها كثيرا ..

وتذكر مارى انها استيقظت ذات يوم فى ساعة مبكرة ، فوجدته جالسا على حافة سريره وهو يديم النظر اليها .. وعندئذ عرفت أنه عاد الى قلقه وتوتره . وقال لها بعد لحظة من انتباهها اليه : **« يا مارى، هل يمكن أن تدوم هذه الامة ، بينما نصفها مستعبد والنصف الآخر متحرر ؟ ! »**

لقد طغت المشكلة عليه ، واستحوذت على تفكيره ، فجعلته ينصرف اليها . فلم يكن يذهب للمكتبة للتسلية ، وانما للدراسة والبحث فى حلول للمشكلة .. حتى بدأ الناس ينفضون من حوله ساخطين ، مستنكرين تقديره للحرية .. أما مارى فقد تحولت الى مستودع سره وساعده الأيمن !

وعند ما أقر الرئيس دوجلاس تعديل الدستور فى ٤ مارس ١٨٥٤ بما يضمن اقرار تجارة الرقيق ، ثارت الصحف ، وجميع طوائف الشعب .. حتى رجال الدين ..

وفى ذلك اليوم عاد ابراهام الى بيته والغضب يؤجج نفسه .. وأخذ يعلن لمارى احتقاره لذلك الرجل الذى فرض الرق على الناس ، وتصميمه على الجهاد من أجلهم . ولكن ، ما وسيلة ذلك ؟ .. لاشك أن عضوية الكونجرس تضمن له نصيبا ايجابيا فى المعركة ، هكذا قالت مارى وهى تحثه على ترشيح نفسه ، مستطردة : **« اننا لم نعد نستحق الرثاء ، أو نسترق النظر حولنا لنبحث لأنفسنا عن قبور وضيعة نتوارى خلفها .. وانما نحن نمضى قدما على الطريق ! »**

.. لكنه فشل فى أول تجربة .. اذ فاز بالعضوية رجل

آخر من حزب الأحرار الذى ينتمى اليه . ومع هذا لم يفت اليأس فى عضده ، بل انه مضى الى الفائز على الفور وهنأه قائلا : ((ان فشلى يعادل تشوقى لتهنئتك يا صديقى العزيز !))



صوره تاريخيه للرئيس لنكولن ، وهو يراجع دروس ابنه ((تاد)) . وقد التقطت الصورة يوم ٩ فبراير سنة ١٨٦٤ ، قبل مصرع لنكولن بعام واحد





(فى أعلى) : الممثل الفاشل « جون ويلكس بوث » يطلق النار على لنكولن أثناء عرض كوميديا « ابن عمنا الامريكى »
(الى اليسار) : صورة نادرة للقاتل (٢٦ سنة) ، وقد قتله رجال الشرطة فى جرن قمح بعد ١٢ يوما من قتله لنكولن ، ووجدوا فى جيبه صور خمس نساء !

سيدة ضئيلة الجسم ، فى الشارع الثامن !

وأحست مارى أن عليها أن تمهد له طريق المجد الذى ينتظره ، فانتهزت فرصة رحيله ، وقامت بترميم البيت الذى يقيمان فيه ، حتى بدا جديدا منيعا ، وأضافت اليه طابقاً آخر . . لدرجة أن ابراهام تردد فى دخوله عند عودته ، وهو لا يصدق نظره !

ومرة ثانية أخطأه الحظ فى الانتخابات ، لكنه لم ييأس . . بل ظل يشعل النيران تحت القدر السياسى لكى يزيد من اضطرامه وغليانه ، فراح يدعو زعماء الحزب الجمهورى فى كافة الولايات الى نبذ تجارة الرقيق وتحطيم الاصوات المؤيدة لها ، حتى لا تستفحل الانقسامات وتؤدى الى حرب أهلية بين ولايات الجنوب وولايات الشمال . كما استعان بموهبته الخطابية لالقاء الضوء على المشكلة . . وفى كل هذا كان مرحا على غير عادته . .

وأسفرت المعركة السياسية الناشبة فى ذلك الحين عن عقد مؤتمر كبير اصطبغ بالصبغة الرسمية ، وافتتح فى شيكاغو فى ١٦ مايو ١٨٦٠ . .

ثم كانت المفاجأة !

ففى الصباح التالى خرج ابراهام الى مكتبه ، لكنه ما لبث أن عاد الى بيته . . وفوجئت به مارى وقد شحب وجهه . . لكنها لمحت السرور طاغيا على عينيه وحركاته . . واذ ذلك حانت منها التفاتة الى يده : كانت ممسكة ببرقية . . ولمعت عينا مارى بسرعة ، ووجدت نفسها بين ذراعى

ابراهام وهو يقول لها : **«لقدتم ترشيحنا لرئاسة الجمهورية يا مارى .. وقد وصلتنى هـذه البرقية فقلت لنفسى ان فى الشارع الثامن سيدة ضئيلة الجسم تهمها هذه الرسالة .. لذا أقبلت على التو من أجلك ! »**

ولم تستطع مارى أن تسمع أصوات اطلاق المدافع والأجراس والتهليل ، بسبب دقات قلبهـا القوية .. واحتضنها ابراهام بقوة وضمها الى صدره ، ثم أطبق شفتاه على شفتيها .. وعندئذ استعادت تاريخ أول قبلة منـذ عشرين عاما .. عنـدما وقعت فى شرك الرجل الذى كانت النساء يعتبرنه فى ذيل قائمة الرجال !

سيدة البيت الأبيض !

وتوافد المهنئون على دار لنكولن بعد ظهر ذلك اليوم .. وأحضر له البعض سلة غاصـة بزجاجات الشـمبانيا .. وقال له قاضى بنسـلفانيا ـ وكان معروفا بطول قامتـه : **« يسرنى اننا رشحنا لرئاسة الجمهورية رجلا علينا أن نرفع رؤوسنا عند النظر اليه ! »**

وظهرت نتيجة الانتخابات .. وفاز لنكولن .. وبقى يوم ٤ مارس وهو يوم البيعة .. وعند ذلك تسللت الشائعات ، وارجف المرجفون ، ظانين أن لنكولن لن تتم مبايعته ، بل سيقتل قبل أن يغادر (سبرنجفيلد) الى (واشنطن) !

وبلغت الشائعات مارى فلم تأبه بها . ووقفت بشـجاعة تجلو زيفها .. لكنها اضـطرت ـ تحت ضـغط الحـاح الاصدقاء ـ الى التخلف فى سبرنجفيلد حتى ينجح زوجها ،

وحتى لا يلحق بها خطر ..

وقبل أن يتحرك القطار مقلا الرئيس المرتقب ، وقف هو ، ورفع قبعته ، وخطب فى الجموع المحتشدة لتوديعه فى سبرنجفيلد : « لا يمكن لأى شخص فى غير موقفى أن يقدر الألم الذى أشعر به لفراقكم : اننى مدين لهذه البقعة بكل شىء ، مدين للعطف الذى أسبغتموه على .. **لقد عشت هنا ربع قرن مارا بمرحلة الشباب الى مرحلة الكهولة .. هنا ولد أطفالى الذين واريت الثرى احدهم ، وها أنا أرحل — ولست أدرى ان كنت سأعود أم لا — وأنا أحمل على كاهلى مسئولية أعظم من تلك التى حملها « جورج واشنطن » .** لكننى أثق بالكائن الأزلى الذى يستطيع أن يعضدنى ويقف فى صفى على الدوام . فلنثق — حيثما كنا — بأن كل الأشياء تعمل معا للخير .. ها أنا أستودعكم عناية الله .. وأخيرا أودعكم وداع المحبة »

وتحرك القطار ، والهتافات تتصاعد ، والمناديل تخفق .. بينما الدموع قد أغرورقت بها العيون .

.. وفى (واشنطن) تمت البيعة ، ووقف ابراهام يردد القسم ، وهو يضع يسراه على الكتاب المقدس ، بينما يمناه ممتدة نحو السماء . وراح قاضى القضاة ينطق بالقسم ولنكولن يردد :

« أقسم أنا ابراهام لنكولن بأن أنفذ قوانين الولايات المتحدة بكل أمانة ، وأن أعمل كل مافى وسعى لصيانة دستور البلاد وحمايته . »

وأصبحت مارى « سيدة البيت الأبيض » .. بجدارة .

نشوب الحرب الاهلية ..

لكن الرياح كثيرا ما تأتى بما لا تشتهى السفن .. اذ لاحت فى الأفق بوادر عواصف وأزمات .. فقد اشتد النزاع بين الولايات الجنوبية ، وعددها ست، وبين الولايات الشمالية وعددها اثنتا عشرة . واضطر ابراهام الى اخلاء قلعة « سومتر » ارضاء للجنوبيين وابقاء على الاتحاد . لكن الثوار الجنوبيين هاجموا القلعة التى رفض قائدها التسليم ، وعندئذ اشتعلت الحرب . وانتاب الجزع مارى ، لكن لنكولن اجابها قائلا : **« سأتولى أمر هذا النزاع بنفسى الى أن أنجح ، أو أموت ، أو أهزم ، أو تنتهى مدة رئاستى ، أو تنبذنى أمتى والكونجرس ! »**

.. وتحرجت الحالة عندما حاصرت قوات الجنوب مدينة واشنطن ، لكن الحصار ما لبث أن انفك بوصول نجدات من الشمال ..

وتحمل الرئيس الجديد النقد الذى وجه اليه ، وشاركته مارى فيما وجه اليها ، أيضا ، من نقد لتصرفاتها .. لكنها تمسكت بالشجاعة واستطاعت أن تكتسب عطف الكثيرين وثناءهم، بمن فى ذلك الضيوف الاجانب كالامير لويس نابليون الذى زار أمريكا فى ذلك الوقت ، ولقى حفاوة بالغة من سيدة البيت الأبيض .

وحاول ابراهام ، من جانبه ، أن يجنب الشعب ويلات الحرب وسفك الدماء ، بل انه ضحى بابطال تجارة الرقيق فى سبيل المحافظة على وحدة الصفوف واتحاد الولايات التى

انقسمت فيما بينها ازاء هذه المشكلة .. وكم كان ابراهام يود لو أن الناس سعوا الى الصفاء والسلام ، وعالجوا الامور بتساهل وحب ، كما كان يفعل أطفاله حين يختلفون فيما بينهم ..

وما أمر المحنة التى اجتازتها مارى فى تلك الظروف ، حين انهال عليها النقد والتقريع من الصحافة .. وما أشد أسفها حين عرضت الصحافة بنشأتها فى الجنوب وتعصبها لأهله .. **حتى لقد طالبوا بشنقها أو طردها من البيت الأبيض !**

بل ان الاقدار قامت أيضا بدور عدائى ازاء الزوجين ، اذ اختطف الموت ولدهما ((وليم)) اثر اصابته ببرد شديد لم يقو على احتماله .. ولئن كان ابراهام قد استطاع أن يتغلب على أحزانه ، الا أن مارى لم تستطع التغلب على مصيبتها الأخيرة ، التى خلفت الحزن فى قلبها والمرض فى جسدها .. الى أن كان يوم فقدت فيه أخاها شهيدا فى القتال الذى اشتد عقب وفاة ابنها .. وعبثا حاولت أن تعيد الطمأنينة الى قلبها . فقد حاولت أن تستعين بتحضير الأرواح فى الاتصال بوليم ، دون جدوى . ووقف زوجها فى وجه هذه الخرافات ، ونهاها عن تصديقها ، قائلا لها : ((**أترين مصحة الأمراض العقلية الرابضة على قمة التل ؟ .. ان العدد الأكبر من ضحاياها هم أولئك الذين لم يتمكنوا من ضبط مشاعرهم !**)) .. وحاول أن يصطحبها الى مستشفى الجيش ، وهناك شاهدت ضحايا القتال ، وقد شوهت

الشظايا أجسادهم، فتأثرت غاية التأثر ، وغادرت المستشفى والدموع تنهمر من عينيها ..

وقالت له ، وهما يستقلان العربة : **« ما أشد خجلى من تلك الدموع التى ذرفتها على خسارتى الشخصية .. كان يجب أن أذرفها على هؤلاء الشبان الذين يحتضرون ، وعلى أمهاتهم اللواتى لا يستطعن البقاء الى جوارهم ليخففن عنهم ويهتممن بهم ! »**

وكانت من نتيجة عمله هذا ، أن وجدت مارى نفسها مشدودة الى هؤلاء المساكين ، فراحت تزورهم وتشجعهم وتغمرهم بهداياها ومعوناتها المالية التى ادخرتها من مالها الخاص .. ووجدت فيهم عوضا عن فقدها لأولادها وأخيها .

أعظم قرار أصدره لنكولن الانسان !

ما أن أصبح الخطر يهدد العاصمة بعد تقدم جيش الجنوب ، حتى قطع ابراهام عهداً باصدار قرار ينص على تحرير جميع العبيد ، فيما لو تراجع جيش الجنوب عن بنسلفانيا .. وشاءت الأقدار أن يتم هذا ، ولكن بعد قتال عنيف راح ضحيته ألفان من جنود الطرفين المتخاصمين ..

وتناولت الصحف قرار ابراهام بالتأييد والتزكية ، وعلقت عليه بقولها : **« لقد صدق الرئيس على أعظم قرار أصدره انسان على هذه الأرض ! »**

كما بعث النبأ فى أهل الشمال حماسا شديدا .. وطفت الفرحة به على أسي ماري الذي تجدد هذه المرة عندما

جاءتها الأنباء تحمل مصرع أخيها « دافيد » فى القتال ..

.. غير أن القتال بلغ أشده عندما التحم الجيشان فى المعركة الفاصلة ، التى تحولت الى مجزرة قتل فيها مايربو على اثنى عشر ألفا من الفريقين ، مما اضطر الحكومة الى تحويل الكنائس الى مستشفيات لاستقبال الجرحى والضحايا ..

ولم يكن ابراهام فى ذلك الوقت فى حالة طيبة ، اذ سيطر عليه الجزع والقلق ، وخلفا به حالة عصبية أشبه بالهستيريا .. وكادت حالة الهستيريا هذه أن تعصف بماري أيضا ، وخاصة عندما أتاها نبأ مقتل أخيها ((اسكندر)) فى الحرب ، وكانت قد حملته على ذراعيها ، وهو بعد طفل ، قبل أن تغادر لكسنجتون الى سبرنجفيلد ..

ونجح ابراهام فى اقناعها ، وسط هذا الجو الملبد بالغيوم ، بأن تمضى بعض الوقت فى رحلة خلوية بعيدة عن واشنطن ..

لكنه انقطع عن امدادها بالأخبار فترة ، الى أن جاء يوم وصلتها منه برقية تقول أن القتال الأخير لم يكن فى صالحهم ، وأن زوج شقيقتها الصغيرة قد قتل .. وعندئذ لم تتمالك نفسها فصرخت فى أسى : ((ترى كم سأفقد من أفراد أسرتى ؟ !)) .. وكانت العربة فى انتظارها فى تلك اللحظة ، لتقلها الى الزوج الحائر الشجاع ..

وفى واشنطن ، مرة أخرى ، طلب من ابراهام ــ عند تدشين مقبرة جديدة للقتلى ــ أن يخطب فى الحاضرين عن سبب نشوب الحرب .. فقال فى خطبته : « لقد جاء

أسلافنا الى هذه القارة منذ سبعة وثمانين عاما ، وكونوا أمة جديدة تتمتع بالحرية ، مكرسين أنفسهم للمبدأ الذى ينص على أن « جميع البشر قد خلقوا متساوين » .. وها نحن نخوض غمار حرب أهلية لكى نختبر مدى سير هذه الأمة بموجب المبدأ الذى كرست نفسها من اجله ! »

وكان عليه أن يخوض المعركة الانتخابية مرة أخرى ، لانتهاء مدة رئاسته .. لكن الظروف خدمته ، هذه المرة أيضا ، ففاز بالرئاسة فى الوقت الذى بدأت فيه كفة الشمال فى الرجحان .. وأطلقت المدافع فى واشنطن ، بعد أسابيع ، احتفالا بصدور قرار الغاء تجارة الرقيق فى ماريلاند وأركنساس ولويزيانا ، بصفة نهائية .. ومر جمع كبير أمام البيت الأبيض لشكر الرئيس الذى وقف بجوار مارى فى الشرفة ، وهو يلوح واياها للشعب .. ثم التفت اليها قائلا : **« لقد تمخضت مدة رئاستى عن أعظم حدث فى تاريخ القرن التاسع عشر ! »**

وتمت البيعة الثانية بنفس النجاح والتوفيق الذى تمت بهما البيعة الأولى .. وخطب لنكولن فى ذلك اليوم وهو يمد ذراعيه كما لو كان يود أن يحتضن الجمع الغفير الذى مثل أمامه .. قال : « علينا أن نناضل من أجل انجاز ذلك العمل العظيم الذى شرعنا فى تنفيذه ، وقد خلت قلوبنا من الحقد ، وامتلأت بالعطف على الجميع .. نناضل ونحن ثابتون فى الحق . ولنضمد جراح الأمة ونعتنى بأولئك الذين خاضوا غمار القتال .. كما أن علينا أن نعتنى بأراملهم وأيتامهم ..

ولنعمل على دعم العدل والسلام الدائمين فيما بيننا .. وكذلك فيما بيننا وبين الدول الأخرى ! »

ووضعت الحرب الأهلية أوزارها فى النهاية .. وصفا الجو ، وعادت اليه نضارته .

.. وأخيرا توقف القلب الكبير !

وخصص ابراهام يوم ١٤ ابريل عام ١٨٦٥ ليكون عيدا للشكر ، فعم الفرح انحاء الشمال .. أما فى واشنطن فقد تحولت المدينة بأسرها الى مهرجان كبير تصدح فيه الموسيقى وتتلألأ فيه الأضواء ..

وفى مساء ذلك اليوم اتفق ابراهام ومارى على أن يذهبا الى مسرح ((فورد)) ..

وفيما كانت متكئة على ذراعه ، وهو ينظر اليها وعلى وجهه ابتسامة الحب والاخلاص ، اذ بها تسمع ، فجأة ، صرخة تنبعث من الخلف .. فقفزت من مكانها .. واذا بالدخان يملأ مقصورتهما .. والتفتت الى ابراهام، فهالها ماكان عليه .. وتجمدت الدماء فى عروقها وهى تتأمل مظهره : كان مغمض العينين ، ورأسه مائل الى الوراء ، وابتسامته ميتة على شفتيه !

وعندئذ انطلقت منها صرخة مليئة بالهلع والخوف !

.. وكان الجانى شخصا غريبا لم تتبين مارى ملامحه .. وجىء بالطبيب ، فقرر أن الرئيس مصاب بجلطة دموية على الكتف بسبب جرح عميق .. لكنه استدرك فقال :

« يؤسفنى أن أقول ان الرئيس قد أصابته أيضا رصاصة خلف رأسه »

وحملوا ابراهام الى منزل مجاور حيث أرقدوه على سرير .. وهو واقع تحت تأثير غيبوبة جعلت شفتيه تصدران أنات خافتة ، والدماء تسيل على وسادته ..

ورغم أن الأطباء نجحوا فى اخراج الرصاصة من جسمه ، فان حالته ساءت بعد ذلك ، فتورمت عينه اليسرى ، وبدأ تنفسه فى الاضطراب .. مما أفزع مارى ، وشل حركتها ، حتى تلاشى العالم من ذاكرتها ، ولم تعد تميز أو تعى شيئا .

وأقبل الصباح ، وكان أغبر قاتما ، واذا بولدها روبرت يمسك بيدها ويقودها الى حيث والده .. وما أن خطت داخل الغرفة ، حتى أدار الرجال وجوههم ، وتسللوا الى الخارج ..

لقد مات ابراهام ! وتوقف القلب الكبير عن النبض ! .. وعندئذ ألقت بنفسها على صدره ، وانهالت على فمه تقبله وهى تقول صارخة : « يا الهى .. لقد فرطت فى زوجى ، ودفعته بيدى الى هذا الطريق ، ليلقى مصرعه ! »

ونقل الجثمان الى البيت الأبيض .. حيث انزوت مارى فى غرفة صغيرة للضيوف .. وبجوارها ولدها « تدى » .. وتساءلت فى الصباح التالى بصوت عال : **« كيف تشرق الشمس وقد مات ابراهام ؟ ! »**

وعندئذ أجابها تدى قائلا : « ان هذا لدليل على أن أبى

سعيد فى السماء يا أماه .. **انه لم يسعد قط منذ أن حل هنا .. ولم يكن هذا المكان يصلح له ! »**

.. ثم جثا تدى على ركبتيه بجوار جثة والده وقد ارتسم الألم والأسى على وجهه ..

الحب أبدى .. لا يموت !

ودفن الرئيس الراحل .. وكان موكب الجنازة مهيبا ، بينما كانت أجراس الكنائس تدق ، والموسيقى تعزف اللحن الجنائزى ، والجيش يسير بخطوات بطيئة خلف النعش الذى لفه العلم واشتركت فى جر عربته ستة خيول .

.. وأخيرا تلقت مارى رسالة بانتهاء مدة ضيافتها فى البيت الأبيض .. فأخذت تحزم متاعها ، تاركة وراءها ذكريات ، بعضها حلو والآخر مر .. واستقلت القطار الى شيكاغو بعد أن ألقت نظرة أخيرة على غرفة نوم ابراهام ومكتبه .. كانت مارى فى حالة يرثى لها ! .. كل ما كانت تذكره ، وهى تستقل القطار ، أنها كانت زوجة وأما ، أقامت مع ابراهام طوال هذا التاريخ ، بدافع من كلماته لها : **« ان الحب أبدى لا يموت ! »**

نعم .. كان حبها أبديا ، رغم كل ما واجهه من صعاب !



تلخيص : حلمى مراد

بلغت العاصـفة ذروتها فى المساء ، وبدت سـيول المطر المنهمر ، مع هزيم الرعد ، ووميض البرق، وكأنهـا معـركة رهيبة قامت فى أعالى السماء ! .. وكانت السحب السوداء تزحف على صفحة الفضاء ، كأنها أعلام الفناء ، وأشـجار الحدائق التى تحف بضفتى النهر تتمـاوج وتتمايل ، من جانب الى جانب ، وهى تئن وتتأوه .. وفى غرفة مقفلة بأحد البيوت المشرفة على النهر فى بلدة (شاندر ناجور) ، جلس رجل وزوجته على حشية وضعت على الارض، والى جوارهما مصباح من الخزف يرسل ضوءه الهزيل . وأخذا يتناقشان فى اهتمام . قال الزوج « شارات » : « بودى لو تبقين هنا أياما أخرى ، اذن لاستردت صحتك وعدت الى بيتنا قوية كما كنت » .. فقالت زوجته « كيران » : « انى بخير ، ولن يضرنى البتة أن أعود الى بلدتنا الآن » . **وكل رجل متزوج يستطيع أن يدرك أن المناقشة لم تكن قصيرة الى هذا الحد !** .. وهذا ما حدث بالفعل ، فرغم أن المشكلة لم تكن معقدة ، فقد كثر الاخذ والرد بين الزوجين ، دون أن يقتربا بها من الحل المنشود .. وظلت المناقشة تدور وتدور حول نفسها ، كقارب بلا دفة تتنازعه الامواج والرياح ، حتى أوشـكت أن تغرقهما فى فيضان من الدموع !

كان شارات يقول : « ان الطبيب يرى أن صحتك تقتضى بقاءك هنـا أياما أخرى » .. فتجيبـه كيران : « ان طبيبك

يدعى العلم بكل شىء ! » .. فيعاود الزوج الالحاح : « ولكنك تعلمين ـ بغض النظر عن قوله ـ أن شتى صنوف الامراض والاوبئة تنتشر هناك الآن ، فمن الخير أن تطيلى بقاءك هنا شهرا أو شهرين .. » .. فتجيبه الزوجة متسائلة فى اصرار : « وهل لا توجد هنا الآن أمراض وأوبئة ؟ »

وكانت « كيران » محبوبة عند أهلها وجيرانها الى حد كبير ، وقد أقلقهم جميعا مرضها الخطير ، على أن أغبياء القرية الكثيرين رأوا أن من العار على زوجها أن يقيم الدنيا ويقعدها لاجل ذلك ، وأن يفكر فى نقل زوجته من القرية طلبا لتغيير الهواء ، **وراحوا يتساءلون فيما بينهم : « أتراه يحسب أن امرأة غيرها لم تمرض من قبل ؟ أم تراه يحسب أن سكان البلدة التى يزمع الانتقال اليها من الخالدين الذين لا يموتون ! ؟ »** .. ومهما يكن من شىء ، فان شارات وأمه أعارا هذه الاقاويل آذانا صماء ، ورأيا أن حياة عزيزتهما المريضة أهم من الاقاويل . وهكذا سافر شارات و كيران الى (شاندر ناجور) ، وهناك شفيت الزوجة من مرضها ، وان ظلت ضعيفة خائرة القوى ، شاحبة الوجه الى درجة تستثير الاشفاق . وكانت « كيران » شغوفة بالمجتمعات وما فيها من ضروب التسلية ، فضاق صدرها بالوحدة التى تعيش فيها فى منزلها المشرف على النهر ، حيث لا شىء يشغلها ، ولا جيران ممن ألفتهم .. لاشىء سوى مواعيد الدواء وألوان الطعام !.. ومن هنا كان نقاشها مع زوجها فى غرفتهما المقفلة فى تلك الليلة العاصفة . وكانت

كفتاهما تتعادلان فى النقاش حين تمضى كيران فى الجدل .. أما حين كانت تحجم عن الرد ، وتدير رأسها فى اكتئاب الى الناحية الاخرى ، فان المسكين كان يوشك أن يسلم سلاحه، بلا قيد ولا شرط ! .. وقد كان هذا شأنه ، حين طرق البابَ خادم ، يحمل رسالة !

نهض شارات، وفتح الباب ، فاذا الخادم ينبئه بأن قاربا قد انقلب بركابه فى النهر أثناء العاصفة ، وأن فتى براهميا منهم أفلح فى الوصول الى الشاطىء ، واللجوء الى حديقتهم .. وما كادت كيران تسمع بالنبأ ، حتى تحاملت على نفسها ونهضت لتحضر للغلام اللاجىء ثيابا جافة .. ثم أعدت له قدح لبن ساخن ، ودعته الى غرفتها ..

***

كان الغلام ذا شعر طويل مجعد ، وعينين كبيرتين معبرتين ، فسقته كيران قدح اللبن ، ثم شرعت تسأله عن شأنه ، فذكر لها أن اسمه «نيلكانتا» ، وانه من أفراد فرقة مسرحية جائلة كانت قادمة للتمثيل فى مكان قريب ، فانكفأ القارب بأفرادها فجأة ، متأثرا بشدة العاصفة ، واستغل هو براعته فى السباحة فنجا بنفسه ، أما بقية زملائه فلا يدرى عن مصيرهم شيئا ! ..

وأثارت نجاة الغلام من موت محقق رهيب عطف كيران عليه ، فرحبت ببقائه عدة أيام ، **ورحب زوجها بالغلام الذى ظهر فى الوقت المناسب كى يؤنس وحدة كيران ويشغلها عن فكرة العودة الي القرية** ، كما شملته حماتها برعاتها

وعطفها . أما « نيلكانتا » نفسه فقد فرح بالخلاص المزدوج — من سطوة رئيسه فى الفرقة المسرحية ، ومن العالم الآخر ! — كما فرح بهذا المأوى المريح الذى وجده فى كنف الاسرة الفنية .

***

ولم تمض فترة قصيرة حتى تبدل شعور شارات وأمه نحو الغلام ، وتاقا الى الخلاص منه ! .. فقد كان نيلكانتا يجد لذة خفية فى تدخين « جوزة » شارات ، وأخذ يتسلل الى الخارج فى هدوء برغم المطر المنهمر ، كى يقوم بجولة فى القرية ، محتميا بمظلة مضيفه الحريرية الثمينة ! .. ثم اصطفى لنفسه كلبا ضخما من كلاب القرية ودلله الى حد جعله يقتحم حجرات المنزل بأرجله المحملة بالوحل ، ويترك طابع زيارته على الفراش الناصع النظيف !

وأخيرا جمع نيلكانتا حوله عصبة من صبية الحى وراحوا يعيثون فى الحديقة فسادا ، فكانت النتيجة أن ثمرة واحدة من ثمار المانجو لم تنضج على شجرتها فى تلك السنة !

ولم يكن شك فى أن كيران كانت لها يد فى تدليل الغلام وافساده .. وقد حذرها شارات مرارا من ذلك ، لكنها لم تصغ لتحذيره ، فصارت تلبس نيلكانتا ثياب زوجها القديمة ، بل كانت تصنع له أحيانا ثيابا جديدة أنيقة !. وكانت تلبى ميلها الى الغلام وفضولها الى معرفة كل ما خفى من أطواره بأن تدعوه الى غرفتها كل حين ، بعد أن تستحم وتتناول غداءها ، فتجلس على الفراش وتسلم شعرها الى الخادمة تجففه

وتصففه، بينما يقف نيلكانتا أمامها يتلو مقطوعات من أدواره التمثيليـة المحفوظة ، مصحوبة بالحركات والاغانى التى تلائمها ، فتهتز خصـلات شعره وتتمـاوج مع حركاته .. وهـكذا كانت سـاعات الامسـية الطويلة تنقضى فى مرح وحبور ..

وكانت كيران تحاول أحيـانا اقناع زوجها بمشـاركتها الاسـتماع الى تمثيليات الغلام وأغانيه ، ولكن كراهيتـه للغلام كانت تغريه بالرفض فى أكثر الاحيان . والواقع أن حضـوره كان يفقد نيلكانتا غيرقليل من جرأته ، فلم يكن يجيد أداء أدواره نصـف اجادته لها فى غيبتـه ! .. أما أم شارات فكانت تلبى الدعوة أحيانا ، راجية أن تسمع بعض الاسماء المقدسـة فى مقطوعات الغلام ، لكن شـغفها بنوم القيلولة كان لا يلبث أن يستأثر بها ، فتغيب فى أحلامها .. !

وكم من مرة جذب فيها « شارات » أذنى الغلام بشدة ، تأديبا له أو تأنيبا ، لكن ذلك لم يكن شـيئا بالقيـاس الى ما اعتاده نيلكانتا من مدير الفرقة الجائلة ، ومن هنا لم يفلح هذا العقاب فى زجره ! .. وكانت تجاربه المحدودة قد دلته على أن حياة المرء مثل الكرة الارضية التى تنقسم الى قليل من اليابسة وكثير من الماء ، وكان الطعام عنده يعنى اليابسة فى حياته ، بينما كان الضرب أو التأنيب يعنى الماء !

وكان من الصعب تحديد سن نيلكانتا . لو قلت انه فى الرابعة عشرة لكان وجهه ينبىء بأكثر من سنه ، ولو قلت انه فى السابعة عشرة لـكان الامر على العكس . فهو أما رجل

نضج قبل الاوان ، أو صبى تأخر نضجه عن الاوان.. جسمه وذقنه الملساء يوحيان بصغر سنه ، بينما لفته وادمانه التدخين وتغضن شفتيه توحى بكبر سنه ! .. البراءة والشباب يسطعان من عينيه الكبيرتين ، ويفيضان من قلبه البكر ، **لكن العمل من أجل الرزق فى سن الصبا قد أنضج مظهره قبل موعده !**

على أن الطبيعة لم تلبث أن وجدت فى مأوى « شارات » الهادىء وحديقته الفسيحة جوا مناسبا لاتمام عملها دون عائق ، فانتقل الغلام فى صمت وهدوء من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة ، فوضحت أعوامه السبعة عشر أو الثمانية عشر . **وبدا ذلك أول ما بدا فى أنه صار يخجل حين تعامله كيران معاملة الصبيان** . وحين اقترحت عليه ذات يوم وهى تضحك أن يمثل دور امرأة ، ساءه ذلك وآلمه ، ولكنه لم يجاهر بسبب استيائه وألمه ، واكتفى بالاختفاء من وجه كيران كلما همت بدعوته الى القاء مقطوعاته القديمة ، فلم تكن تعثر له على أثر !

***

واستقر عزم الفتى أخيرا ـ بعد أن طال به المقام ـ على أن يتلقى قسطا من التعليم على وكيل أعمال « شارات » ، لكن الوكيل لم يكد يعلم أن الفتى هو مدلل زوجة مخدومه ، حتى نفض يده من المسألة ، وآثر أن ينجو بنفسه من الحرج! .. كما أن الفتى ذاته عجز عن تركيز ذهنه فى الدرس والتحصيل . كانت الحروف الابجدية تتراقص أمام عينيه

كالضباب ، فكان يجلس ساعات والكتاب مفتوح فوق فخذيه، مستندا بظهره الى جذع شجرة فى الحديقة الساكنة ، والامواج تتنهد تحت قدميه ، والقوارب تتهادى على صفحة النهر أمامه ، والعصافير والطيور تزقزق فوق رأسه بلا انقطاع ..

ترى أية أفكار كانت تطوف برأسه وهو يرمى ببصره الى الكتاب فى تلك الساعات ؟ .. انه وحده الذى يعلم ذلك – ان كان يعلم شيئا – فالواقع أنه لم يكن ينتقل من كلمة الى أخرى ، **ولكن شعوره بأنه يقرأ كتابا ، كان يملأ أعطافه بالبهجة والجذل** . وكان كلما مر قارب رفع كتابه الى مستوى بصره وراح يتظاهر بأنه يقرأ جادا ، بأعلى صوته ، حتى يبتعد « النظارة » ، فتنطفىء حماسته بالتدريج !

لقد كان فيما مضى يغنى مقطوعاته التمثيلية بطريقة آلية، أما الآن فان أنغامها ترن فى وعيه ، فيحس – كلما فهم معانيها – كأنه ينتقل الى عالم آخر ، وقوم آخرين ! .. وهذه الارض التى ألفها ، والحياة المتواضعة التى يحياها ، صارت تستحيل حينذاك الى موسيقى وأنغام .. بل انه هو نفسه صار يستحيل الى انسان آخر ، تتراءى فى مرآة ذهنه القصص الخرافية القديمة فى صورة جدية ، حافلة بألوان الجمال الخارق الفتان .

كان يستعيد فى خياله – كالحلم – قصة الطفل الفقير القذر الجائع ، الذى أوى مع المساء الى بيته الحقير ، بعد أن سمع بما يروى عن الامير والاميرة والذهب الاصفر الرنان،

فينطلق عقله من قيود الواقع المرير ، من قيود الفقر والبؤس والحجرة الحقيرة التى تضيئها شمعة ضئيلة .. ويروح يحلق فى آفاق تلك الارض السحرية الجميلة التى يعيش فيها الامير والاميرة !

.. لكن عبث «نيلكانتا» وأقرانه بحديقة المانجو المجاورة فى أوقات لهوهم ، لم ينقطع ، ولما شكا صاحبها ذلك الى « شارات » ، عاد هذا ثائرا وجذب أذنى نيلكانتا بشدة ، وزجره زجرا عنيفا .. ورغم ذلك ، توالى العبث ، وتوالت الاعتداءات !

***

وذات يوم ، حل بالبيت « ساتيش » ، الشقيق الاصغر لشارات . وقد جاء ليقضى عطلته الجامعية السنوية ، فابتهجت كيران لقدوم هذا الرفيق الجديد ، ليؤنس وحشتها .. وكانا فى سن متقاربة ، فصارا يقضيان أيامهما فى اللهو ، واللعب ، والمشاحنة ، والصلح ، والضحك .. وفى الدموع أحيانا !

.. كانت تفاجئه من الخلف ، فتطوق عينيه براحتيها الملطختين بالفحم ، وتكتب على ظهره كلمة « قرد » ! .. أو تغلق الباب عليه من الخارج لتمنعه من مبارحة البيت ، فيشفى غليله بالضحك ! .. ولم يكن ساتيش بدوره يغفل فرصة رد الصاع لها صاعين ، فكان يدس لها الفلفل فى الحلوى .. أو يخفى مفاتيحها وحليها .. أو يقيدها الى الفراش ، حين تكون غافلة !

والله وحده يعلم ما أصاب نيلكانتا المسكين خلال تلك

الايام ، فقد تملكه فجأة شعور بالمرارة الموجعة جعله يتوق الى أن يصب غضبه وانتقامه على انســان ما ، أو شيء ما ، فصار يوبخ اتباعه المخلصين من أفراد «العصابة» دون ذنب جنوه ، وكثيرا ما ردهم الى بيوتهم باكين ! وصار يركل كلبه المدلل حتى يملأ أنينه وصياحه الفضاء !

وحينما يخرج للتريض كان يضرب بعصــاه الاغصــان ، فترسم أوراقها المتساقطة طريقه من الجانبين ! .. وأكثر من هذا أنه كان ــ قبل حضور « ساتيش » ــ أكولا ، قادرا على هضم كل ما يقدم له ، لا يكاد يرفض طعاما جيدا مهما يكن مقداره ضــخما .. فكان يلذ لــكيران أن تدعوه لتنعم بمشاهدته وهو يلتهم طعامه فى حضرتها ، فى نهم ملحوظ .. فلما جاء ساتيش ، لم يبق لها وقت فراغ تضيعه فى ممارسة هوايتها هذه ، الا فيما ندر !

وكان غيابها فيما مضى لا يؤثر فى شهيته للطعام. أما الآن، فقد صار لا يكاد يشتهى الطعام ، وكثيرا ما نهض عنه دون أن يقربه ، قائلا للخادمة فى صوت كسير : « لست جوعان ! »

وقد كان يأمل أن تصل أنباء عزوفه عن الطعام الى سمع كيران ، **فترسل فى طلبه ، وتلح عليه فى أن يأكل ! .. لــكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فلم تعرف كيران بأمر ما طرأ عليه .. ولم ترسل فى طلبه !** .. بل صــارت الخــادمة تتولى الاجهاز على الطعام الذى يتركه ! .. فأمسى ــ حين تخذله أعصابه ــ يأوى الى غرفته ، فيطفىء المصباح ، ثم ينكفىء على فراشه فى الظلام ويدفن وجهه فى الوسادة .. ليبللها

بدمعه ! .. وأخيرا ، حين لا يقتحم عليه خلوته غير النعاس ، كان القلب الجريح للفتى اليتيم يستسلم لاجنحة النوم الناعمة الرحيمة !

وانتهى نيلكانتا الى الاقتناع الجازم بأن ساتيش لا بد قد سمم أفكار كيران ضده . فكان اذا شرد ذهنها ولم تقابله بابتسامتها المعهودة ، يفسر ذلك بأن ساتيش قد دس له عندها ! .. وعلى هذا ، جعل يصلى للآله ، بكل حرارة حقده المشتعل ، كى يجعل روحه تتقمص — فى الولادة القادمة — جسم ساتيش ، ويجعل روح ساتيش تتقمص جسمه هو ، وتقاسى عذابه . وكان موقنا من أن صلاته لن تذهب هباء ..

لكنه كلما حاول أن يحرق ساتيش بنار دعواته ، كان هو نفسه الذى يحترق ، ولا سيما حين يسمع صدى ضحكات ساتيش ومزاحه مع زوجة شقيقه ، صادرا من الطابق العلوى !

غير أن نيلكانتا لم يجرؤ على المجاهرة بعدائه لساتيش ، وان عمد الى مائة حيلة وحيلة لمضايقته !.. كان ساتيش اذا ذهب ليسبح فى النهر ، وترك قطعة الصابون على الشاطئ ، يعود فيجدها قد اختفت ! .. ومرة رأى سترته المفضلة تسبح بعيدا فى الماء ، فحسب أن الهواء هو الذى ألقاها فى النهر !

وذات يوم ، أرادت كيران أن تسلى ساتيش ، فأرسلت تدعو نيلكانتا كى يمثل أمامه بعض مقطوعاته . لكن هذا وقف جامدا لا ينطق ، وقد بدا عليه الاكتئاب . فلما سألته كيران فى دهشة عما به ، أبى أن يخرج عن صمته !

.. حتى اذا ما ألحت عليه فى أن يلقى مقطوعة معينة كانت تفضلها ، أجاب فى صرامة : « لست أذكرها » .. وخرج من المكان !

***

وجاء أوان عودة أسرة شارات الى قريتها ، فانهمك الجميع فى اعداد معدات السفر ، وحزم الامتعة . وبدا أن ساتيش يعتزم السفر معها .

أما نيلكانتا فلم يحدثه أحد فى الامر بكلمة ! بل لم يبد أن أحدا فكر البتة فى مصيره !

لكن الواقع أنهم فكروا فى أمره فيما بينهم ، فعرضت كيران أن يأخذوه معهم . لكن زوجها وأمه وأخاه عارضوا فى ذلك بشدة ، فاضطرت كيران الى نبذ فكرتها .

وقبيل موعد رحيلهم بأيام ، أرسلت فى طلبه ، ونصحت له فى كلمات رقيقة بأن يعود الى بيت أهله ! .. **وكأن لهذه اللفتة الكريمة ، بعد الاهمال الطويل ، أثرها فى نفس الفتى ، فانخرط فى البكاء ، ولمعت الدموع فى عينى كيران ، فقد أدركها الندم** . لكن ساتيش تبرم ببكاء الفتى ونشيجه فقال لها : « لماذا يقف هذا الاحمق مولولا ، بدل أن يتكلم ؟ » فأنبته كيران على غلظته ، واتهمته بأنه مخلوق مجرد من الشعور . فكان جوابه أن قال : « انت لا تفهمين الامر على حقيقته ، وقد كنت طيبة وسخية بثقتك أكثر مما ينبغى ، اذ عاملت هذا الافاق الذى لا يعلم الا الله من أين جاء ، كما يعامل الملوك .. وطبيعى أن النمر لا يريد أن يعود

فأرا ، وهو لهذا يحاول تحريك قلبك و الانته بهذه الدموع ! » .. ولم يستطع نيلكانتا أن يحتمل هذا التقريع ، فترك الغرفة لا يلوى على شيء . **وكم تمنى فى هذه اللحظة لو كان سكينا ، تقطع أحشاء ساتيش وتمزقه .. أو ابرة تخز قلبه وتدميه ، أو نارا تحرقه وتحيله رمادا !**

.. لكن ساتيش لم يصب بخدش ، وانما قلب نيلكانتا المسكين هو الذى ظل ينزف بلا انقطاع !

وكان ساتيش قد أحضر معه من (كلكتا) محبرة فاخرة على شكل قارب مرصع ، تجره أوزة من الفضة . وكان شديد الاعتزاز بها ، ينظفها بنفسه كل يوم بعناية ، بمنديل حريرى ، فتضحك كيران وتضرب منقار الاوزة بأصبعها وهى تغنى . ثم تنشب بينهما المعركة الكلامية المألوفة !

فلما كان اليوم السابق ليوم رحيلهم ، اختفت المحبرة الثمينة فجأة ، وفشلت جميع الجهود التى بذلت فى العثور عليها . فابتسمت كيران وقالت لساتيش : « لابد أن أوزتك قد طارت ! » .. لكن ساتيش كان حانقا مغيظا ، موقنا من أن نيلكانتا قد سرق المحبرة المفقودة ، **سيما بعد أن شهد أكثر من شخص بأنهم رأوه يحوم حول الغرفة فى الليلة السابقة !**

ومن ثم أمر ساتيش باحضار « المتهم » أمامه ، وكانت كيران حاضرة ، ثم صرخ فى وجهه قائلا : « لقد سرقت محبرتى أيها اللص ، فأعدها الى فورا ! »

ورغم أن نيلكانتا طالما تلقى العقاب من « شارات » فى ارتياح تام ، حتي حين كان يعتقد أنه لا يستحق العقاب ،

فانه وجد نفسه لا يستطيع صبرا على اتهام ساتيش اياه فى حضرة كيران . وسرعان ما اتقدت عيناه بغضب وحشى ، وغص حلقه ، وتلاحقت أنفاسه . ولو أن ساتيش أضاف كلمة أخرى الى ذلك لوثب وانقض عليه كالقطة المتوحشة !

واستاءت كيران من هذا المشهد ، واكتأب قلبها ، فأخذت الفتى الى غرفة أخرى ، حيث قالت له بلهجتها الناعمة الرقيقة : «نيلو ، اذا كنت قد أخذت المحبرة ، فاعطنى اياها فى هدوء ، وأنا أعدك بأن أحدا لن يمسك بكلمة أخرى فى شأنها ! »

وغص الفتى فى حلقه ، وتدحرجت على خديه دمعتان غزيرتان .. وعبثا حاول مغالبة دموعه ، فاضطر الى اخفاء وجهه بيديه .. وانخرط فى البكاء !

وعادت كيران الى زوجها وشقيقه وأمهما ، قائلة : « أنا واثقة من أن نيلكانتا لم يأخذ المحبرة» .. لكن الرجلين أصرا على اتهامه . ثم اقترح شارات أن يستجوب الفتى ، لكن زوجته أبت بشدة . وعند هذا اقترح ساتيش بدوره تفتيش غرفة نيلكانتا وصندوق متاعه. فقالت كيران : « اذا جرؤت على أن تفعل ذلك فلن أغفر لك قط. انك لن تتجسس على الغلام البرىء الفقير ! » .. وكانت تتكلم والدموع تملأ عينيها الجميلتين ، فلم يسع شارات وساتيش الا السكوت !

ثم رأت أن تطيب خاطر الفتى المتهم « البرىء » ، فأعدت قميصين جديدين ، وزوجين من الاحذية ، ومضت بها فى هدوء الى غرفة نيلكانتا ، وفى يدها ورقة مالية كبيرة أيضا ، معتزمة

أن تضع كل هذه الهدايا فى صندوقه .. وكان الصندوق نفسه هدية من هداياها .

واختارت من حلقة مفاتيحها مفتاحا يصلح لفتح الصندوق ، ثم فتحته بغير ضجيج . كان مملوءا بالمتاع الى درجة لم يتسع معها للهدايا الجديدة ، فآثرت أن تفرغ محتويات الصندوق وتعيد ترتيبها من جديد . **وحين أوشكت أن تصل الى القاع ، اصطدمت يدها بشىء صلب .. واذا هى ترى أمامها .. المحبرة المفقودة !**

***

صعد الدم الى وجه كيران ، وجلست مذهولة ، والمحبرة فى يدها ، حائرة لا تدرى ماذا تصنع .. وظلت الافكار تختلط فى ذهنها المضطرب .

وفى تلك اللحظة ، كان نيلكانتا قد عاد من الخارج وصعد الى غرفته ، فما كاد يدخلها حتى رأى كيران منكبة على صندوقه ، وقد أخرجت منه المحبرة ! .. وتبادر الى ذهنه انها انما جاءت خلسة لتفتش الصندوق وتضبطه متلبسا بالجريمة .. وأدرك أن أمره قد افتضح ، ولم يدر كيف يقنعها بأنه ليس لصا ، وأنه لم يأخذ المحبرة الا رغبة فى الانتقام من صاحبها !.. وهتف به قلبه : « **أنا لست لصا . لست لصا** » . لكن ماذا يكون اذن ؟ .. وماذا يقول تبريرا لموقفه ؟ .. لقد سرق ، ومع ذلك فهو ليس لصا !

لكنه لم يستطع أبدا أن يوضح الامر لكيران ، ويقنعها بأنها أخطأت جد الخطأ حين حسبته لصا ! .. وفى هدوء ،

تسلل الفتى عائدا من حيث جاء ، دون أن تشعر كيران بحضوره أو انصرافه .

وأخيرا تنهدت كيران تنهدة عميقة وهى فى جلستها أمام الصندوق ، ثم أعادت المحبرة الى مكانها .. وكما لو كانت هى السارقة، غطتها بالثياب التى كانت تغطيها ، ثم وضعت فوقها الهدايا التى أحضرتها للفتى..وورقة النقود الكبيرة !

***

وفى اليوم التالى لم يعثر للغلام على أثر . وقرر أهل القرية انهم لم يروه . وعجز رجال الشرطة عن الاهتداء الى مقره ! .. واذ ذاك اقترح شارات أن يفتشوا صندوقه ، ليروا أهو مذنب أم برىء . لكن كيران رفضت الموافقة على ذلك ، فى اصرار وعناد ، ثم حملت الصندوق الى غرفتها ، حيث أخرجت منه المحبرة خلسة ، والقت بها فى النهر .. دون أن يشعر بذلك انسان !

وعادت الاسرة كلها الى مقرها ، فأقفرت الحديقة المهجورة ، ولم يبق من آثار ((نيلكانتا)) غير كلبه الأمين الجائع ، يذرع شاطىء النهر ، فى عواء محزن كئيب !


كتب جديدة
من الغرب والشرق
عرض لأحدث الكتب
أخبار الحركة الأدبية فى العالم

الكتب الافرنجية

رسالة باريس   يقدمها : الدكتور أنور لوقا

زولا ، أسطورة وحقيقة   ZOLA, LEGENDE ET VERITE

تأليف : هنرى جيمان   (Par Henri Guillemin)

نبدأ جولتنا فى مكتبات باريس هذا الشهر بهذا الكتاب الهام ، ومؤلفه باحث مدقق ، وناقد مجدد ، ومحاضر جذاب ، يعرفه أهل القاهرة لا من خلال كتبه الطريفة فحسب، بل منذ كان أستاذا بجامعتها لمادة الأدب الفرنسى . وقد اشتهر « هنرى جيمان » بهجماته التى توالت فى السنوات الاخيرة على أصحاب الاسماء الكبيرة فى تاريخ الأدب ، وتخصص فى تحطيم الأصنام ، بدراسات علمية شائقة تعتمد على مراجع مطوية لا يلتفت اليها فى العادة جمهرة الباحثين ، وعلى المخطوطات الاصلية ووثائق دور المحفوظات . وهكذا نبش ماضى بعض العمالقة ، من أمثال « **فيكتور هوجو** » و « **ألفريد دى فينيى** » ، وفضح كثيرا من نواحى الضعف والهوان لدى أولئك المنادين بالمثل العليا !

وهو اليوم يستخدم منهجه فى هدم أسطورة «**اميل زولا**» ، ورسم صورة جديدة لهذا الأديب الذى أسرف فى الواقعية، وأرهق أواخر القرن التاسع عشر بقصص المجتمع الفاسد ، والحياة الذميمة (راجع قصته « الوحل » فى « كتابى » عدد ٤٦) . و « جيمان » يعارض الرأى الشائع عن «زولا»، ونفور النقاد منه جيلا بعد جيل، ويدافع عنه دفاعا مجيدا . انه يعود الى آثاره الأدبية من ناحية ، ويراجع فى الوقت نفسه تطور حاله النفسية كما تسجلها الرسائل التى كتبها لأهله وأصدقائه أثناء انشاء تلك الآثار . ومن هذه المقارنات

المتصلة بين أحاديث « زولا » الشخصية والمعانى التى يعالجها فى قصصه داخل اطار فنى ، اتضحت للاستاذ الباحث وقائع وحقائق هى التى يعرضها علينا فى سياق ممتع .

ويتوقف « جيمان » مليا عند قصة مغمورة كتبها «زولا» فى شبابه عنوانها « اعتراف كلود » : فيبين كيف كان هذا الأديب ـ الذى مرغ النقد صيته فى الوحل ـ فتى كريما عفيفا رفيع الآمال ، تدفعه شهامته وهو فى العشرين من عمره الى أن يحاول انتشال امرأة ساقطة ، فيصطدم ـ رغم تضحياته ـ برفضها حياة الشرف وتشبثها بوهدة الرذيلة، وهنا يعير بطل قصته « كلود » هذه العبارة الرهيبة : « لقد قامت أمامى كل القذارة البشرية » . ولا يخبو نور الأمل فى صدر « زولا » بعد هذه التجربة المريرة ، ولكنه يحس ـ مع الحاح الفضيلة عليه ـ بالحاجة الى استكشاف أغوار « الواقع » ، ويقرر قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين « أن يعرف كل شىء : ليشفى كل شىء » !

وفى الكتاب فصل آخر عميق عن تطور مشاعر « زولا » وأفكاره ازاء الدين والايمان بالقيم الروحية . ومن المعروف أن « اميل زولا » قد هاجم فى كثير من مؤلفاته أوضاع الكنيسة الكاثوليكية التى نشأ فى رحابها ، فما أشد عجبنا عندما نتتبع ـ بفضل تدقيق « جيمان » ـ فقرات مؤثرة كتبها « زولا » فى حماس هذه المعارك ، وتشهد ألفاظها وحججها بأنها صادرة عن تلك المبادىء نفسها وقد تغلغلت فى روحه ، وعن تلك القيم الأبدية التى بات يفتقدها ايمان تخبط فى ظلمات الواقع .

انه كتاب خطير ، يصحح أخطاء خطيرة ، ولا غنى عنه لمن يعرض منذ اليوم لأدب هذا القصاص الشهير .

« للبيانو المنفرد »
تأليف : اندريه موروا

POUR PIANO SEUL
(Par André Maurois)

« اندريه موروا » علم من أعلام الادب الفرنسى منذ نصف قرن ، اجتذب برقة فنه ، ورشاقة أسلوبه ، واتساع آفاقه، الملايين من قراء مختلف اللغات . برع فى القصة الطويلة ، وأصدر سلسلة من سير مشاهير الأدب والتاريخ تجلت فيها غزارة ثقافتيه الفرنسية والانجليزية ـ وان كان يميل الى اصطناع التشويق الروائى فى الترجمة لأبطاله . (وقد قدم « كتابى » عدة أمثلة من أدب « موروا » ، راجع الأعداد من ٧ ـ ١٤

وكتاب « موروا » الجديد ليس رواية ، ولا هو ترجمة حياة فنان ، بل مجموعة من الأقاصيص الصغيرة ، حافلة بألوان المتعة والنقد الاجتماعى الخفيف . انها معرض صور منوعة . ولا يحتاج الى الاطناب هذا الأديب المرهف الذى اعتاد تحليل النفوس وفطن الى الكثير من خباياها ، وانما تكفيه بضع صفحات ليلج فى صميم مأساة انسانية ، أو ليكشف خطيئة أو وضعا من أوضاع النفاق ، دون أن تفارقه ابتسامة المتحدث اللبق الذكى .

ولنضرب مثلا واحدا : هاتان «تيريز» و «نادين» تتنازعان أوراق الرجل الذى توفى أخيرا ، وكان زوجا لهذه ثم تلك ، فقد طارت شهرته ، واهتم الجيل بنشر مؤلفاته ومذهبه الاصلاحى .. ثم يتلاشى خصامهما فجأة ، بل وتسكنان معا لتتعاونا فى تلفيق سيرته وزخرفتها ، عندما تلوح «هوليوود» بآلاف الدولارات لاخراج فيلم عن حياة الرجل العظيم !

وفى الكتاب خمسون قطعة فنية من هذا القبيل ، سريعة العرض ، رقيقة اللذع ، كل منها درس فى اتقان القصة القصيرة يحسن بأدبائنا الناشئين أن يتأملوه وأن ينتفعوا به .

الأرستقراطيون الجدد LES NOUVEAUX ARISTOCRATES

تأليف : ميشيل دى سان بيير (Par Michel de Saint Pierre)

وهذه قصة طويلة ، مؤلفها اسم لامع فى عالم الرواية ، وموضوعها ثورة الشباب المعاصر وحيرته . وما أكثر ماتحدث الكتاب عن انحراف الشباب ، وما أكثر ماتحدث الشباب عن انحرافهم – والعهد غير بعيد بقصص « فرانسواز ساجان » الاولى – غير أن « ميشيل دى سان بيير » لا يتخذ من هذه المادة القاتمة وسيلة لتلهية القراء ، ولا يتناولها تلبية لحب استطلاع خبيث ، بل يواجه مشكلة الجيل الناشىء واصطدامه بفساد الاوضاع التى خلفها له الجيل الذى سبقه .

وفى القصة بطلان : تلميذ فى السابعة عشرة من عمره يوشك أن يتم دراسته الثانوية ، ينحدر من عائلة غنية أدت الثروة فيها الى انحلال أخلاق الآباء واكتفائهم من الفضيلة بمظاهر كاذبة ، وتذفعه النقمة الى العبث مع رفاقه فى كهوف الحرام ، ولكن هذا العبث لا يشفيه ولا يعيد اليه التوازن الذى يلتمسه ، وانما هو اضطراب صبيانى لا يجد نحوه بعد أن تمادى فيه الا نفورا يعادل نفوره من نفاق أبيه . وأما البطل الثانى فهو أستاذ الفلسفة فى المدرسة ، رجل ناضج الفكر ، مرهف الضمير ، قوى العزيمة ، يريد أن يقود تلميذه هذا العنيد الى جادة الحياة . وفصول القصة هى فصول الصراع العنيف بينهما . وكلاهما نفس أبية ، ممتازة ، لا ترضيها الحلول السهلة ، ولا تتهرب من الحقائق . ومن هنا كان معنى « الارستقراطية » فى العنوان .

والمؤلف لا ينحاز لهذا البطل أو ذاك ، بل يعرض تلك الملحمة عرضا موضوعيا ، وان كان لايكتم رأيه ، وهو أن الشباب تعوزه تربية عامة جامعة ، تنبع من القيم الروحية

الحية، وتنمى صفاته الأخلاقية ، بدلا من هذا التعليم المفتت فى جزيئات مواد جافة متباينة ، تباين الجغرافيا والنحو والكيمياء والهندسة .. !

ولا شك فى أن جميع من احتكوا بشبابنا ومشكلاته فى مختلف مراحل التعليم يقدرون هذا الرأى حق قدره .

دستويفسكى DOSTOIEVSKY

تأليف : هنرى تروايا

(Par Henri Troyat)



المؤلف : هنرى تروايا

ضمت الأكاديمية الفرنسية « هنرى تروايا » فى العام الماضى الى أعضائها « الخالدين » . ولهذا الاديب الذى لم يتجاوز الخمسين من عمره آثار شامخة فى القصة الطويلة ، وما زالت أجزاء قصته الضخمة « البذار والحصاد » تطلع على القراء منذ سنة ١٩٥٣ . ولعله ورث طول النفس من عمالقة القصة الروسيين .

ذلك أنه روسى المنبت ، ولد فى موسكو ، وفارقها صبيا فى الثامنة من عمره عقب نشوب الثورة . وفى باريس ، أشرب الثقافة الفرنسية ، ونبغ فى الكتابة ، وأصبح خير من يتحدث عن الأدب الروسى . لقد نشر سنة ١٩٥٩ كتابا عن « الحياة اليومية فى روسيا فى عهد القياصرة الأخيرين » ، وله قبل ذلك كتاب عن « بوشكين » وآخر عن « دستويفسكى » .

وكتابه هذا عن « دستويفسكى » — الذى ظهر الآن فى طبعة جديدة مزيدة — لا يقتصر على سرد أحداث حياة هذا الأديب العظيم الذى تأثر به أكثر أدباء عالمنا الحديث ، بل يمزج بفصول حياته فصولا من قصصه ، وينتقل من شخصيته الى شخصيات ابطاله ، ويبين الصلة الوثيقة بين الفنان وعمله . وهكذا يتسع سطح الصورة المرسومة ، فتشمل — الى جانب ملامح فرد نميزه هو «دستويفسكى» — معالم بيئة عريضة ، وعصر بأكمله . انه مرجع خصب لمادة خصبة .

الأرض وجوع الناس

تأليف : ادوار بونفو

LA TERRE ET LA FAIM DES HOMMES
(Par Edouard Bonnefous)



المؤلف : ادوار بونفو

جوع الناس فى الارض مشكلة رهيبة ، تهدد مصير العالم ، وتنذر المتشائمين بالحرب . لقد بات « الجوع » يشغل أذهان المفكرين بصورة ملحة . وما أعجب الصيحات التى دوت فى جنيف — وهى من عواصم الرخاء — حول مؤتمر ثقافى دولى ينعقد فى جامعتها فى أوائل سبتمبر من كل عام ، وكان موضوعه الاخير : « الجوع » .. وقد تكلم فى تلك الندوات الهامة علماء الطب والاجتماع والاقتصاد الذين أقبلوا من الشرق والغرب ، ورددت

الصحافة السويسرية دعواتهم ، واهتز لها الرأى العام . وكانت خلاصة المناقشات انه ينبغى تنظيم حملة واسعة النطاق لمكافحة الجوع فى جميع أطراف الارض ، لا عن طريق المساعدات المرتجلة - وان صدرت عن قلوب رحيمة - بل تنفيذا لخطة علمية دقيقة الدراسة لا تثمر بدونها الجهود .

واليوم ينشر الباحث الفرنسى « ادوار بونفو » كتابه هذا ، وفيه تتجاوب أصداء ما سمعناه فى جنيف . وهو يعالج فى اطار واحد شامل ، العلاقة بين سرعة تكاثر السكان وبطء نمو الموارد الغذائية ، ذلك الموضوع الذى درسه باحثون مختلفون قبله دراسات جزئية فى بلاد متفرقة . وهذه المشكلة قائمة لا فى مناطق افريقيا وآسيا المكتظة فحسب ، بل فى أمريكا وروسيا أيضا ، وفى أوروبا التى تعانى بعض أقاليمها اختلالا بين الانتاج والاستهلاك ، رغم ما يبدو لنا من تقدم الوسائل فيها .

والمؤلف متفائل ، يؤمن بالنماء المقبل ، والرخاء الذى سوف يعم الارض اذا عولجت هذه المشكلة علاجا حكيما ، يرسم لنا بعض اتجاهاته ، فليست الحرب هى خير سبيل للقضاء على الجوع بالقضاء على الجائعين .. والكتاب مزود بالخرائط والبيانات والاحصائيات التى اعتمد فيها الباحث على منشورات المنظمات الدولية .

النشاط المسرحى .. على ضفاف السين

حول « كردينال اسبانيا »

• **على أثر** النجاح الكبير الذى حازته مأساة « مونترلان » الجديدة ، « كردينال اسبانيا » ، (التى قدمناها لقراء العربية فى العدد الماضى من « كتابى ») - وهو النجاح الذى

تنبأ به كثير من الأدباء والنقاد - انعقدت فى مسرح «الكوميدى فرانسيز» ندوة طريفة ناقش خلالها نخبة من أهل الفكر والفن هذا العمل الممتاز ، وشهدها جمهور حاشد .

وافتتح الندوة « اندريه مورا » ، فتحدث عن مكان «الكردينال سيسنروس» - بطل المأساة - فى تاريخ اسبانيا . وختم حديثه الطلى ببضعة أسئلة لا تخلو من لذع ، أجاب عنها - بلباقة - « الأب جوبيت » مدير معهد الدراسات الاسبانية ، فأقر ان « سيسنروس » كان من أعظم رجال عصره ، وأجلهم أعمالا ، وأنه تاق مخلصا الى اعتزال الدنيا ، وبين أن « مونترلان » وهو يقدم صورته قد بالغ فى تظليلها وفى تضخيم بعض ملامحها ، الا أنه لم يتنكر لحقيقتها وجهد فى نقلها بأمانة .

ثم شرح « هنرى جوهييه » أستاذ الفلسفة بالسوربون فضل « مونترلان » على المسرح الحديث الذى تجتاز فيه « التراجيديا » - بمعناها الروحى القديم - أزمة تكاد تحطم أركانها . وما أجمل أن يسمع الانسان المعاصر دعاء ينبعث من أعماق النفس ! واستأنف الفيلسوف الفنان « جبرييل مارسيل » علاج الفكرة ذاتها ، بنظرات واعية فى تطور المسرح ، فنعى على المدرسة « الرومانتيكية » فصلها بين الدراما والمأساة ذات الصبغة التاريخية ، وأكد أن « كردينال اسبانيا » تحفة مسرحية رائعة .

وبعد أن ألقى « بيير ديكاف » كلمة أظهر فيها اعجابه بأدب « مونترلان » ، وكيف أدخل مسرحياته الى برامج « الكوميدى فرانسيز » ، أدى ثلاثة من ممثلى الفرقة بعض مشاهد المأساة التى تصور ما أثير من الآراء .

• **ونشر** « مونترلان » نفسه مقالا بديعا يحلل فيه مسرحيته ، هذه خلاصته :

أوجه الصراع فى « كردينال اسبانيا » أربعة : صراع بين « سيسنروس » والملكة « جان المجنونة » ، وصراع بين الكردينال وحفيد أخته الذى يستخدمه قائدا لحرسه ، وصراع يدور فى قلب الكردينال بينه وبين نفسه ، وصراع مثله يتقاسم وجدان قائد الحرس .

وأهمها الصراع الدائر فى قلب الكردينال بين العكوف على شئون الدنيا والزهد فيها ، قد أذكت جذوته الملكة جان بانصرافها عن الحياة الى تأمل الموت . ولكن زهد الملكة



على مسرح الكوميدى فرانسيز : «لويز كونت» فى دور الملكة المجنونة ، و «هنرى رولان» فى دور كردينال أسبانيا

زهد سلبى ، وأما زهد رجل الدين - أيا كان دينه - فعزوف عن الارض ونزوع ايجابى الى حياة أخرى ، خير وأبقى .

ويفضى الينا المؤلف بأنه كان يتمثل هذا الصراع محتدما على أشده منذ بدأ فى كتابة المسرحية سنة ١٩٥٥ حتى أنجزها أخيرا وسلمها الى المطبعة . وبابتعاده عنها الآن ، أصبح يرى هذا الصراع وقد صغر وتضاءل ، كما ينظر الواقف على جبل مرتفع الى جيشين يتحاربان فى الوادى فيبدو له أنهما جيش واحد تضامت صفوفه . وهكذا يخيل لمونترلان اليوم أن الذى يدور فى نفس الكردينال ليس صراعا طاحنا ، وانما هو أسف يخامره اذ يلمس أنه وقف على العالم معظم نشاطه وجهده ولم يفسح لتأملاته الروحية مجالا أوسع . ومن ردود « سيسنروس » على الملكة أنه بقدرة الله يوفق بين ما تتطلبه منه سياسة العباد وما يجب عليه لرب العباد . ويورد « مونترلان » من مذكراته هذه العبارة : « ان المسألة التى تعنينا هى الجمع بين العمل والاضراب عن العمل فى حياة متكاملة » ، وما كتبه سنة ١٩٣٥ : « ينبغى الاحتفاظ بكل شىء مع تنسيق الاشياء وتقدير النسب التى يتركب منها المجموع » .

ويختتم الأديب الكبير مقاله بسطور حكيمة ، فلعله قد أخطأ الرأى ، ولعله سيرى غير ذلك بعد انقضاء بضعة أسابيع . « وليس للاشياء من واقع الا ما نخلعه نحن عليها بتسليط أضواء مختلفة متوالية » .

« هتلر » فى المسرح القومى الشعبى !

• عاد الفنان الكبير « جان فيلار » ، وهو على رأس « المسرح القومى الشعبى » الذى يحتل قاعة « قصر شايو » الضخمة ، الى آثار الكاتب الالمانى المعاصر « برتولت بريشت » .

والمعروف ان « بريشت » قد وقف حياته على المسرح ، وجدد مادته وأغراضه ، واتخذه أداة فنية لتبصير الانسان بقوى الشر التى تريد أن تطغى عليه وتستعبده. و «بريشت»



زوجة «بريشت» ، الممثلة «هيلين فيجيل» ، في دور «الام» الذي تتقنه



«أرتورو وى» – شبيه هتلر – فى مشهد من اخراج
«بريشت» ومن تمثيل فرقته «المجموعة البرلينية»

متفائل ، يؤمن بمستقبل للانسانية سعيد ، ولكن بعد انتصارها على أكاذيب المضللين ، وتفوق العدالة الخليقة بأن تصلح أمور المجتمع . ولذلك عادى النازية وتفنن فى نقدها ، واضطر الى الفرار من ألمانيا سنة ١٩٣٣ . وبعد أن جاب شمال أوروبا ، استقر فى كاليفورنيا ، حيث واصل كتابة مسرحيات لم يحفل بتمثيلها الا بعض الهواة وعدد من طلاب الجامعات. واستطاع أن يعود الى وطنه عام ١٩٤٨ . وهناك أسس ، مع زوجته الممثلة الممتازة « هيلين فيجيل » ، فرقة سماها « المجموعة البرلينية » ، وتولى بنفسه اخراج مسرحياته . ولقد أصبحت « المجموعة البرلينية » — بتخصصها واتقانها — أقوى مسارح أوروبا اليوم !

ومسرحية « بريشت » التى قدمها « فيلار » لجمهوره الباريسى منذ أسابيع قليلة ، تروى قصة هتلر ، وصعوده من الحضيض الى القمة ، وفصول سيطرته الرهيبة التى كادت تغير معالم الانسانية . وبطل المسرحية لا يدعى « هتلر » — وان كان يستعير فى كثير من الدقة شكله وحركاته — بل يدعى « ارتورو وى » (Arturo Ui) ، وهو ليس زعيما سياسيا بل رئيس عصابة من لصوص شيكاغو يستفحل شرها شيئا فشيئا . وفى ختام الاحداث يهيب ممثل بالجمهور ، داعيا القوم الى اليقظة والحذر ، حتى لا يتاح لمثل هذا الطاغية أن يسيطر عليهم ويتجبر . وتلك عبارات تثير الحماسة فى أفواج النظارة ، وقد جددت مشاهد المسرحية نقمتهم على ما ينكرون من ذكريات .. ولو أن هذه المسرحية قد اغضبت — بمضمونها الكريه ، وباسلوبها المثير — فريقا من النقاد يأبون على فن المسرح أن ينزل الى مستوى الدعاية المباشرة والهجاء السافر ..

فاعلة خير .. من الصين

• **ويقـدم** « مسرح ريكاميه » ـ وهو مسرح صـغير وضعته الدولة منذ العام الماضى تحت اشراف «جان فيلار» أيضـا ، ليكون حقلا للتجارب الفنيـة الجديدة ـ مسرحية أخرى من أدب « بريشت » ، لا شك فى أنها أرقى وأعمق من « أرتورو وى » .

وهى مسرحيـة طويلة ، زاخرة بالمعـانى والعبر ، حافلة بعديد من الشخصيات والمشاهد . وقـد استوحى فيهـا المؤلف أسطورة صينية طريفة ، تروى كيف مضى ثلاثة آلهة للبحث فى العالم عن انسان طيب ، يحقق مبادئهم ، ويبرر ـ بالتزام جانب الخير والمعروف ـ وجود هذا العـالم .. فهل سيجدون ضالتهم ؟ ومن يكون ذلك الانسان الصالح ؟

تبدأ المسرحية بلقاء الآلهة الثلاثة ، وهم فى طريقهم ، برجل سـقاء هو « وانج » ، سرعان ما يفطن الى شخصيتهم ، فيقودهم الى كل من يتصف بالصـلاح من أهل البـلدة ، ويلتمس لهم ـ دون أن يكشف عن حقيقتهم ـ محسنا يرضى ان يؤويهم فى بيتـه دون أجر . ويرفض جميع المحسنين ، فيواصل السقاء بحثه حتى ينتهى به المطاف لدى مومس تدعى « شنتى » ، هى التى تقبل الرجاء وتضيف المغتربين الثلاثة . انها اذن صاحبة النفس الطيبة الوحيدة فى مدينة (سى تشوان) !

ويترك لها أحد الآلهة ـ قبل رجوعهم الى السماء ـ مبلغا من المال عرفانا بجميلها ، وتشجيعـا لها على متـابعة فعل الخير . وتستثمر « شنتى » هذا المال فى التجارة ، لـكى تعين بأرباحها المساكين الذين تعطف عليهم . على أنهـا قد اضـطرت الى الـكذب يوم طالبتها مالكة الحـانوت الذى

استأجرته بضامن ، فزعمت أن ابن عمها « شويتا » يضمنها، وهو رجل لا وجود له . ولم يكن بد من تنكرها فى صورة ذلك الرجل الذى يتولى أمرها . وما أصعب تمثيل هذا الدور المزدوج على الممثلة التى تظهر تارة بمظهر المرأة الطيبة ، وتتقمص تارة أخرى رجولة « شويتا » الصارم الذى يحميها من طيبتها ، ويتدخل بشدته اللازمة لحسم المواقف كلما تأزمت . وما أكثر ما تتأزم المواقف حول «شنتى» ، فان أولئك البائسين الذين تمد اليهم يد المساعدة هم أول من يستغلونها ويختلسون مواردها لسد أعوازهم !

وتتعقد الأمور عندما تحب « شنتى » فتى متعطلا يريد أن يصبح طيارا ، وتتزوجه رغم تحذير « شويتا » الذى خبر هذا الطيار فوجده وصوليا لا ضمير له ، ثم تضيق به وتفارقه . ولكنها تنتظر طفلا . وعليها أن تكفل طفلها وأن تشق له طريقا بين قوم لا يرحمون . وهنا تتشبث بشخصية الرجل العاتى « شويتا » ، وتوليه ادارة مصنع أنشأته ، فتنهال عليها الأرباح ، وتصم آذانها عن شكاة من تظلمهم . ويثور القوم على هذا الرجل البغيض الذى بات يحتل مكان ابنة عمه الطيبة، ويتهمونه بأنه قتلها ، ويقدمونه الى المحكمة !

وفى المحكمة يطلب « شويتا » أن يختلى بقضاته . وما أولئك القضاة سوى الآلهة الثلاثة . ويعترف « شويتا » المستبد بأنه « شنتى » المحسنة ، وأن ظروف العيش هى التى أخفت تلك النفس الكريمة وراء هذا القناع المنكر .

أفيعنى ذلك أن عالمنا فاسد الجوهر ، يقتل الخير بالشر ، ولا سبيل الى اصلاحه ؟ ان الآلهة القضاة ينطلقون الى السماء ، ولا يلقون الى « شنتى » الحائرة من جواب الا نصيحتهم القديمة بأن تفعل الخير ! وقبل اسدال الستارة ، يظهر ممثل فيوجه السؤال الى الجمهور ، لأن القصة على هذا

النحو مازال ينقصها الحل : أينبغى تغيير الطبيعة البشرية ، أم تغيير نظم المجتمع ؟

ولعل فى هذا التساؤل مايدلنا على شك يساور المؤلف فى قيمة المذهب الماركسى الذى اعتنقه . ومهما يكن موقف « بريشت » ، فان روايته هذه من أجمل آثار المسرح العالمى المعاصر .

« طرطوف » بين موليير وأنوى .. وعثمان جلال

• **يقال** ان الأديب الفحل « جان أنوى » ، الذى يعرف قراء هذه المجلة بعض أعماله (راجع عددى ٣٨ و ٨٩ من « كتابى ») ، قد هم بكتابة مسرحية فكاهية عصرية تعالج موضوع « المنافق » على غرار مسرحية موليير الشهيرة « طرطوف » (التى قدمها « كتابى » فى العدد ٣٠) .. ولكنه ازاء روعة النموذج الذى وضعه نصب عينيه ، أحجم عن تقليده ، واكتفى بأن يخرجه اخراجا جديدا وأن يعلق عليه . وهذا ما يشاهده الباريسيون الآن فى دار (كوميدى الشانزليزيه) .

ولقد برع « أنوى » فى نقل مسرحية موليير من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر ، فصور جوا من تلك الأجواء العائلية القائمة التى يتقن تصويرها . وليس « طرطوف » هنا رجلا من رجال الدين ، بل هو فتى غريب الأطوار تلتهمه العقد النفسية . ويؤدى هذا الدور الممثل الشهير « فرانسوا بيرييه » أداء ينتزع الاعجاب .

وتعقب فصول موليير الخمسة قطعة تمثيلية من انشاء « أنوى » ، تعرض علينا ناقدا مسرحيا يعود الى بيته بعد تلك السهرة ساخطا على هذا الأسلوب فى اخراج تحفة الأدب الكلاسيكى المأثورة ، منذرا بمهاجمة هذا العبث بشدة فى

مقاله القادم . ويتطرق من نقد « أنوى » الى « نقد » موليير نفسه ، فهل يعبر موليير عن مشاكل عصرنا ؟ وما الذى سيبقى من أدبه يوم يطأ أول رائد روسى سطح القمر ؟ بل ويتساءل : هل كان موليير معبرا عن عصره ، وعن حقيقة مشاكله السياسية والاقتصادية ؟ وما قيمة موليير اذا قورن بأديب مثل « بريشت » الملتزم ؟ وأى نفع لمسرح بلا هدف ؟ .. وهكذا يفرغ الناقد الناقم شحنة غضبه . ومن خلال حديثه الذى تتضارب فيه الحجج والمعانى ، تتسلسل ردود « أنوى » — بطريقة غير مباشرة — على من يتهمونه بالوقوف بعيدا عن المعارك التى يخوضها جيلنا فى ميادين الفكر والسياسة، وبعدم ارتباطه بمذهب من المذاهب التى تتصارع اليوم لتصنع تاريخ الانسان الحديث . انه يسخر اذن من دعاوى بعض غلاة « الطليعة » . ولا يلبث الناقد حتى يرى — فى حلم — شخصيات مسرحية « طرطوف » الأصليين ، وقد ارتدوا ملابس القرن السابع عشر ، وهم يتولون الدفاع أمامه عن أسلوب الاخراج الجديد . وفى هذا كله متعة كبيرة للباريسيين الذين يتذوقون لذع التلميح ، ورشاقة التناول، وتفنن «أنوى» فى تأويل نص من تراثهم يعرفون أدق تفاصيله .

• **ويقال** ان فرقة المسرح القومى لدينا تنتوى الاشتراك فى مهرجان مسارح الامم الذى سيقام بباريس فى الصيف القادم، بروايتين أحداهما « الشيخ متلوف » أى «طرطوف» موليير كما اقتبسها عثمان جلال رحمه الله منذ ثمانين سنة لجمهور ساذج قريب العهد يومئذ بفن المسرح ..

ولقد أصبحت مسرحية موليير بنصها الفرنسى — الذى لا ينى عن دراسته وتحليله الأساتذة والطلاب فى المدارس والجامعات كل عام ، والذى يضع أعلام الفن الفرنسى من كل جيل مواهبهم فى خدمته ، للظهور به فى أروع الصور —

مادة من مواد الترف العقلى لدى أهل باريس ورواد مسارحها من فرنسيين وأجانب .. فهناك ممثلون تخصصوا فى دور « طرطوف » وبلغوا فى اتقانه درجات عليا ، ولا أسمى هنا سوى « فرنان لدو » الذى كانت عودته الى أحضان « الكوميدى فرانسيز » منذ بضعة أعوام ، للنهوض بتمثيل

« طرطوف » ، عيدا من أعياد تلك الفرقة العريقة . ترى ماذا سيكون وقع « الشيخ متلوف » فى نفوس الذواقين الذين أضاف «أنوى» الى ثروتهم الثقافية حول «طرطوف» ذخرا جديدا فى هذا الموسم ؟ .. اننى أخشى مقارناتهم بين شيخنا المتلوف وبين أصوله العديدة لديهم . وأخشى ان يغرينا النجاح الذى قد تناله فى القاهرة أزجال عثمان جلال .. فينسينا ان المصانع العالمية لا تصدر كل منتجاتها ، بل تحتفظ بصنوف معينة منها للاستهلاك « المحلى » .

رسالة لندن

يقدمها : على شلش

ان كانت الكتب تخلق رجلا كاملا ، كما يقول الفيلسوف الانجليزى « فرانسيس باكون » ، فان لندن تخلق ، بدورها ، مكتبات بأكملها كل يوم . ذلك ان هذه المدينة الضخمة ، التى تعد من أهم مراكز العالم الثقافية ، تدفع الى السوق — يوميا — عشرات ، بل ومئات من الكتب الجديدة !

وقد صدرت فى الشهر الحالى طائفة متنوعة من المؤلفات ، حملت على أغلفتها عناوين متفرقة لموضوعات عديدة ، منها

ماهو طريف وجديد معا ، ومنها أيضا مايتطلب من القارىء قدرا معينا من التخصص والوعى ، كما يرتبط الكثير منها بأحداث الساعة ..



المؤلف المخرج « جان أنوى » يلقى بتعليماته الى « اديث سكوب » عن دورها فى « حلم ناقد »



«فرانسوا بيرييه» مع «نيكول لانسون» فى مشهد من مسرحيـــــة
«طرطوف» لموليير كما أخرجها «أنوي»

أثمن هدية على وجه الأرض !

عندما طاف الكاتب الأمريكى « جون جنتر » بالقارة الافريقية ، خرج من رحلته هذه بكتابه المعروف « داخل أفريقيا » ، الذى سجل فيه وضع الافريقيين المضطهدين كما لمسه بنفسه ، وقد اعترف فيه بأن أفريقيا هى « أثمن هدية على وجه الارض ! » .

وقد ظفرت هذه الهدية الثمينة التى شرع أصحابها الحقيقيون فى التشبث باستقلالها ، بأوفر قسط فى حصيلة المؤلفات التى صدرت فى العاصمة الانجليزية هذا الشهر . وقد برزت قضية الكونغو الى الصف الأول ، واستأثرت بجهود كثير من المؤلفين والمعلقين . ومن بين المؤلفات التى تعرضت لمأساة **الكونغو** هذا الكتاب الذى أصدرته دار « بنجوين » فى ١٧٤ صفحة بعنوان : **« كارثة الكونغو »** لمؤلفه : « كولين ليجم » .

وقد عرض المؤلف لتاريخ الكونغو بايجاز منذ رحلات « ستانلى » الاستكشافية حتى اليوم . وأشار الى موقف همرشولد والأمم المتحدة ، **وأوضح ثلاثة أخطاء رئيسية ارتكبتها الأمم المتحدة** . أولها : فشلها فى معالجة مشكلة كاتنجا ، وثانيها : فشلها فى معالجة الموقف العام فى البلاد ، وأخيرا فشلها فى التمييز بين حكومة لومومبا الشرعية ومنافساتها الأخريات الأقل شرعية . لكنه انتهى الى انه كان من الواجب أن تقف الأمم المتحدة موقفا أشد حزما وأكثر عزما على فض النزاع بطريقة سلمية تضمن للبلاد الاستقرار والسلام .

كذلك صدر عن دار « جولانسز » كتاب بعنوان **« مأساة الكونغو »** فى ١٦٠ صفحة، عالج فيه مؤلفه « ريتشى كالدر »

القضية ذاتها ، وصور فيه مايحدث فى الكونغو بعد زيارته للاقاليم الستة ، باعتباره ضمن موظفى منظمة الصحة العالمية .

واذ نترك قضية الكونغو نجد عددا آخر من المؤلفات التى تعالج مشاكل القارة الافريقية ابتداء من الجزائر فى الشمال الى اتحاد ولايات الجنوب ، ومن اثيوبيا فى الشرق الى ليبيريا فى الغرب . ومن هذه المؤلفات :

- **الثورة الأفريقية** (١٩٩ صفحة) بقلم : جيمس كاميرون ـ دار تيمس وهدسون
- **الجزائر : العصيان والثورة** (٢٠٨ صفحة) تأليف : جوان جيسبى ـ دار أرنست بن .
- **جنوب أفريقيا والرأى العالمى** (٦٨ صفحة) تأليف : بيتر كالفوكورسى ـ مطبوعات جامعة أكسفورد

« ايخمان » ذو الأنف المقوس !

كذلك شغلت قضية الموظف النازى « أدولف ايخمان » مطابع العاصمة الانجليزية ، فقد صدرت أخيرا أربعة كتب تعرضت لحياة الرجل .. وتمضى عناوينها كالآتى :

- **ايخمان : حياته وجرائمه** (٢٨٨ صفحة) تأليف « شارلز وايتون » .
- **القبض على أدولف ايخمان** (١٨٢ صفحة) تأليف « موشى بيرلمان » .
- **وزير الموت** (٢٤٦ صفحة) تأليف «كوينتين رينولدز» وآخرين .
- **الصياد** (٢٩٩ صفحة) تأليف « توفيا فريدمان » .

وهكذا شغلت القضية أكثر من ألف صفحة ، والملاحظ فى معظم هذه الكتب أن مؤلفيها من اليهود ، وقد عالجوا

الموضوع من وجهات نظر متعددة ، تجمع فى النهاية على ضرورة الانتقام من ايخمان !

والغريب فى أمر ايخمان أنه لم يحظ فى حياته من قبل بمكانة مرموقة بين زعماء النازية المعروفين ، فقد كان موظفا صغيرا لا يعرفه أحد ، حتى ضحاياه أيضا لم يكونوا يدرون شيئا عن حقيقة أمره والدور الملقى على عاتقه ، والذى ينحصر فى افناء يهود أوربا — وقد كان يعتقد أن القضاء على اليهود يعادل فى الاهمية انتصار ألمانيا على الحلفاء . ومن الطريف فى أمره أنه يتميز بأنف مقوس لا يختلف عن أنف اليهودى ، مما جعل اليهود ينخدعون فى أمره فيحسبونه واحدا منهم .. وهكذا وجد ايخمان مهمته يسيرة هينة !

أخبار أدبية قصيرة

• **صدر** عن دار « تامز وهدسون » كتاب بعنوان **« يقظة العرب »** من تأليف « فرانشسكو جابرييلى » . وهو حلقة جديدة من سلسلة كتب الثورات الكبرى التى تصدرها الدار . وقد تتبع المؤلف ، الذى يعد حجة فى الشئون العربية ، تاريخ الحضارة العربية وانهيارها ثم يقظتها من جديد ، ملتفتا بصفة خاصة الى أحداث السنوات الستين الماضية .

• **ومن** مطبوعات جامعة اكسفورد الجديدة كتاب بعنوان : **« دافيد دافيز : مدير دعاية لنكولن »** (٣٨٣ صفحة) ألفه « ويلارد . ل . كنج . » وفيه قصة حياة الرجل الذى يدين له ابراهام لنكولن بالكثير ، فهو الذى وقف بجانبه فى معاركه السياسية حتى وصل الى كرسى رئاسة الجمهورية . وقد حافظ دافيز على صلته الوثيقة بأسرة لنكولن ، وظل نصيرا لأفرادها بعد مصرع لنكولن ، اذ كان له فضل كبير فى شفاء « مارى تود » من الصدمة العصبية التى انتابتها على

أثر وفاة زوجها ، كما ناصر « روبرت » ابن لنكولن ، وجاهد الى جواره حتى تم تعيينه وزيرا للحرب فى وزارة الرئيس « جارفيلد » .

وقد تعرض المؤلف فى هذا الكتاب الضخم الى جوانب كثيرة من حياة الرئيس الامريكى لنكولن ، كذلك قضى على بعض الشائعات التى تواترت عقب مصرعه ، مما يجعل الكتاب فريدا فى بابه .

• **صدر** عن دار « الن وانوين » كتاب جديد بعنوان : **« المسيح وفرويد »** من تأليف « آرثر جويردهام » .

• **ظهرت** فى السوق الانجليزية ترجمات كثيرة لكتاب فرنسيين وايطاليين وألمان . وقامت دار بنجوين بطبع مؤلفاتهم بأغلفة برتقالية اللون . ومن بينهم : سارتر ، مالرو ، برخت ، ايزاك بابل ، كامى ، مورافيا .

• **أثارت** الكاتبة «وينفرد جيرين» اهتمام المثقفين الانجليز ومعلقى الصحف الأدبية بكتابها الجديد الذى ترجمت فيه لحياة « برانويل برونتى » شقيق الشقيقات « برونتى » الثلاث المعروفات فى عالم الأدب . وقد سبق لجيرين أن أصدرت ترجمة لحياة « آن برونتى » .

• **دارت** معارك أدبية حامية حول مسرحية جديدة أعدها « جون وايتنج » عن قصة لألدوس هكسلى ، وعنوانها : « الاشرار » . وسبب الخلاف ينحصر فى اعتقاد بعض المشتغلين بالمسرح فى ضرورة تحويل الآثار القصصية الممتازة الى مسرحيات ، بينما يعتقد البعض الآخر ان من الأجدى صرف الجهود الى التأليف المسرحى المحض .

والآن ، تعال نغادر (لندن) كي نتابع الحركة الثقافية في .. نيويورك .

رسالة نيويورك

يقدمها : على شلش

ولئن كانت باريس ولندن تتصدران مراكز العالم الثقافية، فان نيويورك لاتقل عنهما ، بل انها تبزهما فى بعض المجالات . ويكفى أن نذكر أن دور النشر الامريكية لها من النفوذ والامكانيات ما للهيئات الرسمية من نفوذ وامكانيات . بل ان نظام التفرغ الذى أخذت به وزارة الثقافة العربية ، وطبقته فى بلادنا ، تطبق مثيله دور النشر الأمريكية ، بعيدا عن الاجراءات الحكومية . ذلك أنها تقوم أحيانا بتكليف عدد من الكتاب والمفكرين ، كل حسب اختصاصه ، باعداد مؤلفات فى نواح تقترحها اللجان الثقافية بها . وتوفر لهم ، مقابل ذلك ، كل مايحتاجونه من مال فى حياتهم اليومية ، حتى يتفرغون لأداء مهمتهم .

وقد انتقينا لك عددا من الكتب التى صدرت فى نيويورك هذا الشهر ، نقدمها لك بايجاز فيما يأتى :

الموهبة المجهولة ..

• **برانويل برونتى وعالمه الحافل بالعذاب** (٣٣٦ صفحة) — تأليف : دافنى دى مورييه . عن دار (دبلداى) .

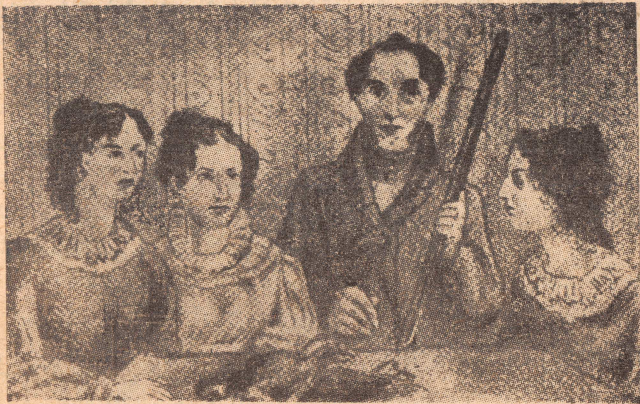
ما من أحد يجهل الشقيقات « برونتى » ، لكن القليلين هم الذين يعرفون عن هذه الأسرة الموهوبة أنها ضمت ، الى جوار عبقرياتها النسوية ، عبقرية أخرى تمثلت فى شخص شقيقهن « برانويل » .

ومن محاسن الصدف ، أو لعلها من دلائل المنافسة بين لندن ونيويورك ، أن يصدر فى شهر واحد كتابان يتناولان حياة هذه الشخصية التى خفيت عن الناس زمنا طويلا .

وقد أشرنا فى رسالة لندن الى الكتاب الاول . أما هذا الكتاب الذى صدر فى نيويورك فهو يعالج حياة هذا الفتى أيضا ، ويلقى عليها أضواء جديدة ، بل وتمتاز بأن كاتبته هى الروائية المشهورة « دافنى دى موريه » مؤلفة القصة العالمية (ربيكا) ، وعشرات من القصص الاخرى المعروفة .

والواقع ان « برانويل برونتى » لم يكن أقل من شقيقاته حماسة للكتابة والخلق الفنى ، فقد عرف بغزارة الانتاج فى سن مبكرة ، حتى انه فاقهن جميعا عندما بلغ الحادية والعشرين من عمره ، اذ كان قد سطر بقلمه مخطوطات عديدة متنوعة فى المسرح والقصة والشعر . لكن هذا الانتاج الغزير لم ير النور للأسف ، فقد ظل طى الكتمان ، يعلوه التراب ، الى ان تنبه له الدارسون ونقاد الأدب .

وشخصية « برانويل » تمثل ، فى الواقع ، شخصيةالفتى



صورة نادره رسمها « برانويل برونتى » بريشته ، تمثل شقيقاته الثلاث وقد جلسن من حوله ، وتظهر فيها ((آن برونتي)) الى اليمين ، ثم ((اميلي)) و ((شارلوت)) الى اليسار .

المراهق ، المضطرب ، القلق ، المعذب النفس . ذلك أنه وجد نفسه ضائعا منذ نعومه أظفاره ، فجرفته رفقة السوء الى اللهو والعبث ، واستسلم فى النهاية للخمر والمخدرات ، حتى ضعف جسمه ، وأخذ يتحلل شيئا فشيئا ، الى أن توفى فى سن الحادى والثلاثين ، تاركا وراءه ثروة فنية ، لاتتمثل فى انتاجه فحسب ، وانما تتمثل أيضا فى انتاج شقيقاته اللواتى نهلن من عبقريته ، وشخصيته الملهمة الجذابة .

وتذكر مؤرختة عبارة قصيرة خلفها بعد وفاته . وهى رغم تركيزها وقصرها تلقى ضوءا على حياته ، بل انها تلخص هذه الحياة . يقول برانويل : « ان مامضى من حياتى فارغ وسخيف ، فأنا لم أفعل شيئا ، عظيما كان أم طيبا »

ومن الجوانب الهامة فى حياة هذا الفتى التعس أنه هوى الرسم أيضا فى صباه ، لكنه فشل فى الالتحاق بكلية الفنون الملكية ، كما فشل فى الوظائف الصغيرة التى التحق بها . والحق أن برانويل قد عاش حياته قلقا ، مهيض الجناح ، ولعله أيضا قد مثل الطراز الذى عاشه فتيان وربا بعد سبعين عاما فى فترة مابين الحربين ، مع اختلاف الظروف وتباين المشكلات . ولهذا يجد قارىء أعماله وتاريخه سمات حديثة كثيرا مايجدها فى أبطال الكتاب الوجوديين من أمثال سارتر وكامى ، وربما كيركجارد أيضا .

الكاتب الأمريكى الذى يعشقه الروس !

• **لقاء فى الظهيرة** • (٣٦٠ صفحة) ـ تأليف : ميتشل ويلسون ـ عن دار (دبلداى) .

رغم ان كاتب هذه الرواية غير معروف فى بلاده ، الا أنه يقرأ على نطاق واسع فى الاتحاد السوفييتى ، وهم يضعونه

هناك على قدم المساواة مع الروائى المعروف «همنجواى» !

وقد احترف ويلسون (٤٧ سنة) الكتابة قبيل الحرب الثانية ، أثناء اعداده لرسالة الدكتوراه فى الطبيعيات من جامعة كولومبيا . وربح من كتبه التى ترجمت الى الروسية نحو ٢٠ ألف دولار ، بالاضافة الى ربحه من روايته الأخيرة الذى قدر بنحو ١٥ الف دولار . ومما يذكر انه قضى فى الاتحاد السوفييتى ستة شهور على نفقته الخاصة قبل أن يكتب روايته هذه ، وكان قد تعلم اللغة الروسية قبل مغادرته لبلاده .

وبطل رواية ويلسون عالم أمريكى لامع من علماء الطبيعة والذرة ، سافر الى موسكو لحضور مؤتمر علمى . وهناك تعرف الى عالم روسى يعادله علما ومكانة ؛ لكنه لم يصل الى ما وصل اليه هو من انتصارات علمية . وارتحل رينيت (وهذا اسمه) الى القوقاز . ثم أحس بالحب يجرفه نحو فتاة روسية كانت تعمل سكرتيرة له ..

وبالقصة بعد هذا الحاح على أن العلم ملك للأمم جميعا ، بغض النظر عن اختلاف نظمها وعقائدها ، وانه ، أى العلم ، قد خلق لنفع الناس ، والعمل على اتاحة فرص السلام والطمأنينة أمامهم .

لكن لماذا يعشق الروس الكاتب الأمريكى ويلسون ؟ ولماذا احتفوا به ، وترجموا أعماله ، وقدموه فى برامج التلفزيون والاذاعة ؟ .. تجيب على هذه الأسئلة فتاة روسية تعمل فى السياحة بقولها : « انه يحيطنا علما بكثير مما لم نكن نعرفه عن أمريكا . وهو يجعل العلماء انسانيين فى طبائعهم ومعاملاتهم . فهم يغازلون ، ويقعون فى الغرام ، كما يهجرون ، ويقاسون عندما تقابل عواطفهم بالصد والهجر ، كما يهتزون طربا عندما يلاقون قبولا .. انهم مثلنا . »

أخبار أدبية قصيرة

• **على رأس** قائمة الكتب التى تجد رواجا كبيرا هذا الشهر قصة للكاتب شوارز بارت عنوانها : « آخر العادلين »

• **من بين** الكتب التى تقرأ الآن فى أمريكا هذه العناوين :

« **منتصف القرن** » : رواية من تأليف الروائى المعروف « جون دوس باسوس » . وتعد أعظم رواية كتبها بعد ثلاثيته الأخيرة : « الولايات المتحدة الامريكية » .

• « **المقاومة والعصيان والموت** » : كتاب للاديب الفرنسى الذى لقى مصرعه فى العام الماضى : « ألبير كامى » ، وقد عالج فيه مشكلة الجزائر ، وموضوعات أخرى .

• **صدرت** عن دار (هاربر) رواية جديدة ممتعة بعنوان « قضية جوفيه » فى ٤٣٤ صفحة ، للكاتب الالمانى المغمور « يواكيم ماس » (٦٠ عاما) . ومما يجدر بالذكر ان كتابة هذه الرواية قد استغرقت منه ثلاثةعشر عاما . وقد أخذها مؤلفها عن جريمة وقعت بباريس عام ١٨٨٩ ، قتل فيها باريسى يدعى « جوفيه » ، وكانت قد أوقعت به غانية حسناء تدعى « جابرييل بومبار » ، بمساعدة شريك لها ، فحكم باعدام الشريك ، أما هى فأخلى سبيلها ! .. واذ ذاك هاجرت الى أمريكا : حيث تعقبها زوج شقيقة القتيل ، كى يقتص منها .. لكنه لم يلبث ان وقع فى هواها ، وفى النهاية خدعته مع فتى رقيع من فتيان المزرعة ! .. وهنا يحاول أن يعزى نفسه بقوله : « ان الذئبة « ديمقراطية » ، لايهمها السن ، ولا المركز ، ولا الثراء .. مادامت تستطيع أن تلحق الاذى بالرجال ! »

من الكتب العربية

سيكولوجية المقابلة

تأليف : والتر فاندايك بنجهام وبروس فيكتور مور
ترجمة : فاروق عبد القادر وعزت اسماعيل
ومراجعة : الدكتور مختار حمزة
الناشر دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦١
عدد الصفحات ٣٢٨

تقديم : الدكتور محمد توفيق رمزى

دعانى زميل فى احدى الوزارات لمعاونته فى مقابلة الناجحين فى الاختبار التحريرى لشغل الوظائف الخالية باحدى ادارات تلك الوزارة . وأذكر أن عدد الناجحين فى الامتحان التحريرى العسير الذى عقد لهذا الفرض كان حوالى الاربعين من بين أكثر من مائتى مرشح مستوف للشروط ، وكانت الوظائف الخالية لاتزيد على سبع وظائف .

وكان علينا أن نفكر فى القواعد التى سنبنى عليها مقابلتنا لكل فرد من المرشحين الاربعين ، بحيث يكون وزننا للجميع فى اطار عام واحد من المعايير والمقومات ، توخيا للعدالة وخدمة للصالح العام باختيار أكثرهم استحقاقا ومواءمة للوظائف المطلوبة . وأذكر اننا قررنا أن نعطى درجة لكل سمة من السمات التى اتفقنا على ادخالها فى تقدير الشخصية ، وأن نضيف درجة الاختبار الشخصى الناتج عن المقابلة الى الدرجة التحريرية ، بشرط ألا نطلع على الدرجة التحريرية الا بعد نهاية المقابلة مع الطالب واعطائه تقديرا بعيدا عن التأثر بما أثبت من جدارة فى اجاباته التحريرية . وأن نرتب

المرشحين فى النهاية بالتدرج من أعلى الى أسفل حسب المجموع العام لكلا الامتحانين .

يظهر من هذا المثل الواقعى ان المقابلة أو بعض المقابلات على أقل تقدير يمكن أن تعنى فى حياتنا الفرق بين النجاح والفشل فى تحقيق أهدافنا فى الحياة ، وبالتالى لها هذا التأثير الفعال فى حاضرنا ومستقبلنا .. بل لايستبعد أن حاضرنا هذا قد تأثر الى درجة ما بما واجهنا من مقابلات سابقة لتحقيق ما كنا نرمى اليه من أهداف ، سواء أكان ذلك للحصول على وظيفة ، أو لاقناع الآخرين بوجهة نظرنا ، أو لادلائنا بشهادة تمس الغير أو تمسنا .. الى آخره من المناسبات العديدة المتباينة التى تواجهنا الحياة بها .

ويعد الناس أنفسهم للمقابلة بوسائل عديدة : البعض منها يقوم على أساس من علم وفن ، والبعض منها يقوم على خرافات أبعد ما تكون عن وسائل العلم وان كان الدافع اليها لايخلو من ذكاء ، وقد نرمى بالجهالة الرجل الذى يحمل حجابا أو طلسما لكى يكون فى وجهه قبول عند مقابلاته ، ولكن علينا أن نعترف بأن ذكاءه الفطرى قد دفعه الى تقدير أهمية ما يترتب على هذا القبول من نتائج ، حتى وان كانت الوسيلة التى لجأ اليها لاتمت الى العلم بصلة أكيدة .

وللمقابلة مدلول يكاد يكون له شبه الاجماع عند النفسيين والتربويين والاجتماعيين ورجال الاعمال ، فليست كل محادثة مقصودة أو عابرة بين اثنين بمقابلة ، انما المقابلة هى « المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد ، غير مجرد الرغبة فى المحادثة لذاتها » . والمقابة لاتنحصر فى مجرد الكلام بين الموجه للمقابلة والعميل ، وانما تدخل فيها وسائل أخرى تقوم على الاتصال المباشر ، منها : خصائص الصوت، وطريقة

الالقـاء ، وتعبيرات الوجه والعينين ، والهيئة ، والايمـاء ، والسلوك العام ، والتصرف خلال المقابلة ، كل هذه عوامل مؤثرة فى الحكم ، الى جانب الموضوع الذى من أجله أعدت المقابلة .

ونظرا لما وضح من أن المقابلة تقوم بدور يزداد أهمية فى حياتنا الحديثة التى تتطلب كثيرا من الاتصالات الشخصية وتتأثر بها ، لذلك كله فقد قام الباحثون العلميون والنفسيون بالذات بتكريس الجهد لدراسات علمية منطقية فى موضوع المقابلة .

والكتاب الذى نقدمه هنا هو أحسن ما قرأنا فى الموضوع، اذ أن مؤلفيه « بنجهام ومور » كرسا جهدا كبيرا امتاز بعمق التفكير وأصالته فى معالجة الموضوع من جميع نواحيه ، كما وضعا خلال الاعوام الثلاثين التى انقضت منذ تأليفهما الكتاب ، نتائج بحوثهما موضع التجربة فأثبتا نجاحا يشجع على اتساع نطاق التطبيق ومساندة ما جاء بهذا الكتاب من نظريات وارشادات تفيد كل من يلجأ الى المقابلة كوسيلة لتحقيق أهدافه .

وبديهى أن البعض من هؤلاء قد وضع لنفسه خطة — شعورية كانت أو لاشعورية — للنجاح فيما يرمى اليه من وراء مقابلاته ، وأن تجاربه العديدة قد دلته على الطرق الفعالة المؤدية الى نجاحه فيما يرمى اليـه ، بل أن معيـار النجاح هو النجاح نفسه، وان تباينت المهن وأوجه النشاط . ومنها على سبيل المثال : الباحث الاجتماعى ، وصـاحب العمـل ، وطالب الوظيفة ، ورجل الصناعة والاعمـال ، والتاجر ، والبائع ، والطبيب ، والنفسانى ، والسياسى ، والدبلوماسى ، والمحامى ، والمستشار القانونى ، والمستشار الفنى ، وضابط البوليس ، والمحقق ، والمدرس ، والصحفى .

كل هؤلاء تؤثر فى مقاديرهم أساليب المقابلة الناجحة ، وربما كان صحيحا اذا قلنا ان أى انسان راشد مهما تواضع عمله أو وظيفته يؤثر ويتأثر ببعض المقابلات حتى وان لم تكن جزءا من نظام عمله ، أو وسلية من وسائل زيادة فعاليته .

ولقد تناول الكتاب معظم الأغراض التى من أجلها تقوم المقابلة . كما أوضح الكثير من المزالق التى ينبغى تلافيها ، وذكر العوامل المعقدة المتعددة التى تؤثر فى كل المقابلات سواء أكانت واضحة أم غامضة ، وشرح بجلاء ومقدرة الدوافع لتعبيرات الارتياح والوجوم والاتجاهات والسلوك الانفعالى خلال المقابلة ، وأوضح كيف يمكن التغلب على المواقف الصعبة خلال المقابلة .

وللمقابلة الشخصية وظيفة من ثلاث وظائف رئيسية .

فهى تستخدم للتأكد من المعلومات ، وللارشاد ، وللتأثير أو الدفع والحفز . **ويرتبط بالوظيفة الاخيرة ارتباطا وثيقا** بالاستخدام العلاجى للمقابلة **فى مساعدة شخص على أن** يخفف عن نفسه ويتغلب على الانفعالات النفسية التى تراكمت وتعقدت حتى أخذت دورا مرضيا يهدد ببعده عن الاتزان والصحة العقلية .

وأوضح الكتاب أن الفكرة الشائعة عن أن القائم بالمقابلة يجب أن يتصف بالدهاء والحيلة وأن يضع نفسه موضع المحقق أو المدرس أو الواعظ أنما هى فكرة خاطئة ، وأن أنجع السبل لتحقيق النجاح هى صفات الكياسة وعمق التفكير مع جلائه والاستمساك دائما بمبدأ الصراحة والوضوح ، فتلك هى الأسس المؤدية الى التفاهم المتبادل والى تفتح عقل العميل ونفسه واظهاره لمكنونات نفسه .. وأوضح أيضا بنفس الجلاء **خطأ الانطباع الذى شاع فى أذهان الناس أمدا**

طويلا بأن التنبؤ بسلوك الناس ومقدرتهم أمر ميسر بمجرد ملاحظة شكلهم الجسمانى وملامحهم ، كافتراض ان الفك العريض يعنى الاصرار وقوة الارادة ، وعكسه يعنى الضعف والتردد ، الى غير ذلك من النظم التى شاعت عن الفراسة فى تحليل الشخصية والتى قامت على وجود عوامل ارتباط بين السمات العقلية والخصائص الجسمانية وشكل الجمجمة واللون وتفاصيل الملامح . وهذه وان كانت وسائل لايعتمد عليها العلم الحديث الا أنها كانت محاولات شبه علمية لجأ اليها المفكرون فى محاولتهم للوصول الى الحقيقة بالوسائل التى كانت ميسرة لهم فى وقتهم ، لذلك لا يجوز لنا أن نهمل هذه المحاولات الدراسية شبه العلمية وأن نقول انه لاتوجد على الاطلاق خصائص خارجية للجسم أو للوجه أو للرأس يمكن بها الحكم بمقياس دقيق على القدرة العقلية أو السمات الاجتماعية للشخص ، ولكن يبدو أن من الأسلم أن نقول انه لاتوجد خصائص تشريحية محددة للجسم أو لأى عضو به يمكن بها تقدير خصائص أو سمات الشخصية بتلك الدرجة من الدقة التى يتطلبها العلم الحديث ، ومن الخير أن يركز الباحث العلمى على دراسة السلوك الحقيقى كأحسن قائمة للشخصية ، واستخدام المقابلة كوسيلة للملاحظة والتحقق من سمات السلوك التى يود أن يتكشفها ، ولتحقيق ذلك كله نصح المؤلفان أن يستمسك القائم بالمقابلة بأهداب الاتزان النفسى والحياد والبعد عن الافكار المتأصلة أو المترسبة فى عقل القائم بهذه العملية الهامة .

وقد عالج الكتاب فى صفحاته التى تزيد على الثلاثمائة **الاغراض** التى يثبت فيها ويتيسر لها استخدام المقابلة .. **والحاجات** فى البحث عن الحقائق التى يمكن أن تفيد فيها المقابلة أحسن من غيرها من المناهج الأخرى المتاحة ..

والمساعدات الخاصة التى قام بها كل ميدان من ميادين المقابلة لفهم وضبط المقابلة فى عمومها .. **ومبادىء المقابلة** التى يمكن صياغتها .. **والقواعد الخاصة** التى يمكن وضعها مثل تلك التى تحكم أسلوب الاسئلة حتى لا تكون غامضة أو مضللة .. **والاخطاء الشائعة** أو « مطبات » المقابلة ، والاحتياطات التى يجب اتخاذها لتجنب ذلك .. **وأخيرا** كيف يمكن للقائمين بالمقابلة أن يدربوا أحسن تدريب أو يدربوا أنفسهم لكى يحققوا بنجاح الاعمال التى سيقومون بها .

وان المترجمين ، وكلاهما من خريجى قسم الدراسات النفسية، قد بذلا جهداً موفقا مشكورا فى نقل أفكار المؤلفين بصدق وجلاء وسلاسة فى التعبير مما يكفل أن يفيد هذا الكتاب قارىء العربية كما أفاد الأصل بالانجليزية أبناء ثقافتها .

استقاء الانباء فن

(صحافة الخبر)

تأليف : ستانلى جونسون ، جوليان هاريس ـ ترجمة : وديع فلسطين ـ تقديم : محمد زكى عبد القادر ـ الناشر : دار المعارف بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين

مما لا شك فيه أن الصحافة ظاهرة حضارية فى القرن العشرين، يجب تنبيه الاهتمام اليها . وهذه المهنة لايجب أن نمارسها بالاحساس بل يجب أن نحصلها بالمعرفة والدراسة . .

والكتاب دراسة هامة فى هذا المجال تشرح بالتفصيل كيفية استقاء الخبر وعرضه وتقديمه للجمهور بأحسن صورة .. وهو لا يقف عند الحدود النظرية بل يهتم بكل المشاكل العملية التى تعترض الصحفى .

ومؤلفا الكتاب : الأول كان أستاذا للصحافة بجامعة تنيسى ، والثانى كان أستاذا بنفس الجامعة وهو يعمل الآن مديرا لادارة العلاقات العامة ..

وقد زاد هذا الكتاب قيمة فى ترجمته العربية ، أن تفرغ له الأستاذ وديع فلسطين الأديب والصحفى المعروف ، فقد جاءت ترجمته دقيقة تتابع النص الأجنبى متابعة أمينة .

وقد قدم الكتاب الصحفى القدير محمد زكى عبد القادر ، ويكفى هذا الاسم حتى نتبين ما للكتاب من أهمية .. ويقع الكتاب فى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وثمنه ٧٠ قرشا


مكتبة بالتقسيط
تقدم
لك ..... ولأولادك ..
قصص كاملة
دار الأدباء
تضم نخبة ممتازة
من كتب :
الأدب والعلوم والتاريخ
والسياسة والقانون
والبطولات والوطنية
وكتب الأولاد ....
بجميع اللغات
بالتقسيط المريح
تقدم فورًا .. واملأ الاستمارة الخاصة
١١ شارع طلعت حرب . القاهرة . تليفون ٧٤١٧٨/٧٩


ساطع الحصري
محاضرات
في
نشوء
الفكرة
القومية

كتاب على مستوى عالمى !

هذا الكتاب القيم يضم مجموعة محاضرات ألقاها الفيلسوف العربى « ساطع الحصرى » فى قاعة الجمعية الجغرافية بالقاهرة بدعوة من كلية الآداب خلال عام ١٩٤٨ . وقد تناول فيها « نشوء الفكرة القومية » منذ أوائل القرن التاسع عشر فى أوروبا ثم فى البلاد العربية ، ودلل فيها على أن « الفكرة القومية» هى الأساس الطبيعى الذى تقوم عليه الدول : فالدولة التى لا تقوم على هذا الأساس لاتلبث أن تنهار ، بينما الأمم التى تجمع بينها الفكرة القومية ، لاتلبث — مهما باعدت بينها الاحداث والمطامع — أن تتقارب ثم تندمج فى دولة واحدة .

وكأنما كان ذلك الفيلسوف يتنبأ بظهور نجم بطل القومية العربية جمال عبدالناصر ، حين بشر بهذا المبدأ ودعا البلاد العربية الى اعتناقه ، فقد نادى فى ختام محاضراته البليغة بأن « الغلبة ستكون فى آخر الأمر لفكرة القومية العربية » .. وكأنه كان يعلم أن القدرة الالهية تدخر للعروبة زعيما يظهر بعد أربع سنوات من تلك النبوءة ، ويقود العرب تحت راية واحدة ، ليجعل منهم أمة واحدة ، تجمع بين أبنائها — من الخليج العربى الى المحيط الأطلسى — « فكرة القومية العربية »

نشوء الفكرة القومية

قيام الدول على أساس الفكرة القومية

منذ عقد مؤتمر (فيينا) المشهور ، عام ١٨١٥ ، طرأ على أوضاع أوروبا السياسية من التطورات مالم يسجل له

التاريخ مثيلا من قبل : ففى مكان **السلطنة العثمانية** التى كانت تشغل القسم الجنوبى الشرقى من أوروبا ، نجد **ست دول** مختلفة . وفى مكان **عشرات الدول** التى كانت تشغل القسم الغربى الأوسط من أوروبا نجد **دولة واحدة هى ألمانيا** .. وفى أثناء ذلك **انقرضت امبراطورية النمسا ، وتكونت دولة ايطاليا** من عدة دويلات صغيرة .. كما تولدت دول عديدة على أساس الانفصال عن بعض الدول القديمة : فانفصلت **بلجيكا** عن هولندا ، و**المجر** عن النمسا ، و**النرويج** عن السويد ، و **فنلندا** عن روسيا ، و **ايرلندا** عن انجلترا . كما استقلت **اليونان وبلغاريا ورومانيا وألبانيا** عن الدولة العثمانية . وتكونت ثلاث دول على أساس الانفصال من جهة والاتحاد مع جهة أخرى : فقد تكونت **يوغوسلافيا** من أراض كانت منقسمة بين الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية .. كما تكونت **تشيكوسلوفاكيا** من أراض كانت موزعة بين ألمانيا وروسيا والنمسا . وعادت **بولونيا** الى الحياة عن طريق استقلال واتحاد أجزائها الثلاثة ، التى كانت تحت سيطرة الدول الثلاث المذكورة .

وقد تمت جميع هذه التحويلات والانقلابات الدولية العظيمة خلال قرن واحد ، **وكان العامل الأساسى فى وقوعها هو نشوء ((الفكرة القومية)) ، وتغلغلها فى نفوس الشعوب . وأساس هذه الفكرة هو قيام الدول على أساس القوميات .**

وقد كان مفهوم الدولة قبل ذلك يرتبط بمفهوم ((الملك)) تمام الارتباط ، ومنفصلا عن مفهوم ((الأمة)) كل الانفصال . فكانت الدولة ملكا للملك ، تخضع لمشيئته خضوعا مطلقا لا يقيده أى قيد . ومن ثم كان لويس الرابع عشر ملك فرنسا يقول ((**الدولة أنا**)) ، وكان هذا لسان حال ملوك أوروبا جميعا . وكانت الشعوب من العناصر المهملة التى

لا شأن لها على الاطلاق فى أى أمر من الأمور . وقد استقر فى الاذهان « ان الملوك يحكمون البلاد بتفويض وتخويل من الله » فمن يخالف أمر الملك انما يعصى الله !

الشعب مصدر السلطات ..

غير ان المفكرين ما فتئوا ان توصلوا الى نظرية « الحق الطبيعى » المنبثق من الطبيعة البشرية والحياة الاجتماعية ، ومن ثم قالوا **« ان مصدر جميع السلطات هو الشعب »** . وكان هذا المبدأ يحتوى بذور مبدأ خطير آخر ، هو مبدأ « حقوق القوميات » ، لأنه بعد التسليم بأن الشعب هو مصدر جميع السلطات ، كان من الطبيعى أن تتبادر الى الاذهان سلسلة أسئلةهامة : فما هو الشعب ؟ وممن يتألف ؟ وكيف يظهر مشيئته ؟ وبأية طريقة يستعمل سلطانه ؟ وقد انتهوا من ذلك الى القول بأن من حق كل أمة من الأمم أن لا تخضع لحكم أمة أخرى وأن تؤلف دولة خاصة بها تكون فيها مصدر السلطات بأجمعها ، فلا تصبح ضحية تحكم جماعة غريبة عنها . ولذلك أخذت الأمم تشعر بكيانها الخاص وتنزع الى تقوية هذا الكيان ، فصارت لا تعبأ كثيرا بالحدود السياسية التى تفصل الدول القائمة بعضها عن بعض ، **بل أخذت تسعى تارة الى الانفصال عن الدولة التى تحكمها ، لتأليف دولة مستقلة عنها ، وتعمل طورا للاتحاد مع فروعها المنتسبة الى دول أخرى لتكوين دولة موحدة تجمع شمل الأمة بأجمعها** ، وهذا ما أوجب الانقلابات السياسية الخطيرة التى ذكرناها . ومن ثم سارت فكرة « حقوق القوميات » سيرها الطبيعى ، ووصلت الى نتائجها المحتومة ، وأعادت بناء الدول الاوروبية على أسس جديدة تختلف عن أسسها القديمة اختلافا كليا .

ولكن ما هى العناصر التى تتكون منها القومية وتتألف منها الأمة ؟

وحدة اللغة .. والتاريخ

يظن البعض ان كل أمة من الأمم تنحدر من أصل واحد . الا أنه ظن غير صحيح : لأن جميع الابحاث العلمية لا تترك مجالا للشك فى أنه لاتوجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد حقيقة . ومع ذلك فثمة عوامل كثيرة توحى بهذا الظن . **وأهمها وحدة اللغة ، والاشتراك فى التاريخ .**

فاللغة هى أهم الروابط المعنوية التى تربط الفرد بغيره من الناس ، لانها توجد نوعا من الوحدة فى الشعور والتفكير ، وتربط الأفراد بسلسلة طويلة ومعقدة من الروابط الفكرية والعاطفية ، فيؤلفون بذلك أمة متميزة عن غيرها من الأمم . وعلى ذلك فاذا أضاعت أمة لغتها ، وصارت تتكلم بلغة أخرى ، تكون قد فقدت الحياة واندمجت فى الأمة التى اقتبست عنها لغتها الجديدة . فاللغة هى روح الأمة وحياتها ، وهى بمثابة محور القومية وعمودها الفقرى ، وهى أهم مقوماتها ومشخصاتها .

وأما التاريخ ، فهو بمثابة شعور الامة وذاكرتها : فان كل أمة من الامم انما تشعر بذاتها وتتعرف الى شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص . والذكريات التاريخية تقرب النفوس وتوجد بينها نوعا من القرابة المعنوية . والأمة المحكومة التى تنسى تاريخها الخاص ، تكون قد فقدت شعورها ووعيها . ولذلك نجد ان الأمم المستولية والحاكمة تعمد قبل كل شىء الى مكافحة تاريخ الأمة المحكومة وتبذل ما استطاعت من الجهود لاقصاء ذلك التاريخ عن الاذهان . وأما اليقظات القومية ـ بعد عهود الحكم الأجنبى ـ فتبدأ

عادة بعكس ذلك ، بتذكر التاريخ القومى ، وبالاهتمام به اهتماما خاصا .

واذن فاللغة والتاريخ هما العاملان الاصليان اللذان يؤثران أشد التأثير فى تكوين القوميات .

وفيما يلى نتكلم عن تاريخ نشوء الفكرة القومية ، حتى نلقى نورا كشافا على تفكيرنا السياسى ، ومن ثم يمكننا التنبؤ بما سيكون عليه مستقبل الفكرة القومية فى البلاد العربية ، وبالتالى يمكننا اصدار حكم صحيح على ما يجب أن يكون عليه سلوك الناشئة العربية ازاء «الفكرة القومية» .

نشوء الفكرة القومية فى ألمانيا

ان تاريخ الوحدة الألمانية من أهم وأمتع صفحات التاريخ فى القرون الاخيرة : لان ألمانيا كانت ـ فى العقد الاخير من القرن الثامن عشر ـ منقسمة الى ٣٦٠ وحدة سياسية ، مستقلة بعضها عن بعض استقلالا مطلقا . غير ان عدد هذه الوحدات السياسية ، أخذ يقل شيئا فشيئا ، بسبب اتحاد واندماج بعضها ببعض ، وكان العامل الأصلى فى ذلك هو « نشوء الفكرة القومية » فى ألمانيا ، وتغلب هذه الفكرة على « فكرة الدولة » القديمة الباقية من القرون الوسطى .

ويبدأ تاريخ الفكرة القومية فى ألمانيا ـ بصورة واضحة ـ بالحروب النابليونية : فقد كانت ألمانيا فى أواخر القرن التاسع عشر تتألف من عدد كبير من الدول والدويلات والمدن الحرة ، وكانت كل منها تتمتع بسيادة تامة فى أمورها الداخلية والخارجية . وفى الواقع ، كان هناك ما يسمى ـ بصورة رسمية ـ باسم الامبراطورية المقدسة . ولكنها كانت مجرد اسم ، ولم تكن تتمتع بأى سلطة سياسية حقيقية ، اذ كانت الوحدات التى تشتمل عليها مستقلة استقلالا تاما . ومع

ذلك كانت ألمانيا قد وصلت الى مرتبة عالية جدا من التقدم والرقى فى ميادين العلوم والفنون والآداب ، وكان بين أبنائها عباقرة من أمثال « شيللر » و « جوته » و « كانت » و « هيجل » و « غوس » و « هومبولد » و « فرنر » .. وكان لها عدة جامعات راقية . وبذا كانت ألمانيا قوية وراقية وموحدة من حيث الثقافة ، على الرغم من كونها ضعيفة ومشتتة ومتأخرة من حيث السياسة .

فرنسا تتنكر لمبادىء الحرية !

هذه كانت حالة ألمانيا عندما قامت الثورة الكبرى فى فرنسا ، وقد قوبلت أخبارها بحماس واستحسان فى محافل المفكرين ، لأنها بدت لهم كفاتحة عهد جديد فى تاريخ البشرية سيضمن الحرية لجميع الأفراد ولجميع الأمم . غير أن الوقائع لم تلبث أن خيبت هذه الآمال ، **ولم تلبث فرنسا التى نادت بأنها ستحرر الشعوب ، أن جنحت الى توسيع سلطانها ، والجرى وراء أطماعها ، وقد وصلت هذه الاطماع الى حدها الأقصى بعد تتويج نابليون وتنصيبه امبراطورا على فرنسا** . وقد صارت المانيا اول أهداف هذه الاطماع وأشقى ضحاياها ، لأن انقسامها الى دويلات كثيرة صغيرة وضعيفة سهل على نابليون أن يتغلب عليها وأن يتصرف فى شئونها كما شاءت أطماعه وأهواؤه : فألحق قسما منها بفرنسا الحاقا مباشرا ، وكون من قسم آخر منها مملكة جديدة سماها باسم مملكة (وستفاليا) ، ونصب أخاه « جيروم » ملكا عليها ، ثم كون دولة اتحادية تجمع عددا غير قليل من الذويلات الالمانية سماها باسم (اتحاد الراين) وأعلن نفسه حاميا عليها . ثم هجم على (بروسيا) نفسها ، ودحر جيوشها فى موقعة (يينا) المشهورة ، ثم زحف الى

برلين واستولى عليها ، وأملى على ملك بروسيا ما شاء من الشروط !

وقد كان من الطبيعى أن تولد هذه الكوارث رد فعل شديدا فى نفوس الالمان ، **وقد صار الكل يشعرون شعورا واضحا بأن هذه الرزايا كانت من نتائج ((فقدان الوحدة القومية)) و ((ضعف الروح الوطنيه))** . ومن ثم تولد فى نفوس الالمان تيار قوى جارف من الحماسة الوطنية المقرونه بالرغبة الملحة فى الاتحاد ، للتخلص من ربقة فرنسا . وكان مركز هذه الحركة ومحورها فى بروسيا ، وقد اندفع الأدباء والشعراء فيها يصورون الرزايا التى ألمت بالبلاد تصويرا مؤثرا ، ويلهبون روح الوطنية ، ويثيرون حب الاستقلال والاتحاد بأشعار حماسية ، واندفع المفكرون والمعلمون يخطبون ويحاضرون ، كما اندفع رجل السياسة يهيئون السبل لحركات الوحدة والاستقلال . وقد كانت القوانين المرعية فى بروسيا فى ذلك التاريخ تميز طبقات المجتمع بعضها عن بعض تمييزا صريحا فعليا . **وقد أدرك رجال الاصلاح مافى ذلك من منافاة لمقتضيات الوحدة القومية ، فألغوا القوانين المذكورة ، واستعاضوا عنها بقوانين جديدة تزيل هذه القيود ، وتجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة ووطن واحد** . وقام رجال الجيش أيضا بتنظيم الحياة العسكرية على أسس جديدة تماما ، بطريقة تضمن تدريب جميع المواطنين على الحياة العسكرية . وقد استمرت هذه الجهود والتدابير التنظيمية والاصلاحية بدون انقطاع مدة سبع سنوات ، فخلقت فى بروسيا روحا جديدة تماما .. حتى اذا ما بدأ نابليون يتراجع عن موسكو ، أقدمت بروسيا على التجنيد العام وكونت بغتة جيشا كبيرا قويا انضم الى جيوش الحلفاء ، وانتصر على الفرنسيين فى

معركة (ليبزيج) المشهورة ، فمحا بذلك العار الذى كان قد لحق بالجيش البروسى وبالأمة الالمانية فى موقعة (يينا) ..

اختلاف المنتصرين .. بدد الآمال

وكانت الجهود التى بذلها رجال الفكر والسياسة والجيش فى بروسيا تستهدف غايتين اساسيتين : هما تخليص البلاد الالمانية من النير الفرنسى من جهة ، وتوحيدها سياسيا وعسكريا من جهة أخرى . فلما تكللت هذه الجهود باندحار الجيوش النابليونية ، تولد فى نفوس الوطنيين العاملين امل قوى فى الوحدة الالمانية أيضا . **الا ان السياسة التى سارت عليها الدول المتفقة ــ بعد الانتصار على فرنسا ــ خيبت آمال هؤلاء . ذلك لأن ساسة الدول المذكورة قرروا تنظيم أوروبا من جديد على أساس ((اعادة الحقوق الشرعية الى الملوك))** ، وقد حال ذلك دون توحيد ألمانيا بطبيعة الحال . واستمرت كل دولة من الدول الالمانية الكثيرة تعمل مستقلة عن غيرها تمام الاستقلال ، الا ان فكرة الوحدة الالمانية ــ رغم الدسائس ــ ظلت تتغلغل فى النفوس ، وتتحقق شيئا فشيئا ، ومرحلة بعد مرحلة ، متغلبة على جميع أنواع المشاكل والعوائق التى كانت تعترض سبيلها .

وكانت أولى مراحل الوحدة بين الدول الالمانية هى توحيد الجمارك بينها ، وقد تكون « الاتحاد الجمركى » الذى عرف باسم « الزولفراين » بين الدول الالمانية .

الا أن الوطنيين لم يكتفوا بهذه الخطوة ، وانما راحوا يدعون الى توحيد ألمانيا سياسيا ، وان كانوا قد اختلفوا فى وسيلة ذلك : فأراد بعضهم النظام الجمهورى ، وأراد البعض الآخر النظام الملكى . وهذا الفريق الاخير ، كان بعضه يريد الاتحاد بزعامة أسرة « هابسبورج » ، وهى العائلة المالكة

فى الامبراطورية النمساوية .. بينما كان بعضه الآخر يريد الاتحاد بزعامة أسرة « هوهينزولرن » ، وهى العائلة المالكة فى المملكة البروسية . حتى اذا قامت الثورات الشعبية فى مختلف أنحاء أوروبا سنة ١٨٤٨ ، خرجت فكرة الوحدة من ساحة النظريات الى ميدان العمليات : **فقد رأى الملوك والامراء ان الحكمة فى مسايرة الرأى العام ، ووافقوا على دعوة مؤتمر شعبى عام فى (فرانكفورت) لوضع دستور يسرى على البلاد الالمانية بأجمعها** ، وذلك بغية تأسيس دولة ألمانية تجمع شمل الدول والدويلات القائمة على أراضى جرمانيا القديمة . وقد انتخب أعضاء هذا المؤتمر عن طريق التصويت العام الذى اشتركت فيه جميع الشعوب الالمانية. وقد اتفقت الآراء فى المؤتمر على تكوين حكومة اتحادية فيدرالية على أن تكون « امبراطورية وراثية » ، وأن يقدم تاج « أمبراطورية المانيا الجديدة » الى ملك المملكة البروسية » .

حكومات اوربا « تبتلع » وعودها !

ولكن خلال هذه الفترة كانت معظم الحكومات فى أوروبا قد تغلبت على الحركات الثورية فى بلادها ، فتراجعت شيئا فشيئا عما اتفقت عليه فى المؤتمر ، بل ان ملك بروسيا نفسه رفض آخر الأمر أن يقبل تاج الامبراطورية من يد مجلس شعبى . ومن ثم انتهى الأمر بفشل مشروع الامبراطورية الالمانية !

وراحت مختلف الأوساط بعد ذلك تعتبر فكرة توحيد ألمانيا وهماً من الأوهام ، وحلماً من الأحلام . ولكن الوقائع التى حدثت فيما بعد ، برهنت — على العكس من ذلك — على ان هذه التكهنات كانت بعيدة عن الصواب ، لأن ايمان

القائلين بالوحدة الالمانية لم يتزلزل من جراء فشل مؤتمر فرانكفورت ، بل ظلوا يؤمنون بها ويعملون من أجلها ، الى ان تكللت مساعيهم بالنجاح وتحققت الوحدة الالمانية بصورة فعلية ، بعد مرور عقدين من السنين على محاولة فرانكفورت الأليمة .

دور الادباء فى تحقيق الوحدة

وقد كانت العوامل والأعمال التى ساعدت على تحقيق الوحدة الالمانية كثيرة ومتنوعة : **وكان من أهمها الأشعار والمقالات والدروس والخطب التى كانت تصدر بدون انقطاع من أقلام الشعراء والكتاب والأساتذة والخطباء .** كما أن الأعمال والتدابير الاقتصادية والسياسية والعسكرية لعبت دورا هاما فى هذا المضمار . وكان لربط البلاد بالسكك الحديدية أثر عظيم كذلك .

وأما الأسباب التى كانت تحول دون تحقيق الوحدة على الرغم من انتشار الايمان بها والاعتقاد بضرورتها ، فيمكن أن تتلخص فى الأمرين التاليين :

أولا : أنانية الملوك والأمراء الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على السلطان الذى يتمتعون به .

ثانيا : دسائس بعض الدول الأجنبية ، ولا سيما الدولة الفرنسية ، لتقوية النزعات الاقليمية فى مختلف البلاد الالمانية ، بقصد الحيلولة دون قيام دولة المانية قوية على حدود فرنسا الشمالية .

ولقد أدرك رجال الفكر والسياسة فى مختلف البلاد الالمانية تمام الادراك أن اتحاد بلادهم لا يمكن أن يتحقق الا بعد تذليل هذه العقبات الأساسية ، وأخذوا يعملون فى سبيل ذلك عملا متواصلا بحكمة وتبصر وحزم وثبات . وقد رأوا من الحكمة أن يختاروا «النظام الفدرالى» ليتركوا

للملوك والأمراء شيئا من حقوقهم وسلطانهم ، فيضمنون بذلك عدم معارضتهم لمشروع الاتحاد معارضة قوية قد تصل الى درجة الاستماتة . كما رأوا من الضرورى أن ينشئوا جيشا قويا ، ليضعوا بواسطته حدا للدسائس والمؤامرات. وكانت هذه الخطط العملية تتطلب جهودا جبارة للغاية ، وما كانت هناك دولة تستطيع أن تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ هذه الخطط ، سوى المملكة البروسية . ولذلك أصبحت هذه الدولة قبلة آمال جميع القوميين الألمان ، فاحتشدت هناك جميع القوى المفكرة والفعالة من مختلف أنحاء البلاد الألمانية ، سيما بعد أن آلت الزعامة السياسية فى بروسيا الى شخصية « بسمارك » القوية . فان هذا الرجل العبقرى ، عند ما تولى رئاسة الحكومة البروسية ، كان قد ألم بكل ما يتصل بقضايا الوحدة الألمانية ، ومن ثم وضع خططه السياسية على ضوء اطلاعاته الواسعة . وصار ينتهز الفرص ، لتقريب وجهات النظر بين مختلف الدول الألمانية من جهة ، وللقضاء على تأثيرات الدسائس الأجنبية من جهة أخرى ، وعمل عملا متواصلا ، لرفع مكانة بروسيا بين الدول الألمانية ، تسهيلا لاجتماع الكل تحت زعامتها السياسية والعسكرية . **وقد أدت الجهود التى بذلها بسمارك الى اتفاق سبع وعشرين دولة من الدول الألمانية على تأليف دولة اتحادية تحت زعامة العائلة المالكة البروسية .**

وفى هذه الاثناء حدثت الأزمة السياسية التى عرفت باسم أزمة العرش الأسبانى ، والتى انتهت بأن أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا ، وهزمت فيها شر هزيمة ، اذ أسرت الجيوش البروسية نابليون الثالث امبراطور فرنسا وزحفت على باريس ، فاضطرت فرنسا الى التسليم بشروط بروسيا ، وكان لهذا النصر الذى أحرزته بروسيا أثرا عظيما فى بقية

الدول الألمانية التى كانت تعارض فى الاتحاد ، فلم يعد ثمة مانع يحول دون اعلان اتحاد جميع الدول الألمانية وتنصيب ملك بروسيا وتتويجه امبراطورا على ألمانيا الاتحادية . وقد تم ذلك فى قصر فرساى الشهير القائم فى ضواحى العاصمة الفرنسية فى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ . وهكذا تحققت وحدة ألمانيا وتأسست الامبراطورية الألمانية . بعد جهود دامت مدة طويلة تقرب من سبعين عاما . **وقد كانت وحدة ألمانيا أكبر الانتصارات التى أحرزتها الفكرة القومية فى القرن التاسع عشر .**

« وفى العدد القادم نوالى نشر بقية هذه المحاضرات الممتعة، عن الفكرة القومية فى بلاد اليونان وبلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا والبانيا وتركيا .. والبلاد العربية



من من هؤلاء

مؤلف التحفة القادمة لمطبوعات كتابى؟

عزيزى القارئ..

منذ أصدرت من أجلك هذه السلسلة الشقيقة لكتابى - سلسلة مطبوعات كتابى - وأنا أحرص على أن تتضمن مجموعتها مختارات منوعة من أدب جميع البلاد، لأشهر المؤلفين، فى جميع العصور.. كى تكون هذه السلسلة بمثابة دائرة معارف للأدب العالمى من جميع مصادره.

وجريا على هذه الخطة، أقدم لك فى العدد القادم من "مطبوعات كتابى" - الذى يصدر بعد أيام - تحفة لأحد هؤلاء المؤلفين الذين ترى صورهم فى أعلى هذه الصفحة [فمن هم؟].. وما هو الكتاب الذى اخترته لك من مؤلفاتهم؟

هذه هى المفاجأة القادمة لسلسلتك المحبوبة

يصدرها حلمى مراد

مطبوعات كتابى

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية